من دلالات

أسماء السور في القرآن الكريم

تأليف

عيسى إبراهيم وادي   محمود عبد الكريم مهنا

تقديم   مراجعة

د. أحمد نوفل   أ. بسام جرار







من دلالات

أسماء السور في القرآن الكريم

تأليف

عيسى إبراهيم وادي
محمود عبد الكريم مهنا

تقديم

د. أحمد نوفل

مراجعة

أ. بسام جرار

الطبعة الأولى
2012م – 1433هـ



دار الرضوان للنشر والتوزيع



دار الأمين للنشر والتوزيع

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (2997/ 8/ 2011)

وادي، عيسى إبراهيم
من دلالات أسماء السور في القرآن الكريم /عيسى إبراهيم، محمود عبد الكريم مهنا.ـ عمان: دار الرضوان للنشر والتوزيع 2011.
( ) ص
ر. أ: 2011/8/2997

❖ يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومة أخرى

الطبعة الأولى
2012م - 1433هـ



المملكة الأردنية الهاشمية- عمان- العبدلي
هاتف: 36 64 461 6 962+
فاكس: 35 64 461 6 962+
e-mail: gm@redwanpublisher.com
www.redwanpublisher.com



دار الأمين للنشر والتوزيع
رام الله- البيرة
شارع منتزه البيرة بجانب البنك الاسلامي الفلسطيني
تلفاكس: 08 78 298 2 970+
خلوي: 769 49 996 5 970+
Email:aminamin1969@yahoo.com

ISBN: 978-9957-76-071-7

من دلالات

أسماء السور في القرآن الكريم

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾

(سورة ص: ٢٩)

الإهداء

إلى كل من شرفهم الله تعالى بخدمة القرآن الكريم

إلى الذين حملوا أمانة القرآن في العالمين

إلى الذين يُمسّكون بالقرآن وهم مصلحون

إلى والدينا ومن له حق علينا ومن ترك بصمة في حياتنا

فهرس المحتويات

تقديم

د. أحمد نوفل

الكتابة عن القرآن لا تنتهي، وهذا بحد ذاته واحد من أوجه اعجازه ودلالة على غناه وأنه لا متناه، فمهما عملت العقول ونظرت الأنظار وتلذذت الأذواق، فإنها واجدة طُلبتها في دفتي هذا الكتاب (القرآن).

وقد اطلعت على كتاب الأخوين: عيسى وادي ومحمود مهنا، والذي راجعه الأستاذ بسام جرار، فوجدته كتابا جيداً طريفاً جديداً، غير مطروق ولا مسبوق بهذا الشمول وهذا الربط وهذا التدقيق. وقلت للأخ الذي سلّمني الكتاب: ليس بعد مراجعة الأستاذ بسام مراجعة، ومع هذا كتبت هذه السطور.

أما الموضوع فيما أرى فضروري بل تمس الحاجة إليه، ليعلم حامل القرآن وتالي آياته أن الاسم دالٌّ معبِّر، والذي اختاره وجعله توقيفاً، اختياره حكيم، ورسول الله بلغنا، لكن الذي سمى سور الكتاب هو الذي أنزل الكتاب سبحانه.

من هنا فإنك واجد في الأسماء دلالة معبرة عن المضمون الذي للسور، ويرتبط بالعديد من محاور السورة، كالذي صنع الأخوان في الربط باسم سورة البقرة مضمونها، وكان الربط موفقاً. وبحثهم اللغوي في فاتحة كل تسمية لسورة كان - فيما أرى- موفقاً، وهو المدخل الطبيعي للإبحار والأبرار.

ولقد أفدت من هذا الكتاب لطائف، سواء في حديثه عن السور الطوال أو السور القصار، فكم كان موفقاً الحديث عن الماعون والكوثر والبلد، وغيرها بطبيعة الحال. وأعجبني الكثير بالطبع، لكن اقرأ هذه اللفتة المعبرة الجميلة في تسمية سورة الإنسان: كأن السورة باسمها اللافت تشير إلى أن الإنسان الحقيقي

هو الذي ينجح في الامتحان، وهداية هذا الاسم: من أراد أن يكون شيئا مذكوراً فليكن شاكراً لا كفوراً، وغير هذا كثير من اللفتات الرائعة الجميلة.

هو في الخلاصة بحث جيد جديد وثمرة ناضجة لتأمّل متعمِّق مدقَّق موفَّق. أسأل الله لهذا العمل أن يكتمل وأن يحظى بالقبول والتوفيق.

تقديم

أ.بسام جرار

مركز نون للدراسات القرآنية

الظاهر في الأدلة، وما عليه جماهير العلماء، أنّ أسماء السور المدوّنة في المصاحف هي توقيفيّة، أي عن الرسول ﷺ وحياً. والمتدبّر لهذه الأسماء يدرك أن لا مجال لقبول احتمال أن تكون أسماء السور من اجتهاد الصحابة؛ فأنت تجد على سبيل المثال أن سورة يونس لم ترد فيها قصة يونس عليه السلام- والتي تكررت في سور أخرى- وإنما ورد ذكر قوم يونس في آية واحدة فقط. وسمّيت السورة التي استهلت بحرف قاف سورة ق، في حين سمّيت السورة التي استهلت بحرف نون سورة القلم. وسمّيت السورة التي استهلت بالحرفين ياء وسين بـــ يس، في حين سمّيت السورة التي استهلت بالحرفين طاء وسين بـــ النمل .. .

وعندما تكون تسمية السور القرآنيّة ربّانيّة ندرك أنه يجدر بنا أن نتأمل دلالات هذه الأسماء من أجل فهم أفضل لكتاب الله الكريم. وهذا يجعل هذه الدراسة التي بين أيدينا ذات أهمية خاصة، لأنّ منطلقها يقوم على أساس متين، ولأن لها الريادة بين الدراسات القرآنيّة المعاصرة.

تشدّك هذه الدراسة عندما تعلم أنها تنطلق من فرضيّة أنّ اسم كل سورة يتضمن الفكرة المركزيّة للسورة، فتكتشف أنّ المعاني والأفكار الرئيسة ذات صلة وثيقة بدلالات الاسم. وقد نجح هذا البحث في إثبات صِدقيّة هذه الفرضيّة، بما قدّم

من نظرات واستنباطات. ولا نتوقع أن تكون هذه الدراسة كاملة ومستوفية للمطلوب، ولكن حسبها أن تكون المفتاح لباب من أبواب الفهم لكتاب الله العزيز الذي لا تنقضي عجائبه.

مقدمة البحث

القرآن الكريم كلام الله تعالى الذي لا تنقضي عجائبه، ومعجزة الإسلام التي لا تنفد عطاءاتـــها على مر التاريخ، وقد أحدث القرآن الكريم منذ نزوله تغييرات هائلة في العقل البشري.

ومن ضمن ما استحدثه القرآن الكريم التقسيم إلى سور، وتسمية هذه السور بأسماء، وهو ما لم ينتبه له المؤلفون إلا بعد عصور من نزول القرآن.

وقد كانت تسمية سور القرآن الكريم من المعضلات التي واجهت الباحثين على مدار التاريخ، حيث أن أسماء معظم سور القرآن لا تتناول الموضوع البارز في السورة، أو حتى لا تتناول موضوعها الرئيسي، وهو ما شكل حاجزاً أمام فهم السر في تسمية السور، وهذا الأمر هو الذي استفز الباحثْين، وعمدا إلى تقليب صفحات التفاسير القديمة والحديثة، والأبحاث القرآنية المختلفة، ولم يجدا ما يشفي الغليل إلا قليلاً حول العلاقة بين اسم السورة وموضوعاتها المختلفة، مما حفزهما إلى تشمير ساق الجد لمحاولة سد الثغرة، أو على الأقل تنبيه المتدبرين والباحثين لخطورة هذا الموضوع في فهم القرآن الكريم، آملين في ذلك دفع التفسير الموضوعي خطوة مهمة إلى الأمام.

وقد اجتهدنا عدم التطويل والإطناب حتى يتم التركيز على فكرة الاسم، مع وجود كثير من الأمور التي يمكن الاستفادة منها، وإن كنا عمدنا إلى بعض القضايا الهامة التي ليست من صلب الموضوع ووضعناها في مربع في نهاية بعض

السور، ثم عملنا على استخلاص هداية لاسم السورة، والتي نعتبرها تلخيصاً لفكرة السورة ومقصد تسميتها.

بدأ البحث في الموضوع منتصف عام ٢٠٠٩ م، وقد تم انجاز بضعاً وسبعين سورة، وعرضنا كل سورة على الأستاذ بسام جرار، مدير مركز نون للدراسات القرآنية في فلسطين، للمراجعة وإبداء التوجيهات، وبعد إنجاز خمسين سورة تم عرضها على أساتذة جامعات متخصصين في الشريعة واللغة العربية، وعلى مجموعة من المهتمين بالدراسات القرآنية من تخصصات مختلفة، وكان هدف العرض على المتخصصين الحصول على تغذية راجعة وتقييم لفكرة البحث، وقد عبر الجميع عن إعجابهم بالفكرة، وثنائهم على النتائج التي توصل لها الباحثان، في حين كان هدف العرض على المهتمين من التخصصات المختلفة معرفة تأثيره عليهم في تدبر القرآن الكريم، وهو ما عبر عنه معظم المطلعين على البحث على اختلاف تخصصاتهم.

وبعد أخذ الملاحظات من مختلف المطلعين على البحث، والتي كانت بصفة عامة قليلة، لا تمس صلب الطرح، فقد تم إرسال البحث إلى الدكتور أحمد نوفل، فأبدى إعجابه بالفكرة، وبادر مشكوراً إلى تسطير مقدمة للبحث.

ومع علمنا أن المشروع لم يكتمل، ولكننا نعترف أننا نقف عاجزين أمام بعض السور، وهذا شأن كتاب الله الذي يَغلب ولا يُغلب، وبناءً على اقتراح أستاذنا الشيخ بسام جرار بضرورة المسارعة في نشر ما تم التوصل إليه من نتائج طيبة،

وإن لم يكن كاملاً، من أجل إيجاد حراك تدبري للقرآن الكريم، وذلك لأهمية الفكرة، والتي نعتقد أن لها أثراً هاماً على الدراسات القرآنية.

وقد اعتمد الباحثان في بحثهما المحددات الآتية:

١. اعتماد الاسم الوارد للسورة حسب مصحف المدينة المطبوع في مجمع الملك فهد.
٢. الأخذ بالرأي القائل إن أسماء السور توقيفية (وحي من الله تعالى)، أي أن الله تعالى هو الذي سمّى السور بأسمائها.
٣. اعتبار اسم السورة عنواناً لها، ترتبط به موضوعات السورة بشكل كبير.

وتتلخص إجراءات البحث بالآتي:

١. البحث في معاجم اللغة عن المعاني اللغوية لأسماء السور.
٢. البحث في كتب التفسير عن إشارات لدلالات أسماء السور.
٣. استعراض موضوعات السورة، واعتماد تقسيم بعض التفاسير لهذه الموضوعات.
٤. الربط بين موضوعات السورة والمعاني اللغوية للاسم.
٥. استخراج إرشادات وهدايات لأسماء السور.

وفي هذا المقام لا بد أن نقدم الشكر والامتنان لكل من ساهم في هذا البحث، وبالذات أستاذنا (الشيخ بسام جرار) الذي تابع البحث خطوة بخطوة مبدياً ملاحظاته القيمة، جزاهم الله تعالى خيراً.

وأخيراً: نأمل أن نكون قد وُفّقنا إلى الخير، وندعوه سبحانه أن ينفع بهذا البحث، ويجعله من مفاتيح تدبر القرآن الكريم ومعيناً على الاستفادة من كنوزه والاهتداء بهداه. وإن أصبنا فبفضل الله ومنّه وكرمه، وإن أخطأنا فمن تقصيرنا.

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم

٢٢/ جمادى الأولى/ ١٤٣٢ هـ	الباحثان
٢٥/ نيسان/ ٢٠١١ م	عيسى وادي، محمود مهنا

بين يدي البحث

تعريف السورة:

القرآن الكريم هو معجزة الرسول ﷺ ، وعلى وجه الخصوص في إعجازه البياني. وقد تحدى القرآن العرب أن يأتوا بسورة من مثله قال تعالى:

﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ (يونس: ٣٨)، فما تعريف السورة؟

السُّورة كما يقول الأصفهاني: "والسورة المترلة الرفيعة، قال الشاعر:

ألم ترَ أنّ الله أعطاك سورةً ترى كلّ مَلك دونها يتذبذبُ

وسور المدينة حائطها المشتمل عليها، وسورة القرآن تشبيهاً بها لكونه محاطاً بها إحاطة السور بالمدينة، أو لكونها مترلة كمنازل القمر، ومن قال: سؤرة فمن أسأرت أي أبقيت منها بقية كأنها قطعة مفردة من جملة القرآن، وقوله تعالى: ﴿ سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا ﴾ (النور: ١)، أي جملة من الأحكام والحِكَم". [١]

ويقول ابن منظور: "وهي كل مترلة من البناء، ومنه سور القرآن لأنها مترلة بعد مترلة مقطوعة عن الأخرى، والجمع سور بفتح الواو". [٢]

ويقول جرار في التعقيب على هذه المعاني: "ومعلوم أنّ السُّور في القديم كان يحيط بالمدينة، ثم هو يرتفع كثيراً بغرض الحماية والحفظ. وقد يكون معنى

---

(١) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني (٢٤٧).

(٢) لسان العرب، ابن منظور (ج٤، ٤٤٦).

الارتفاع في السور ولّد في اللغة بعض معاني سورة، والتي منها **الدرجة الرفيعة والمترلة العالية**... وعليه فإن اسم السورة يتضمن ومعنى الإحاطة، وعنى السمو والرفعة. ومعنى الإحاطة يتضمن الاشتمال، والتمييز وتحديد المعالم؛ فالسُّور يشتمل على المدينة وما فيها، ثم هو يحدد معالمها ويميزها عما سواها ... فسور القرآن الكريم تحيط بعلوم شتّى، وهي تسمو وترتفع، وهي تحفظ وتقي".[١]

أسماء السور: توقيفي أم اجتهادي؟

جمهور العلماء من أهل القرآن وعلومه على أن أسماء سور القرآن كلها توقيفية عن النبي ﷺ ، حيث جعل لكل سورة اسماً خاصاً بها.

قال الزركشي رحمه الله: "ينبغي البحث عن تعداد الأسامي: هل هو توقيفي، أو بما يظهر من المناسبات؟ فإن كان الثاني فلن يعدم الفَطِنُ أن يستخرج من كل سورة معاني كثيرة تقتضي اشتقاق أسمائها، وهو بعيد".[٢]

وقال السيوطي رحمه الله: "وقد ثبتت جميع أسماء السور بالتوقيف من الأحاديث والآثار، ولولا خشية الإطالة لبينت ذلك".[٣]

وقال ابن عاشور رحمه الله: "وأما أسماء السور فقد جُعلت لها من عهد نزول الوحي، والمقصود من تسميتها تيسير المراجعة والمذاكرة".[٤]

---

(١) من أسرار الأسماء في القرآن الكريم، بسام جرار، (٩).

(٢) البرهان في علوم القرآن، الزركشي (ج١، ٣٢٩)

(٣) الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، (ج١، ١١٥)

(٤) التحرير والتنوير، ابن عاشور (م١، ج١، ٩٠)

وقد اشتهرت روايات كثيرة تفيد أن جبريل عليه السلام كان يعلم الرسول ﷺ القرآن الكريم ويبين له موضع السور ويأمره بوضع الآيات المترلة في سورها المذكورة، كما كانت أسماء السور معروفة على عهد رسول ﷺ ومشهورة، وقد وردت أحاديث كثيرة تدل على أن هذه التسمية كانت متداولة في ذلك العهد.

ففي صحيح مسلم وغيره أن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: "يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به تقدمه سورة البقرة وآل عمران، وضرب لهما رسول الله ﷺ ثلاثة أمثال ما نسيتهن بعد، قال: "كأهما غمامتان أو ظلتان سوداوان بينهما شرق، أو كأهما حِزقان من طير (جماعتان من طير) صواف تُحاجّان عن صاحبهما".[1]

وفيه أيضا عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة".[2]

وفيه أيضاً عن حذيفة قال: صليت مع النبي ﷺ ذات ليلةٍ، فافتتح البقرة، فقلت: يركع عند المائة، ثم مضى، فقلت يصلي بها ركعة، فمضى، فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء، فقرأها، ثم افتتح آل عمران، فقرأها... إلى آخر الحديث.[3]

---

(١) صحيح مسلم، مسلم النيسابوري (حديث ٨٠٥، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة).

(٢) المصدر السابق (٧٨٠، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها في المسجد).

(٣) المصدر السابق (٧٧٢، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل).

وفي الحديث الذي يرويه سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه في قصة الرجل الذي أراد أن يتزوج امرأة، وليس معه شيء من المال، فقال له النبي ﷺ : "ماذا معك من القرآن؟"، قال: معي سورة كذا، وسورة كذا عدّها قال: "أتقرؤهن عن ظهر قلبك؟"، قال: نعم قال: "اذهب، فقد ملَّكْتُكها بما معك من القرآن".(١)

وعن عبد الرحمن بن يزيد قال: "سمعت ابن مسعود رضي الله عنه قال في بني إسرائيل والكهف ومريم إهن من العتاق".(٢)

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ: أن النبي ﷺ قرأ سورة النجم فسجد بها، فما بقي أحد من القوم إلا سجد، فأخذ رجل من القوم كفاً من حصى، أو تراب، فرفعه إلى وجهه، وقال: يكفيني هذا، فلقد رأيته بعد قُتِلَ كافراً.(٣)

وقد ثار جدل قديم بين العلماء حول أسماء السور القرآنية هل هو وحي من الله تعالى أم باجتهاد الصحابة رضوان الله عليهم، فإذا انطلقنا من فرضية أن الصحابة هم الذين وضعوا أسماء السور القرآنية، فينبغي مناقشة الإشكاليات الآتية:

١. من خلال الرجوع إلى كتب علوم القرآن الكريم يلاحظ أن بعض سور القرآن الكريم لها أكثر من اسم، وأن بعضها الآخر لها اسم واحد فقط، وبالتالي لو كان الصحابة قد سمَّوْا السور فكيف اتفقوا على أسماء السور التي

---

(١) صحيح البخاري، محمد اسماعيل البخاري (٥١٢٦، كتاب النكاح، باب النظر إلى المخطوبة قبل التزويج).

(٢) صحيح البخاري، محمد اسماعيل البخاري (٤٧٠٨، كتاب تفسير القرآن، باب تفسير سورة بني إسرائيل).

(٣) صحيح البخاري، محمد اسماعيل البخاري (١٠٧٠، كتاب سجود القرآن، باب ما جاء في سجود القرآن وسننها).

لها اسم واحد وهي الأكثر، واختلفوا على أسماء السور الأخرى، وإذا كانوا هم الذين سمَّوْا كل الأسماء بما فيها المتعددة فلماذا اتفقوا على إعطاء أكثر من اسم لهذه السور دون غيرها؟

إذا كان الصحابة رضوان الله عليهم هم الذين وضعوا أسماء السور فإن ذلك يضعنا أمام إشكالية ثانية، وهي أنه لا بد لهذه التسمية أن تكون مفهومة ومبرّرة ومُدْرَكة لمن يأتي بعدهم، على الأقل للعلماء الذين جاؤوا بعدهم، ولكن الواقع يقر بوجود ندرة في بيان وجه التسمية للسور في كتب التفسير وعلوم القرآن على الرغم من أهميته، ومع وجود استفاضة من قِبلهم في كثير من الأمور التي لا تزيد أهمية عنه.

كما يتضح للناظر في وجه التسمية أن بعض السور يمكن إدراك وجه تسميتها بسهولة مثل سور يوسف ونوح والجن، ولكن بعض السور قد نجد أنه من الصعب إدراك وجه التسمية فيه مثل سورة البقرة التي تتكون من ٢٨٦ آية وقصة البقرة تأتي في سبع آيات فقط (٦٧-٧٣) أي ما يساوي ٢% فقط، فلماذا يترك الصحابة مواضيع أخذت مساحات أوسع من ذلك، مثل الحديث عن بني إسرائيل الذي وقع في الآيات (٤٠-١٢٣).

وهناك مثال آخر وهو سورة يونس حيث لم تذكر قصة يونس في هذه السورة بينما ذكرت في سور أخرى، وما ذكر في سورة يونس، هو آية واحدة فقط عن قوم يونس وهي قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ

حِينٍ ﴾ (يونس: ٩٨)، فالسورة لم تتحدث عن يونس عليه السلام، ومرّ ذكر قومه سريعاً، ومع ذلك سُمّيت السورة باسم يونس.

٢. كما يلفت نظر الدارس أن بعض أسماء السور كانت الكلمة الأولى من السورة، مثل الرحمن، وأحياناً تكون الكلمة الأخيرة من السورة مثل الماعون، وهذا يجعل من الصعب نسبة التسمية للصحابة لعدم وجود اطراد في الأمر.

٣. ويتساءل الدارس أيضاً هل يمكن أن يسمي الصحابة سور القرآن بأسماء حشرات أو حيوانات؟ أو أسماء مثل: (الكافرون، المنافقون)؟!

٤. يساعد الإعجاز العددي والعلمي في إثبات استحالة أن تكون تسمية بعض السور على الأقل عملاً بشرياً، نظراً لما اكتشف من ارتباط بعض هذه الأسماء بحقائق علمية اكتشفت حديثاً، فمثلاً سورة الحديد هي السورة ٥٧ في ترتيب المصحف، وهذا هو الوزن الذرِّي للحديد، وهو أيضاً جُمَّل كلمة الحديد، أما جُمّل كلمة حديد فيساوي ٢٦ وهو العدد الذري حسب الجدول الدوري للعناصر.

من خلال ما سبق يمكن القول بطمأنينة إن أسماء السور هي **وحي من الله تعالى،** وأما السور التي لها أكثر من اسم فالمؤكد ان أحدها توقيفي، وقد تكون الأخرى وحياً، وهذا يعتمد على النصوص التي ذكرت أسماء السور، وقد تكون اجتهاداً.

وقد خلصت إحدى الباحثات (منيرة الدوسري) في بحث جامع حول أسماء السور بالقول: "جمهور العلماء من أهل القرآن الكريم وعلومه على أن أسماء السور توقيفية من النبي ﷺ ، حيث جعل لكل سورة اسماً خاصاً بها، وقد

اشتهرت الروايات الكثيرة التي تفيد أن جبريل عليه السلام كان يعلم الرسول ﷺ القرآن، ويبين له موضع السورة، ويأمره بوضع الآيات المنزّلة في سورها المذكورة مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ (الحجر: ٩)، والرسول ﷺ أمر أصحابه أن يضعوها في مكانها من سورة كذا، ويُسمّيها باسمها، وذلك أمر لازم لإثبات الآيات فيها وتمييزها عن غيرها". [(١)]

وقد وردت أحاديث كثيرة بأسماء السور، منها الصحيح والضعيف، بما يشير إلى تسمية الرسول ﷺ لكثير من السور، وهذا دليل على تسميتها جميعاً فلا معنى أن يُسمّي بعضها ويترك غيرها دون تسمية، كما أن بعض الأحاديث الموقوفة على الصحابة لها هنا حكم المرفوع.

وسنعرض بإذن الله تعالى في ملحق رقم (١) السور التي ورد فيها أحاديث مرفوعة أو موقوفة.

هل كتب الصحابة أسماء السور في المصحف؟

لم يثبت الصحابة في المصحف أسماء السور، بل اكتفوا بإثبات البسملة في مبدأ كل سورة علامة على الفصل بين السورتين، وإنما فعلوا ذلك كراهة أن يكتبوا في أثناء القرآن ما ليس بآية قرآنية، فاختاروا البسملة لأنها مناسبة للافتتاح، وقد علل الإمام الغزالي كراهتهم لذلك بقوله: "والظن بهؤلاء أنهم كرهوا فتح هذا الباب خوفاً من أن يؤدي إلى إحداث زيادات وحسماً للباب، وتشوقاً إلى

---

(١) أسماء سور القرآن وفضائلها، منيرة الدوسري (٧٣).

حراسة القرآن عما يطرّق إليه تغييراً وإذا لم يؤد إلى محظور، واستقر أمر الأمة فيه على ما يحصل به مزيد معرفة فلا بأس به". [1]

متى كتبت أسماء السور في المصاحف ؟

"كتبت أسماء السور في المصاحف باطراد في عصر التابعين و لم يُنكر عليهم، وقد كتبت المصاحف بخط آخر لتتميز عن القرآن، وأما البسملة فكانت مكتوبة في أوائل السور بخط لا يتميز عن الخط الذي كتب به القرآن". [2]

ما الحكمة من جعل القرآن الكريم سوراً؟

قد تكون الحكمة من تقطيع القرآن الكريم سوراً كما يقول الزركشي : "حتى تكون كلّ سورة بل كل آية فناً مستقلاً وقرآناً معتبراً، وفي تسوير السورة تحقيق لكون السورة بمفردها معجزة وآية من آيات الله تعالى... ومنها أن القارئ إذا ختم سورة أو باباً من الكتاب ثم أخذ في آخره كان أنشط له، وأبعث في التحصيل منه لو استمر على الكتاب بطوله... ومنها أن التفصيل يسبب تلاحق الأشكال والنظائر وملاءمة بعضها لبعض، وبذلك تتلاحظ المعاني والنظم إلى غير ذللك من الفوائد". [3]

---

(١) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي (١، ٢٧٦)

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور (م١، ج١، ٩١).

(٣) البرهان في علوم القرآن، الزركشي (ج١، ٣٣٣).

وحدة الموضوع في السورة القرآنية:

يقول قطب: "ومن ثم يلحظ من يعيش في ظلال القرآن الكريم أن **لكل سورة من سوره شخصية مميّزة!** شخصية لها روح يعيش معها القلب كما لو كان يعيش مع روح حي مميز الملامح والسمات والأنفاس! ولها موضوع رئيسي أو عدة موضوعات رئيسية مشدودة إلى محور خاص. ولها جو خاص يُظلّل موضوعاتها كلها، ويجعل سياقها يتناول هذه الموضوعات من جوانب معينة، تحقق التناسق بينها وفق هذا الجو. ولها إيقاع موسيقي خاص إذا تغير في ثنايا السياق فإنما يتغير لمناسبة موضوعية خاصة.. وهذا طابع عام في سور القرآن جميعاً".(١)

ويقول القاسم : "إذ لا توجد سورة في القرآن، طويلة أو قصيرة، مدنية أو مكية، إلا وهي تعالج قضية واحدة تدور حولها السورة، يتنوع الكلام، وتختلف طريقة العرض والأسلوب من إيجاز وإطناب، أو تأكيد أو ضرب مثل أو إلقاء موعظة أو غير ذلك، ولكنه يعود أخيراً ليؤكد القضية التي قام عليها بناء السورة".(٢)

التفسير الموضوعي:

برز حديثاً ما يسمى بالتفسير الموضوعي، حيث تناول بعض العلماء موضوعاً واحداً على مستوى القرآن جميعاً، وهناك طريقة أخرى تناولها الشيخ محمد

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب (ج١، ٢٧).

(٢) الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره، محمد أحمد القاسم (٣٣٠)

الغزالي فيقول رحمه الله: "والتفسير الموضوعي غير التفسير الموضعي: الأخير يتناول الآية أو الطائفة من الآيات فيشرح الألفاظ والتراكيب والأحكام! أما الأول فهو يتناول السورة كلها يحاول رسم (صورة شمسية) لها تتناول أولها بآخرها، وتتعرف على الروابط الخفية التي تشدها كلها".[1]
ويقول أيضاً: "وأنبه إلى أن هذا التفسير الموضوعي لا يغني أبداً عن التفسير الموضعي بل هو تكميل له وجهد ينضم إلى جهوده المقدورة".[2]

أسماء السور عناوين لها:

شَكَّلت أسماء السور القرآنية دلالات رمزية على فكرة محورية في السورة. والأصل أن تكون هناك علاقة بين السورة وبين اسمها، فالأسماء قوالب للمعاني، ودالة عليها، وتقتضي الحكمة أن يكون بـــين اسم السورة وموضوعاتها ارتباطٌ وتناسبٌ، وأن لا يكون المعنى معها بمنزلة الأجنبي المحض الذي لا تعلّق له بها، فإن حكمة الحكيم تأبى ذٰلك.

يقول الزركشي: "ينبغي النظر في وجه اختصاص كل سورة بما سميت به".[3]
ويقول البقاعي: "اسم كل سورة مترجم عن مقصودها، لأن اسم كل شيء تظهر المناسبة بينه وبين مسمّاه، فالاسم عنوان دالٌّ إجمالاً على تفصيل ما فيه".[4]

---

(١) نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، محمد الغزالي، (٥).

(٢) المصدر السابق (٦)

(٣) البرهان في علوم القرآن، الزركشي (ج١، ٣٤٠)

(٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي (ج١، ١٢)

ولقد شهدت الدراسات الأدبية اهتماماً كبيراً بما سمي عتبات النصوص، ولقد أدى هذا إلى تبلور مفهوم التفاعل النصي، وإذا تصفحنا كتب النقد العربي القديم في المشرق والأندلس سنجد مصنفات كثيرة تهتم بعتبات النص الموازي، لاسيما عند الكُتّاب الذين عالجوا موضوع الكتابة والكُتّاب، كالصولي وابن قتيبة والكلاعي وابن وهب الكاتب وابن الأثير ومحمد علي التهانوي وغيرهم.

ويكاد العنوان أن يكون من أهم عتبات النص، من حيث ارتباط العنوان بالنص مباشرة. واشتماله لمكونات العمل ودلالاته ومقاصده. يقول د. محمد فكري الجزار: "العنوان للكتاب كالاسم للشيء، به يعرف وبفضله يتداول، يشار به إليه، ويدل به عليه، يحمل وسم كتابه، وفي الوقت نفسه يسمه العنوان، بإيجاز يناسب البداية، علامة ليست من الكتاب جُعلت لهَ لكي تدل عليه.. ولا يقف شأن العنوان عند هذا الحد، فتعقد المطلوب وتعدد أجناسه، فضلاً عن استيلاء الكتابة على مساحة الفعل الثقافي كاملة، عقّد وظائف العنوان وعقد أنواعه، ونوع بين شكوله".[1]

ويقول أيضاً: "ومن ثم **فالعنوان مرسلة مستقلة مثلها مثل العمل الذي يعنونه،** ودون أدنى فارق، بل ربما كان العنوان أشد شعرية وجمالية من عمله في بعض الإبداعات".[2]

---

(١) العنوان وسميوطيقا العنوان، محمد فكري الجزار (١٥)

(٢) المصدر السابق (٣١)

الدراسات السابقة:

عمل العلماء على الربط بين الآيات المتتالية، وبين أول السورة وآخرها، وبين اسمها وفحواها، فيما صار يعرف فيما بعد بعلم المناسبات، حيث تناول هذا الأمر بعض المفسرين في مقدمة الحديث عن كل سورة، كما تحدثت كتب علوم القرآن عن توجيه بعض أسماء السور، ولكن كان هذا الأمر بشكل محدود ويحتاج إلى مراجعة.

ويُشكل تفسير برهان الدين البقاعي "نظم الدُّرر في تناسب الآيات والسُّور" معلَماً كبيراً في هذا الفن، إذ كان مشروعه العلمي في تفسيره متابعة المناسبات على مستوياتها المختلفة.

أما الإمام الزركشي رحمه الله فقد نبه إلى أهمية الأمر في كتابه البرهان بقوله: "ينبغي النظر في وجه اختصاص كل سورة بما سميت به، ولا شك أن العرب تراعي في الكثير من المسميات أخذ أسمائها من نادر أو مستغرب يكون في الشيء من خلق أو صفة تخصه، أو تكون معه أحكم أو أكثر أو أسبق لإدراك الرائي للمسمى. ويسمون الجملة من الكلام أو القصيدة الطويلة بما هو أشهر فيها، وعلى هذا جرت أسماء سور الكتاب العزيز، كتسمية سورة البقرة بهذا الاسم لقرينة ذكر قصة البقرة المذكورة فيها وعجيبة الحكمة فيها. وسميت سورة النساء بهذا الاسم لما تردد فيها من كثير من أحكام النساء... فإن قيل: قد ورد في سورة هود ذكر نوح وصالح وإبراهيم ولوط وشعيب وموسى عليهم السلام، فلمَ يُختص باسم هود وحده؟ وما وجه تسميتها به؟ وقصة نوح فيها أطول

وأوعب. قيل: تكررت هذه القصص في سورة الأعراف وسورة هود والشعراء بأوعب مما وردت في غيرها، ولم يتكرر في واحدة من هذه السور الثلاث اسم هود عليه السلام كتكرره في هذه السورة، فإنه تكرر فيها عند ذكر قصته في أربعة مواضع، والتكرار من أقوى الأسباب التي ذكرنا. وإن قيل: فقد تكرر اسم نوح في هذه السورة في ستة مواضع فيها، وذلك أكثر من تكرار اسم هود. قيل: لما جُردت لذكر نوح وقصته مع قومه سورة برأسها فلم يقع فيها غير ذلك كانت أولى بأن تسمى باسمه عليه السلام من سورة تضمنت قصته وقصة غيره، وإن تكرر اسمه فيها، أما هود فكانت أولى السور أن تسمى باسمه عليه السلام". [١]

ومن الأمثلة على اهتمام المفسرين بهذا الأمر ما فعله الدكتور وهبة الزحيلي في (التفسير المنير) حيث كتب في بداية كل سورة عن اسمها وسبب هذه التسمية، فمثلاً يقول: "سميت سورة العاديات لأن الله افتتحها بالقسم بالعاديات، وهي خيل المجاهدين المسرعة في لقاء العدو"، [٢] ويقول: "سميت سورة المعارج، لافتتاحها بقوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ (المعارج: ٤)، أي تصعد إليه الملائكة وجبريل الأمين..."، [٣] ويقول: "سميت سورة (الانفطار)، لافتتاحها بقوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾ ، [٤] ويقول: "سميت سورة الإنسان لافتتاحها

---

(١) البرهان في علوم القرآن، الزركشي (ج١، ٣٤٠)

(٢) التفسير المنير، وهبة الزحيلي (ج٣٠، ٣٦٦)

(٣) المصدر السابق (ج٢٩، ١٠٩)

(٤) المصدر السابق (ج٣٠، ٩٥)

بالتنويه بخلق الإنسان وإيجاده، بعد أن لم يكن شيئاً مذكوراً".[1] ومن خلال الاستعراض السريع لما ذكره الدكتور يتضح أنه **يكتفي بالإشارة السريعة للأمر، دون أن يتعمق في إظهار العلاقة بين التسمية وموضوعات السورة.**

أما الدكتور عبد الله شحاتة فقد تعرض في دراسته الرائعة (أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن) للأمر بنحو ما ذكره السابقون، فمثلاً يقول: "وسميت بسورة الأنبياء لأنه اجتمع فيها على قصرها كثير من قصص الأنبياء فسميت السورة باسمهم"،[2] ويقول: "وسميت (سورة المؤمنون) لافتتاحها بفلاح المؤمنين"،[3] ويقول: "وسميت بسورة النمل لاشتمالها على مناظرة النمل مع سليمان".[4]

وممن اهتم بهذا الموضوع الشهيد سيد قطب في الظلال، لكنه لم يتناول توجيه أسماء كل السور، وكان تناوله للأمر في الأعم الأغلب دون تركيز على الأمر بشكل خاص، وقد استفدنا من إشاراته حيثما وجدناها.

ولم نجد من خلال البحث المطول من أفرد لهذا الأمر كتاباً، أو مبحثاً مستقلاً، ولقد أشار إلى ذلك أ.د فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي في التقديم لرسالة علمية مطبوعة في الموضوع: "فلا أعرف أحداً كتب فيه مبحثاً مستقلاً قبل هذه الرسالة، وإنما كتابات متفرقة قي بطون الكتب والمصادر تصدت

---

(١) المصدر السابق (ج٢٩، ٢٧٩)

(٢) أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن، عبد الله شحاته، (ج١، ٤١١).

(٣) المصدر السابق (ج١، ٤٣٣)

(٤) المصدر السابق (ج١، ٤٧٥)

الأخت الدكتورة منيرة بنت محمد بن ناصر الدوسري لجمعها وتنسيقها، وأحسبها دراسة وافية".[١]

وبعد اطلاعنا على الرسالة المذكورة بعد طباعتها وجدنا أن الدكتورة قد بذلت جهداً ضخماً في استعراض أسماء السور وتصنيفها، وأسس بحثها لكثير من البحوث اللاحقة، ولكن توضيح علاقة اسم السورة بموضوعاتها لم يكن مُعمّقاً أو شافياً، فاجتهدنا أن نردف عملها بهذا البحث المتواضع، وكلنا أمل أن يكون له ما بعده بإذن الله تعالى.

بعد هذه المقدمات المختصرة لهذا البحث نضع بين يدي القراء الكرام ما فتح الله علينا في بضع وسبعين سورة من كتاب الله تعالى، ونعترف لحضراتكم الكريمة أننا وقفنا عاجزين أمام السور المتبقية بعد محاولات عدة، ونحن نعلم أن بعض السور سيكون اسمها أكثر وضوحاً من غيره، ولكن هي محاولات قاصرة أمام كلام الله الحكيم، فهو يغلب ولا يُغلب، وكلنا أمل أن يكون لها ما بعدها من الخير وحسن الفهم.

والله الموفق والهادي إلى كل خير

(١) أسماء سور القرآن وفضائلها، منيرة الدوسري ، (٨)

(١) سورة الفاتحة
مكية عدد آياها ٧، وترتيبها ١

يقول ابن فارس: "الفاء والتاء والحاء أصل صحيح يدل على خلاف الإغلاق".[١] ويقول الأصفهاني (٣٧٠): "وفاتحة كل شيء مبدؤه الذي يُفتح به ما بعده، وبه سُمّي فاتحة الكتاب، وقيل: افتتح فلان كذا إذا ابتدأ به".[٢]

وبناءً على المعنى الأول الذي يعني **إزالة حاجز** عن مكان مقصود وُلوجه، فكأن تسميتها بالفاتحة للدلالة على أن قراءها تساعد على إزالة الحواجز بين الإنسان وتلقي الهدايات الربانية، أو كأها تزيل الحواجز بين الإنسان والقرآن الكريم، وبعبارة أخرى قد يكون ما في السورة من معانٍ يؤدي إذا عقلها الإنسان إلى الفتح بين الإنسان وربه، ولذلك كان الأمر بقراءها في كل ركعة.

أما المعنى الآخر وهو **أول الشيء أو المقدمة** فلعل تسميتها بالفاتحة فيه إشارة أها مقدمة للقرآن، ومفتاح لمواضيعه، فمقتضى ذلك أها جامعة لأهم قضاياه، فالبشر حين يضعون مقدمة لكتبهم يحرصون على إبراز أهم افكار الكتاب في مقدمته، فمن يقرأ مقدمة كتاب يُشكّل صورة عامة عنه.

يقول الترابي في التفسير التوحيدي: "(الفاتحة) مفتتحة القرآن وأول سوره، وهي (أم الكتاب) التي جمعت معانيه وأجملتها في آياها القليلة العدد، وهي بذلك عبرة

(١) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ج٢، ٣٣٨)

(٢) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني (٣٧٠)

لما يُكتب في مقدمات الكتب التي يجتهد المؤلفون أن تختصر المحتوى المفصّل الكثير في بضع صفحات، فهي مقدمة تلخص كل معاني القرآن".[1]

ويقول البقاعي: "الغرض الذي سيقت له الفاتحة هو إثبات استحقاق الله تعالى لجميع المحامد وصفات الكمال، واختصاصه بملك الدنيا والآخرة، وباستحقاق العبادة والاستعانة، ومدار ذلك كله مراقبة العباد لربهم، لإفراده بالعبادة، فهو المختص بالعبادة، والمقصود من إرسال الرسل وإنزال الكتب نصب الشرائع، والمقصود من نصب الشرائع جمع الخلق على الحق، والمقصود من جمعهم تعريفهم الملك وبما يرضيه، وهو مقصود القرآن الكريم الذي تضمّنته الفاتحة بالقصد الأول".[2]

ويقول الإمام البيضاوي: "تشتمل على ما فيه من الثناء على الله تعالى، والتعبد بأمره ونهيه، وبيان وعده ووعيده، أو على جملة معانيه من الحكم النظرية والأحكام العملية التي هي سلوك الطريق المستقيم، والاطلاع على مراتب السعداء ومنازل الأشقياء".[3]

ولأهميتها ذكرها الله تعالى في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴾ (الحجر: ٨٧)، وعن أبي سعيد بن المعلى رضي الله عنه قال: كنت أصلي في المسجد فدعاني رسول الله ﷺ فلم أجبه، قلت: يا رسول

---

(١) التفسير التوحيدي، حسن الترابي (٣١)

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي (ج١، ١٢)

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي (ج١، ٥)

الله، إني كنت أصلي. فقال: ألم يقل الله: ﴿ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ ﴾ (الأنفال: ٢٤)، ثم قال: "ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد؟"، فأخذ بيدي، فلما أردنا ان نخرج قلت:يا رسول الله، إنك قلت: "ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن"؟، قال: الحمد لله رب العالمين، هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أُوتيته".[١]

وللسورة أسماء عدة، بعضها توقيفي والآخر اجتهادي، ومعظم الأسماء تدور حول الفكرة نفسها، وهي أن السورة تتضمن تلخيصاً للقرآن الكريم، وتجمع مقاصده الأساسية، ومن هذه الأسماء أم الكتاب، الأساس، أم القرآن.

ويقول **أستاذنا بسام جرار** لدى مراجعته للبحث في التعليق على اسم السورة: "سورة الفاتحة تُقرأ في بداية كل ركعة، فهي إذن مفتاح القبول، كما أن الفاتحة هي المدخل إلى فهم كتاب الله تعالى وتمثله، فهي تتضمن:

- الإقرار بأن المحامد هي لله تعالى الخالق الرازق الواهب المربّي.
- الإقرار بأن الرسالة الإسلامية هي من تجليات رحمة المربي.
- الإقرار باليوم الآخر، الذي هو مصير الإنسان حيث جاء القرآن الكريم مرشداً إليه.
- الإقرار بأن الله تعالى هو المعبود وحده، وهو المستعان وحده.

(١) صحيح البخاري، محمد اسماعيل البخاري (حديث:٤٤٧٤، كتاب تفسير القرآن، باب ما جاء في فاتحة الكتاب)

- بعد الإقرار بذلك يطلب المسلم الهداية إلى طريق أهل الحق الذين تجلت فيهم نعمة الله تعالى ورحمته".

هداية الاسم:

حمد الله تعالى المربي، واستمطار رحمته، والإقرار بأن المصير إليه، وإفراده بالعبودية والتوجه، مفتاح هداية الله تعالى لعباده، بما في ذلك هدايتهم لفهم كتابه عز وجل

(٢) سورة البقرة

مدنية عدد آياتها ٢٨٦، ورقمها ٢

يقول ابن فارس: "بقر: الباء والقاف والراء أصلان، وربما جمع ناس بينهما وزعموا أنها أصل واحد، وذلك البقر، والأصل الثاني التوسع في الشيء وفتح الشيء".[(١)]

ورد اسم السورة في الآيات (٦٧-٧٣)، بما يعادل صفحة واحدة من سبع وأربعين صفحة **٤٧/١**، وقد احتوت السورة على مواضيع كثيرة جداً مثل الحديث عن ممارسات بني إسرائيل، والحديث عن العبادات الأربع أركان الإسلام، كما تحدثت مطولاً في النظام الاجتماعي والاقتصادي، وعن أحكام متعلقة بالجهاد والقتال، كما تناولت الحديث عن قصص كثيرة: قصة آدم عليه السلام، وقصة بناء الكعبة، وقصة ملأ بني إسرائيل...، فما الحكمة أن يكون اسم السورة **البقرة**، مع ازدحام المواضيع التي تناولتها السورة؟

قد تكون تسمية السورة بالبقرة لأن قصة البقرة تتضمَّن ذم التلكؤ وتلمس المعاذير والحجج في التعامل مع التشريعات الإلهية، والدعوة إلى الاستسلام لله سبحانه والالتزام بأوامره بعيداً عن التنطع والتشدد.

يقول الترابي: "وقد أخذت اسم البقرة، إذ وردت فيها قصة بني إسرائيل مع أمر الله أن يذبحوا بقرة، وكانت ذا مغزى بالغ، وأوضح مثال لتعطيل أوامر الشرع

(١) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ج١، ١٤٥).

بالمجادلة المتنطعة تساؤلاً عن ثبوت جدية الخطاب، ثم مساءلة متفرعة بشعاب مقاصد الأمر وفروعه، متنطعة لتتعين ثنايا إيقاعه مفصلة، وتلك علة قد تفوت أصول الشريعة ومقاصدها الكلية وتعوّق نزول حقها مغازيَ في الواقع، موعظةً للمسلمين من سوء فقه الشريعة وعوق العمل بمهتداها، وتذكيراً بأن خطره في ضوء مسيرة المسلمين الخالفة".[١]

يقول طهماز : "موضوع سورة البقرة الإسلام لله تعالى، بمعنى الاستسلام الكامل لأحكامه القدرية والشرعية، والانقياد والإذعان لها، هذا هو الموضوع الأساسي لسورة البقرة والتي دارت آياتها كلها في فلكه".[٢]

ولقد كانت سورة البقرة من أوائل ما نزل في المدينة المنورة، وإن قصة البقرة درس لبني إسرائيل أخفقوا فيه، فلو ذبحوا أية بقرة لأجزأهم، ولكنهم شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم، وكأن في السورة توجيهاً للأمة الإسلامية المختارة أن تنأى عن هذا المنهج السقيم في التعامل مع التَّكاليف، بالمباشرة إلى تنفيذها، والكفِّ عن التوجه بأسئلة لا طائل منها إلى الرسول ﷺ ، التي تكون عاقبتها عادةً تكاليف شاقة وعسيرة. وكان الغرض من الأسئلة التي وجِّهت إلى النبي ﷺ في هذه السورة بيان التكليف، فلمَّا أبان القرآن الكريم حقيقة هذا التكليف وصورته التزم السائلون به، ولم يشدِّدوا على أنفسهم، من ذلك قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ ﴾ (٢١٧)، وقوله تعالى:

---

(١) التفسير التوحيدي، حسن الترابي (٣٩).

(٢) الإسلام لله تعالى في سورة البقرة، عبدالحميد محمد طهماز (٢١).

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾ (٢١٩).

والآيات السابقة نزلت ردًّا على أسئلة ترددت بين المسلمين، واجترأ بعضهم على توجيهها إلى النبي ﷺ ، والأجوبة عليها أحكام واضحة، وطريقة السؤال والجواب مختلفة في طبيعتها وروحها وثمارها عن التي وجَّهها اليهود إلى رسولهم في قصة البقرة.

ويقول طهماز: "وتدل قصتهم على شدة أدبهم مع الله تعالى ومع رسوله ﷺ ، واستسلامهم لأحكام دين الله وشرعه، واستفادتهم مما أدبهم الله تعالى به وأرشدهم إليه، كما مر عند قوله تعالى: ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ (١٠٨)، وكان لهذا الاستسلام والإذعان لأحكام دين الله تعالى؛ أثر كبير في تيسير أحكام الشريعة الإسلامية وتخفيف أحكامها".[١]

ولقد نهت نصوص كثيرة عن كثرة السؤال والتعنت فيه، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ (المائدة، ١٠١)، وقوله ﷺ في الحديث الذي يرويه أبو هريرة رضي الله عنه: "أيها الناس: قد فرض الله عليكم الحج فحجّوا، فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت. حتى قالها ثلاثاً. فقال رسول الله ﷺ : لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم.

---

(١) الإسلام لله تعالى في سورة البقرة، عبدالحميد محمد طهماز (٢٣٥)

ثم قال: ذروني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه"،[١] ففي الحديث إشارة إلى اليهود وغيرهم في تعاملهم السلبي مع أوامر الله تعالى.

وعنه أن النبي ﷺ قال: "آمركم بثلاث وأنهاكم عن ثلاث، آمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وتعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، وتطيعوا لمن ولاه الله عليكم أمركم، وأنهاكم عن قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال".[٢]

كما ذمّ الرسول ﷺ المتنطعين في الدين فقال: "**هلك المتنطعون**" قالها ثلاثاً.[٣]

قال صاحب المنار تعقيباً على هذا المعنى: "ولقد امتثل سلفنا لأمر الله تعالى، فلم يشددوا على أنفسهم، فكان الدين عندهم فطرياً وحنيفياً وسمحاً، ولكن من خلفهم عمد إلى ما عفا الله عنه فاستخرج له أحكاماً استنبطها باجتهاده حتى صار الدين حملاً ثقيلاً على الأمة فسئمته وملت وألقت وتخلت".[٤]

ويقول قطب تعقيباً على هذا الموضوع: "ولكن جسم السورة، بعد الجزء الأول منها، ينصرف إلى بناء الجماعة المسلمة وإعدادها لحمل أمانة العقيدة، والخلافة

---

(١) صحيح مسلم، مسلم النيسابوري (حديث ١٣٣٧، كتاب الحج، باب فرض الحج مرة في العمر)

(٢) السلسلة الصحيحة، الألباني (٦٨٥)

(٣) صحيح مسلم، مسلم النيسابوري (حديث ٢٦٧٠، كتاب العلم، باب هلك المتنطعون)

(٤) تفسير المنار، محمد رشيد رضا (ج١، ٢٨٣)

في الأرض بمنهج الله وشريعته. وتمييزها بتصورها الخاص للوجود، وارتباطها بربها الذي اختارها لحمل هذه الأمانة الكبرى".[1]

وباختصار قد يكون اختيار اسم البقرة عنواناً لهذه السورة دعوة للمؤمنين للتعامل مع التشريعات الربانية بعيداً عن انحرافات السابقين.

ومن خلال التأمل لآيات السورة نجد الارتباط الواضح بهذه المعاني التي تجمعها قصّة البقرة، وهي على النحو الآتي:

١. ذم التلكؤ في الاستجابة وتلمس المعاذير:

– الآيـــات التي تتحدث عن المنافقين والكافرين ومنها: ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ (٩)، ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴾ (١٣)، ﴿ وَإِذَا لَقُوا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوٓا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾ (١٤)،﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ﴾ (١١٨)، ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ﴾ (١٧٠)، ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ﴾ (٢٠٦).

– الآيات التي تتحدث عن بني إسرائيل ومنها: ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ ﴾ (٥٩)، ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب (ج١، ٣٥)

فَٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُخۡرِجۡ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ ﴾ (٦١)، ﴿ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ ﴾ (٧٦)، ﴿ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسۡمَعُواْۖ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا وَأُشۡرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡعِجۡلَ بِكُفۡرِهِمۡۚ ﴾ (٩٣)، ﴿ وَلَن يَتَمَنَّوۡهُ أَبَدَۢا بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾(٩٥)، ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ نَبَذَ فَرِيقٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ كَأَنَّهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ (١٠١).

الدعوة إلى الاستسلام لله تعالى والالتزام بأوامره:

- ﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ ﴾ (٣٤).
- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا وَٱسۡمَعُواْ ﴾ (١٠٤).
- ﴿ وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ (١٢٧) رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ ﴾ (١٢٧-١٢٨).
- ﴿ وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ (١٣٠) إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ (١٣١) وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ (١٣٠ – ١٣٢).

- ﴿ وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِۦمَ حَنِيفًاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ (١٣٥ – ١٣٦).
- قصة تحويل القبلة في الآيات (١٤٢-١٥٠) التي يتضح فيها امتحان المسلمين في استسلامهم لأمر الله تعالى، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ﴾ (١٤٣).
- الأحكام الشرعية المتعددة في: الصيام (١٨٣-١٨٧)، الحج (١٩٦-٢٠٣)، القصاص (١٧٨-١٧٩)، الوصية (١٨٠-١٨٢)، أحكام القتال (١٩٠-١٩٥، ٢١٦-٢١٧)، الخمر (٢١٩)، نكاح المشركين (٢٢١)، الحيض (٢٢٢-٢٢٣)، الأيْمان (٢٢٤-٢٢٦)، أحكام الطلاق (٢٢٧-٢٣٢، ٢٣٦-٢٣٧)، الرضاعة (٢٣٣)، العدة (٢٣٤، ٢٤٠)، الربا (٢٧٥-٢٨٠)، الدَّيْن (٢٨٢-٢٨٣).
- الآيات التي تتحدث عن الإنفاق وتحدد قبوله وثوابه بأن يكون في سبيل الله وابتغاء وجه الله تعالى، بعيداً عن الرياء والمنّ وتيمّم الخبيث (٢٦١-٢٧٤).
- ختام السورة جاء بصيغة التوجه الكامل إلى الله تعالى وإعلان السمع والطاعة لأمره ورسله، وطلب المغفرة للخطأ والنسيان (٢٨٥-٢٨٦)،

حيث ورد فيها قول المؤمنين: ﴿ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ (٢٨٥).

يقول طهماز في تعقيبه على الأحكام الشرعية في سورة البقرة: "وللسورة في أثناء عرضها لأحكام الشريعة بعض الوقفات والتعقيبات، شدتنا فيها إلى موضوعها الأساسي، وهو موضوع الاسلام لله تعالى والاستسلام لأحكامه، كقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ (٢٠٨). واستمرت الآيات على هذا النهج إلى أن تُوّجت خاتمتها بإبراز استسلام الصحابة رضي الله عنهم لأحكام دين الله، وبينت ارتباط ذلك بيسر الشريعة وسماحتها... وذلك في مقابل ما سبق عرضه في آياتها من تعنت بني إسرائيل وجحودهم، وخاصة في قصة موسى عندما أمر قومه بذبح البقرة، التي سميت السورة كلها باسمها، إشارة إلى تعنتهم وتقاعسهم عن الانقياد لأحكام الله تعالى".[1]

ويقول القرطبي: "ولما تقرر الأمر على ان قالوا: سمعنا وأطعنا، مدحهم الله وأثنى عليهم في هذه الآية، ورفع المشقة في أمر الخواطر عنهم، وهذه ثمرة الطاعة والانقطاع إلى الله تعالى، كما جرى لبني إسرائيل ضد ذلك من ذمهم وتحميلهم

(١) الإسلام لله تعالى في سورة البقرة، عبدالحميد محمد طهماز (٢٢)

المشقات من الذلة والمسكنة والانجلاء، إذ قالوا: سمعنا وعصينا، وهذه ثمرة العصيان والتمرد على الله تعالى، أعاذنا الله من نقمه بمنه وكرمه".[١]

ويمكن أن يضاف إلى الدلالة السابقة لقصة البقرة معنى آخر وهو **التأكيد على حقيقة البعث واليوم الآخر، وبيان قدرة الله تعالى**، يقول الشيخ الشعراوي: "إن اسم السورة قد أُخذ من قضية أساسية في الدين وهي الإيمان بالبعث. والإيمان بالبعث هو أساس الدين، فمن لم يؤمن بالآخرة والبعث والحساب يفعل ما يشاء في الدنيا دون وازع. لأنه ما دام ليس هناك بعث تصبح الدنيا غابة. ويصبح الدين بلا مفهوم... وسورة البقرة فيها تجربة حدثت مع بني إسرائيل. ورأوا البعث وهم ما زالوا في الدنيا، حين بعث الله سبحانه وتعالى قتيلاً لينطق باسم قاتله"،[٢] ومن الآيات الدالة على ذلك:

١. التأكيد على حقيقة البعث واليوم الآخر:

- ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ (٣).
- ﴿ وَبِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ (٤).
- ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (٢٨).
- ﴿ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾ (٤٦).

---

(١) تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، محمد القرطبي (ج٣، ٤٢٧)

(٢) تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي (ج١، ٩٥)

- ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا ﴾ (٤٨).
- ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ ﴾ (٦٢).
- ﴿ كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾ (٧٣).
- ﴿ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ ﴾ (١١٠).
- ﴿ وَلَوۡ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعَذَابِ ﴾ (١٦٥).
- ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَهُمۡ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحۡيَٰهُمۡ ﴾ (٢٤٣).
- ﴿ أَوۡ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرۡيَةٖ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٖ ثُمَّ بَعَثَهُۥۖ ﴾ (٢٥٩).
- ﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ ﴾ (٢٦٠).
- ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴾ (٢٨١).

٢. بيان قدرة الله تعالى:

- ﴿ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ (٢٢).

- ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٢٩).
- ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ (١١٧).
- ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (١٦٤).
- ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ ﴾ (٢٥٨).

ويربط (قطب) بين معاني قصة البقرة بقوله: "وفي هذه القصة القصيرة، كما يعرضها السياق القرآني، مجال للنظر في جوانب شتى.. جانب دلالتها على طبيعة بني إسرائيل وجبلتهم الموروثة. وجانب دلالتها على قدرة الخالق، وحقيقة البعث، وطبيعة الموت والحياة. ثم جانب الأداء الفني في عرض القصة بدءاً ونهاية واتساقاً مع السياق.. إن السمات الرئيسية لطبيعة بني إسرائيل تبدو واضحة في قصة البقرة هذه: انقطاع الصلة بين قلوبهم، وذلك النبع الشفيف الرقراق: نبع الإيمان بالغيب، والثقة بالله، والاستعداد لتصديق ما يأتيهم به الرسل، ثم التلكؤ

في الاستجابة للتكاليف، وتلمس الحجج والمعاذير، والسخرية المنبعثة من صفاقة القلب وسلاطة اللسان!".[1]

كما أشار **أستاذنا** بسام جرار لدى مراجعته للبحث إلى أمر مركزي في السورة تتضمنه قصة البقرة، ويبين أهمية هذه السورة التي هي أطول سورة في القرآن الكريم، وهي السورة الأولى فيه بعد الفاتحة، كما أنها سنام القرآن الكريم كما جاء في الأحاديث الشريفة، فيقول: "**لقد كان الأمر لبني إسرائيل بذبح البقرة لإعادتهم إلى الحقيقة وتصحيح تصوراتهم حول الإله المعبود،** فلقد أخذ الإسرائيليون عقيدة التقديس للبقر من الفراعنة، والقصة تشير إلى ذبح بقرة تتوافر فيها شروط البقرة المقدسة، فجاء الأمر بذبح البقرة كممارسة عملية للعقيدة السوية، وفي ذلك نبذ للعقائد الفاسدة من خلال الممارسة، كما أن ذبح البقرة، ثم ضرب الميت ببعضها، ثم انبعاث القتيل حياً فيه قلب للمعادلة، والعودة إلى حقيقة أن الإنسان مستخلف والمخلوقات الأخرى مسخرة للإنسان وخلقت من أجله وليس العكس.

من هنا جاءت سورة البقرة لتؤسس للتصور الصحيح عن خلق الإنسان وعلاقته بربه وبالكون، وهي تصحح التصورات والممارسات التي نشأت عبر المسيرة الطويلة للبشرية، وبعد أن تصحح التصورات تقوم بتشريع الممارسات التي تساعد في نبذ العقائد المنحرفة وتُعزّز العقائد السوية.

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب (ج١، ٧٧)

وحتى يكون تصحيح التصورات والأفكار مستقراً ودائماً، لا بد أحياناً من ممارسة عملية لنزع جذور الانحراف، كما أمر الله تعالى محمداً ﷺ بالزواج من مطلقة ابنه المتبنى زيد بن حارثة رضي الله عنه، وقد كان الأمر مقصوداً لإزالة فكرة التبني وإرجاع الأمور إلى أصولها.

والمتأمل للسورة يجد أنها تحرص على الرجوع إلى الأصول فقد ذكرت قصة آدم عليه السلام وركزت على موضوع الخلافة وأهمية دور الإنسان وكرامته على المخلوقات جميعاً، ثم كان الحديث عن أول بيت وضع للناس، كما كان فيها تصحيح القبلة وإرجاعها إلى الأصل (الكعبة)، ولكن بعد أن تَركَّز في نفوس المسلمين أن مكانة البيت الحرام هي بسبب علاقته مع الدين والأنبياء.

ومن الأمور البارزة التي تدل على ذلك معالجة أمر الأموال والتعامل المادي، فالناس بغير دين يكثر عندهم الجشع والأنانية وظلم الآخرين، فجاءت الآيات لتحض على الإنفاق بطريقة محفّزة وبأساليب شتى، ثم كان الحديث عن تحريم الربا واستبشاعه وإعلان الحرب على القائمين عليه، ثم كانت آية الدين التي وضعت القواعد وأسست لبناء عادل مستقيم.

وخلاصة القول إن السورة تناولت موضوعاتها قضايا أساسية في مجالات الحياة، وأشارت إلى انحراف البشرية في هذه المجالات، وبينت كيف عالج الدين هذا الانحراف، كما عالجت قصة البقرة قضية عقدية انحرف فيها بنو إسرائيل في تقديسهم للعجل".

هداية الاسم:

اسم (البقرة) فيه تصحيح للتصورات،
والدعوة إلى الاستجابة لأوامر الله تعالى وعدم التلكؤ في تنفيذها

- ذكر صاحب الكشاف عن تغيير ترتيب القصة حيث جُعلت بدايتها خاتمة، فقال: "كل ما قُصّ من قصص بني إسرائيل خاصة في سورة البقرة إنما قُصّ تعديداً لما وُجد منهم من الجنايات، وتقريعاً لهم عليها، ولما حدث فيهم من الآيات العظام، فكان التقريع أولاً على استهزائهم وترك المسارعة والامتثال".[1]
- ويقول الشيخ طنطاوي في الحكمة من أمرهم بذبح بقرة دون غيرها من الحيوانات حيث يقول: "لأنها من جنس ما عبدوه وهو العجل، وفي أمرهم بذلك تهوين لشأن هذا الحيوان الذي عظموه وعبدوه، فكأنه سبحانه يقول لهم: إن هذا البقر الذي يُضرب به المثل بالبلادة، لا يصلح أن يكون معبوداً من دون الله تعالى، وإنما يصلح للحرث والسقي والعمل والذبح".[2] ومما يؤكد ما ذهب إليه الشيخ أن الله تعالى طلب من بني إسرائيل أن يذبحوا بقرة صفراء تسر الناظرين للتعريض بالعجل الذهبي الذي عبدوه، والله أعلم.
- أما عن حكمة الله تعالى في كشف القاتل فيقول ابن عاشور: "وإنما تعلقت إرادة الله تعالى بكشف حال من قتل القتيل مع أنه ليس أول قتيل طُلَّ دمه في الأمم (أي أهدر وأُبطل فلم يُثأر له)، إكراماً لموسى عليه السلام أن يضيع دمٌ في قومه وهو بين أظهرهم وبمرأى ومسمع منه، لا سيما وقد قصد القاتلون استغفاله ودبروا المكيدة في إظهار المطالبة بدمه، فلو لم يُظهر الله تعالى في أمة لضعف يقينها برسولها، ولكان ذلك مما يزيدهم شكاً في صدقه فينقلبوا كافرين".[3]

---

(١) تفسير الكشاف، الزمخشري (ج١، ١٨٢)

(٢) التفسير الوسيط، محمد سيد طنطاوي (ج١، ١٦٤)

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور (م١، ج١، ٥٦١)

(٣) سورة آل عمران

مدنية، عدد آياتها ٢٠٠، ورقمها ٣

يقول الأصفهاني في كلمة (آل): "خُصّ بالإضافة إلى أعلام الناطقين دون النكرات ودون الأزمنة والأمكنة، يقال آل فلان ولا يقال آل رجل ولا آل زمان كذا أو موضع كذا، بل يضاف إلى الأشرف الأفضل... ويستعمل فيمن يختص بالإنسان اختصاصاً ذاتياً إما بقرابة قريبة أو بموالاة".(١) ويقول جرار في كتابه من أسرار الأسماء: "كلمة (آل) تُستخدم في بيان شرف من يؤول إليهم الإنسان، أو شرف من يؤولون إليه".(٢)

و(آل عمران) هم: عمران وامرأته وابنته مريم وابنها عيسى عليهم السلام، وقد ورد اسم السورة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (٣٣)، ولم يُذكر نوح عليه السلام في السورة في غير هذه الآية، كما لم يُذكر آدم عليه السلام في غير هذه الآية إلا مرة واحدة في معرض الحديث عن عيسى عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ (٥٩)، أما آل إبراهيم فقد كان ذكرهم في معرض الحديث عن الرسل عليهم السلام، وقد تناولت السورة الحديث عن

---

(١) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني (٣٠)

(٢) من أسرار الأسماء، بسام جرار (٥٥)

آل عمران بشكل مفصل في الآيات (٣٤-٣٧، ٤٢-٦٢)، وتكرر ذلك بشكل مشابه في سورة مريم.

ومن الملاحظ أن آية الاسم ذكرت أن الاصطفاء كان لآدم ونوح وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين، ومعروف أن آدم ونوحاً وإبراهيم وكثيراً من آل إبراهيم هم أنبياء، عليهم السلام جميعاً، وفي المقابل فإن النبوة لم تثبت في آل عمران لغير عيسى عليه السلام، وهذا يعني أن الاصطفاء يمكن أن يكون لغير الأنبياء، وإن كان الاصطفاء درجات، فاصطفاء الأنبياء يختلف عن اصطفاء الناس العاديين، **فيكون في اختيار الاسم ما يرفع الهمة ويفتح الباب لمن ينوي الوصول إلى المراتب العالية من خلال سلوك الطرق الموصلة إلى الاصطفاء.**

وقد ورد في السورة الحث على المسارعة إلى الجنات وما أعد الله فيها للمتقين الذين يبذلون من أجل الله ودينه، ويرجعون إلى الله تعالى ويتوبون إليه، ولا يصرون على المعصية التي يقعون فيها، ويرتقون إلى الاصطفاء الذي أراده الله لهم، وقد ورد ذلك في ثنايا الحديث عن غزوة أحد في قوله تعالى: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴾ (١٣٣ – ١٣٦).

وكان الحديث عن أهل الكتاب ومجادلتهم في الآيات (٦٤-٨٧، ٩٣-٩٩)، حيث بينت ارتكاسهم بسبب نقض العهد مع الله تعالى، وتحريف كلامه من أجل متاع الدنيا، فهم كأمة لم يرتقوا إلى الاصطفاء الذي يرضاه الله تعالى، مع تأكيد الآيات أنهم ليسوا سواءً، فمنهم من حافظ على درجة من الخيرية التي حباهم الله بها.

أما الحديث المطول عن غزوة أحد في الآيات (١٢٠-١٢٨، ١٣٩-١٧٥)، وما ظهر فيها من هفوات لبعض الصحابة: من حرص على الغنائم ومخالفة أمر الرسول ﷺ، فللتأكيد على أنهم كانوا بشراً عاديين، ولكنهم ارتقوا بأنفسهم من خلال الاستجابة لأوامر الرسول ﷺ في موقعة حمراء الأسد، رغم كل ما أصيبوا به، وهو ما أشار إليه قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ﴾ (١٧٢-١٧٤)، وهذا يؤكد على أن الاصطفاء يمكن أن يكون لمن تعثر، فقد ذكرت السورة عن الصحابة أنهم مصطفون في قوله تعالى عنهم: ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ ﴾ (١١٠).

ومما يؤكد ما ذهبنا إليه في فتح باب الاصطفاء للبشر كافة، اصطفاء الأمة الإسلامية بتوريثهم هذا القرآن، وهو ما بينته الآية الكريمة في سورة فاطر في قوله

تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴾ (فاطر: ٣٢).

يقول ابن عاشور: "فبعد أن ذُكّر بفضيلة كتابه وهو أمر قد تقرر لديه، زِيد تبشيراً بدوام كتابه وأنبيائه أمة هم المصطفون من عباد الله تعالى، وتبشيره بأنهم يعملون به ولا يتركونه كما ترك أمم من قبلهم كتبهم ورسلهم". [١]

ويقول ابن كثير: ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ ﴾: وهو المفرط في فعل بعض الواجبات، المرتكب لبعض المحرمات، ﴿ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ﴾: وهو المؤدي للواجبات التارك للمحرمات وهو قد يترك بعض المستحبات ويفعل بعض المكروهات، ﴿ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾: وهو الفاعل للواجبات والمستحبات، التارك للمحرمات والمكروهات وبعض المباحات". [٢]

وقول ابن كثير رحمه الله في تفسير الأصناف الثلاثة موضع خلاف ونقاش طويل بين العلماء، ولكن يؤيده الحديث الشريف الذي رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ في هذه الآية "هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة وكلهم في الجنة". [٣]

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور (م٩، ج٢٢، ص٣١١).

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (ص ١٤١٩).

(٣) سنن الترمذي (الجامع الصحيح)، الترمذي (حديث: ٣٢٢٥).

وقال ابن العربي في شرحه للحديث: "من الناس من قال: إن هذه الأصناف الثلاثة هم الذين في سورة الواقعة: أصحاب الميمنة، وأصحاب المشأمة، والسابقون. وهذا فاسد لأن أصحاب المشأمة في النار الحامية، وأصحاب سورة فاطر في جنة عالية، لأن الله ذكرهم بين فاتحة وخاتمة، فأما الفاتحة فهي قوله: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ (فاطر: ٣٢)، فجعلهم مصطفين. ثم قال في آخرهم: ﴿ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا ﴾ (فاطر: ٣٣)، ولا يصطفى إلا من يدخل الجنة".[1]

كما جاء في الآية الكريمة التي ذكرت الاصطفاء قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴾ (فاطر: ٣٢)، وهذا يعني أن هذه الأصناف الثلاثة تُعطى أكثر مما عملت، على الرغم من تقصير بعضها.

ومن خلال دراسة السورة يمكن القول: إن السورة تبين **معالم الاصطفاء ومعارجه**، وهذه المعالم مستقاة من ثنايا الآيات التي تحدثت عن آل عمران، وهذه المعالم هي: البذل والعطاء لله ودينه، التبتل والدعاء لله عز وجل، التوحيد لله عز وجل والإخلاص له، ويمكن ملاحظة هذه المعالم في السورة على النحو الآتي:

---

(١) عارضة الأحوذي شرح سنن الترمذي، ابن العربي (م ٦، ج ١٢، ٧٥)

١. **البذل والعطاء لله ودينه:** فقد ذكر الله تعالى على لسان امرأة عمران قولها: ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ (٣٥)، وهذا السلوك مبثوث في السورة، ومن أمثلة ذلك:

- وصفه تعالى للمتقين الذين يستحقون الجنة في بداية السورة: ﴿وَٱلْمُنفِقِينَ﴾ (١٧).
- وصفه تعالى للفئة التي ينصرها ويؤيدها: ﴿فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ (١٣).
- قوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ (٩٢).
- قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا﴾ (١٦٩).

٢. **التبتل والدعاء لله عز وجل:** فقد ذكر الله تعالى عن امرأة عمران قولها: ﴿فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ (٣٥)، وقولها: ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ (٣٦)، كما أمر تعالى مريم بعد اصطفائها: ﴿يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ (٤٣)، وهذا المعنى بارز جداً في السورة ومن ذلك:

- قوله تعالى على لسان أولي الألباب: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ (٨ – ٩).

- قوله تعالى في وصف المتقين: ﴿ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴾ (١٦ - ١٧).
- قوله تعالى في الحديث عن زكريا عليه السلام: ﴿ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾ (٣٨).
- قوله تعالى في توجيه زكريا عليه السلام: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴾ (٤١).
- قوله تعالى على لسان الحواريين: ﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ (٥٣).
- قوله تعالى في وصف فئة من أهل الكتاب: ﴿ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾ (١١٣).
- قوله تعالى على لسان أتباع الرسل الصادقين: ﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (١٤٧).
- وتختم السورة بآيات مطولة (١٩٠-١٩٥) في وصف جميل لأولي الألباب ودعائهم لله تعالى، ومنها قوله تعالى: ﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴾ (١٩٣).

٣. **التوحيد لله عز وجل والإخلاص له**: وقد ورد هذا المعنى في قوله تعالى على لسان امرأة عمران: ﴿ مُحَرَّرًا ﴾ (٣٥)، وقوله تعالى على لسان عيسى عليه السلام عند عرضه للمعجزات أمام قومه: ﴿ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ (٤٩)، وقوله تعالى على لسان عيسى عليه السلام أيضاً: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ (٥١)، وهذا الأمر فيه تعريض بأهل الكتاب الذين اتخذوا عيسى إلهاً من دون الله، وهذا المعنى يتضح في الآيات الآتية من السورة:

- إعلان وحدانية الله تعالى في افتتاحية السورة بقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ (٢).
- قوله تعالى: ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (٦).
- قوله تعالى: ﴿ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ (١٣).
- قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (١٨).
- قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ﴾ (٢٠).
- قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (٢٦ – ٢٧).

- قوله تعالى: ﴿ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (٦٢).
- قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (٦٤).
- قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ (٦٧).
- قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ﴾ (٨٠).
- قوله تعالى: ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ (٨٣).
- قوله تعالى: ﴿ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ (٨٤ – ٨٥).
- قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (١٠٢).

وهذه الصفات الثلاث السابقة المؤهلة للاصطفاء ذُكرت في بيان صفات المتأسّين برسول الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (الأحزاب: ٢١)، فالمتأسون برسول الله ﷺ يرجون فيدعونه ويحلفون به ويرجون اليوم الآخر فيبذلون ويضحون.

كما يُلاحظ من خلال التأمل للسورة أنها تعرض للأمور **المُعينة على الاصطفاء والموجهة إليه** ويتبين ذلك في العرض الآتي:

١. **اتباع التعليمات الإلهية المتمثلة بالكتب السماوية:** فالإنسان الذي يريد بلوغ درجة الاصطفاء لا بد له من التلقي من الخالق العليم ليصل إلى هذه الدرجة العظيمة، ويبرز ذلك في السورة من خلال المواضع الآتية:

- استهلت السورة بالحديث عن الكتب السماوية في قوله تعالى: ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ﴾ (٣-٤).
- الراسخون في العلم يؤمنون بما أنزل الله تعالى ويدعون ربهم أن لا تزيغ قلوبهم عن هداية الله تعالى في الآيتين (٧-٨).
- ذكرت الآية (٣١) أن اتــّباع الرسول ﷺ دليل على محبة العبد لربه وطريق لمزيد من المحبة من الله ومغفرة الذنوب.
- كان مما امتنه الله على عيسى عليه السلام أنه: ﴿ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾ (٤٨).
- بينت الآية (٧٩) أن تعليم الكتاب ودراسته طريق للربانية في قوله تعالى: ﴿ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾.
- طلب الله من نبيه ﷺ والمؤمنين من بعده الإيمان بما أنزل الله تعالى من كتب وتعليمات هادية في قوله تعالى: ﴿ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ

مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ (٨٤).

– مدح الله تعالى طائفة من أهل الكتاب بأنهم: ﴿ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾ (١١٣)، وفي آخر السورة أعاد مدحهم في قوله: ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ (١٩).

٢. **العلم**: فالعلم من أهم الأمور التي تقود إلى الاصطفاء، وقد ركزت السورة على بيان أهمية العلم والدراسة، وبيان فضل العلماء وربطتهم مع الله تعالى والأنبياء، في مثل قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ ﴾ (٧)، وقوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ ﴾ (١٨)، وقوله تعالى: ﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ﴾ (٦١)، وقوله تعالى: ﴿ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ (٧٩).

٣. **موالاة المؤمنين والتناصر بينهم والتعاون معهم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**: وهذا الأمر هام جداً في ثبات الإنسان على جادة الحق وارتقائه إلى درجة الاصطفاء، وقد ركزت السورة على هذا المعنى إبتداءً من تسمية

السورة بآل عمران حيث لم تُسمّ بعمران وإنما بآله للإشارة إلى أهمية التجمع والتعاون في الوصول إلى الاصطفاء، ومن الآيات التي تتناول هذا الأمر:

- ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ (٢١).
- ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ ﴾ (٢٨).
- ﴿ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ﴾ (٥٢).
- ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ ﴾ (٨١).
- ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ ﴾ (١٠٣).
- ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (١٠٤).
- ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ ﴾ (١١٠).
- ﴿ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ (١١٤).
- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا ﴾ (١١٨).

ولعل هذا المعنى واضحاً في الحديث الذي يذكر قصة الرجل الذي قتل تسعاً وتسعين نفساً حيث نصحه العالم أن يترك بلده التي هو فيها، ويرحل إلى بلد أخرى يعبد الله مع أهلها.

٤. **تربية النفوس على حب الآخرة:** تناولت عدة آيات في السورة الدعوة إلى زيادة الرغبة في الاخرة وعدم التعلق بالدنيا وزينتها، ومن هذه الآيات:

- ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴾ (١٤-١٧).
- النعي على أهل الكتاب في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ (٧٧).
- ﴿ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ (١٤٥).
- ﴿ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ﴾ (١٥٢).

وخلاصة القول: **إن السورة تفتح باب الاصطفاء والارتقاء للبشر كافة، وتضع معالمه والأمور التي تؤهل له ومنها البذل والتجرد والتوحيد، كما تعرض للأمور المعينة على الاستمرار في الارتقاء ومنها اتباع الوحي وموالاة المؤمنين والرغبة في الآخرة.**

هداية السورة:

الاصطفاء الرباني باب مفتوح للبشر جميعاً، ولكنه يحتاج للأخذ بأسبابه والاجتهاد في طلبه

• ربطت بعض الأحاديث بين سورتي البقرة وآل عمران، وسمتهما الزهراوين، وكأن في ذلك إشارة إلى أنه بعد الاستسلام لله عز وجل في سورة البقرة، يأتي فتح الباب للاصطفاء في سورة آل عمران للآخذين بأسبابه والصابرين عليها.

(٤) سورة النساء

مدنية، عدد آياتها ١٧٦، وترتيبها ٤

يقول ابن منظور: "نسا النِّسوة والنُّسوة، بالكسر والضم، والنِّساء والنِّسوان والنُّسوان: جمع المرأة من غير لفظه... قال ابن سيده: والنساء جمع نسوة إذا كثرن، ولذلك قال سيبويه في الإضافة إلى نساء نِسوي فردَّه إلى واحده".(١)

وقد أورد ابن منظور عدة معان في الباب عند أهل اللغة منها: "النسيان وهو ضد الذكر والحفظ، من قوله تعالى: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ (التوبة، ٦٧)".(٢)

ويقول الأصفهاني: "فالنسي أصله ما ينسى كالنقض لما ينقض، وصار في التعارف اسماً لما يقل الاعتداد به".(٣) ويبدو أن هذا المعنى هو ما تمارسه كثير من المجتمعات، حيث تعتبر المرأة مُؤَخَّرةً في الرأي والعمل.

والسورة تعرض لموضوع المرأة كرمز للمستضعفين، حيث أنها مستضعفة في كثير من المجتمعات، وهي الحاضن للطفل الذي هو من فئات المستضعفين، ترضعه وتُربّيه، وكذلك اليتيم الذي فقد أباه فهي تعتني به وترعاه. وإن مما جاء الدين له نصرة المستضعفين، والحفاظ على حقوقهم، لأنه يسهل الاعتداء عليهم وأكل حقوقهم. وقد وردت كلمة المستضعفين في السورة ٤ مرات (٧٥، ٩٧، ٩٨، ١٢٧)، ولم تُذكر في غير هذه السورة إلا في سورة الأنفال في قوله

---

(١) لسان العرب، ابن منظور (ج ١٥، ٣٧٤)

(٢) المصدر السابق (ج١٥، ٣٧٥-٣٧٧)

(٣) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني (ص ٤٩١)

تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ (الأنفال: ٢٦). وتركز السورة في هذه الآيات على أن أهم أهداف القتال في سبيل الله نصرة المستضعفين.

وقد جاء الدين لتصحيح أوضاع البشر المنحرفة، وواضح أن المرأة أصابها جور كبير من هذا الانحراف. حيث وضحت السورة الدور الكبير الذي تلعبه المرأة، وهو الدور الذي لا ينتبه له كثير من الناس لعدم ترتب مردود مادي واضح عليه، وعادة لا تهتم المجتمعات بالفئات التي لا يبرز دورها في الإنتاج والقتال، مع أن الاهتمام بهذه الفئات يعتبر عنواناً للمجتمعات المتحضرة، وتجاوز المجتمع لحقوق المستضعفين المالية وغير المالية دليل على انحرافه وانحطاطه.

ورد اسم السورة معرفاً ومنكراً (النساء، نساء) ١٧ مرة في ١٦ آية أي بنسبة ١٠٪ من عدد آيات السورة تقريباً، وقد ورد الاسم في القرآن ٥٧ مرة أي أن نسبة ورود الاسم في السورة ثلث ما ورد في القرآن الكريم، كما ورد لفظ نسائكم ونسوة والمرأة والزوجة في السورة عدة مرات.

وقد يكون من المنطقي تسمية السورة بالنساء لكثرة الحديث في السورة عن النساء والأحكام المتعلقة بها، ومن هذه المحاور والأحكام:

١. المرأة أحد العنصرين الذين تكاثر عنهما الإنسان، وذلك في الآية الأولى من السورة.

٢. مساواة النساء بالرجال فيما هو من خصائص الإنسانية، فشرعت الكسب للنساء كالرجال، وأرشدت كلاً منهما إلى تحري الفضل والخير من الأموال

بالعمل دون التمني والتشهي، كما أنه ليس للمرأة أن تطمع فيما وراء مؤهلاتها الطبيعية وكذلك الرجل، وذلك في الآيتين (٣٢-٣٣)،.

٣. للنساء ثواب أعمالهن الصالحة، وأن مسئوليتهن عن أعمالهن مسئولية مستقلة عن مسئولية الرجل، فهي إنسان مكلف مسئول، وذلك في الآية (١٢٤).

٤. للمرأة الحرية التي للرجل في ذاتها وأموالها، وذلك في الآيتين (١٩-٢٠).

٥. نظام الزواج تكريم للمرأة والأسرة، فحظرت السورة التزوج بأصناف من النساء حفظاً لروابط لا ينبغي أن تعرّض للفساد عبر الزواج، وذلك في الآيات (٢٣-٢٥).

٦. الزواج ميثاق **غليظ** وليس عقد تمليك أو نوع من الاسترقاق كما كان قبل الإسلام عند العرب وغيرهم، وذلك في الآية (٢١).

٧. قوامة الرجال على النساء، والتي تعني الإشراف والرعاية بحكم القدرة الطبيعية، وبحكم الكد والعمل، والقوامة واجب أكثر منه حق، وذلك في الآية (٣٤).

٨. للزوج سلطة التأديب والتقويم عندما تشذ الزوجة، فوضحت السورة طريقين للإصلاح أوكلت إحداهما للرجل، والثانية للتحكيم، وذلك في الآيات (٣٤-٣٥، ١٢٨)، أما الرجل فهناك أكثر من جهة توكل لتأديبه وتقويمه.

ولكن السورة تناولت عدة موضوعات، فما علاقة هذه الموضوعات باسم السورة؟، ولاستيضاح هذه العلاقة نستعرض أولاً موضوعات السورة:

١. أحكام تتعلق بالمرأة: (١-٥، ١١-١٣، ١٩-٢٥، ٣٢-٣٦، ٧٥، ٩٨، ١٢٤-١٣٠، ١٧٦) ٣٠ آية.

٢. أحكام تتعلق بالأيتام والذرية: (٢، ٦، ٨-١٢، ٢٣، ٧٥، ٩٨، ١٢٧، ١٧٦) ١٢ آية.

٣. الإصلاح بين المتخاصمين: (١٦، ١٩-٢١، ٣٤-٣٥، ٨٥، ١١٤، ١٢٨، ١٣٠، ١٣٥) ١١ آية.

٤. الأموال والميراث: (٢، ٤-٥، ١٠-١٢، ١٩-٢١، ٢٤-٢٥، ٢٩، ٣٣-٣٤، ٣٧-٣٨، ٥٨، ٨٥، ١٠٥-١١٣، ١٢٧، ١٦١، ١٧٦) ٣٠ آية.

٥. المنافقون: (٦٠-٧٣، ٧٧-٨٣، ٨٨-٩١، ١٠٧-١١٥، ١٣٧-١٤٦) ٤٤ آية.

٦. أهل الكتاب:(٤٥-٥٥، ٦٠، ١٢٣، ١٥٠-١٦١، ١٧١-١٧٣) ٢٨ آية.

٧. الصلاة: (٤٣، ١٠١-١٠٣، ١٤٢، ١٦٢) ٦ آيات.

٨. الاحتكام إلى الشريعة: (٥٩-٧١، ٨٣، ١٠٥-١١٣) ٢٣ آية.

٩. العدل: (٥٨، ١٠٥-١١٣) ١٠ آيات.

١٠. الجهاد والقتال في سبيل الله: (٧٤-٨٤، ٩٤-١٠٤) ٢٢ آية.

وتتضح العلاقة بين اسم السورة وموضوعاتها بملاحظة تركيز السورة على القضايا ذات الأثر الهام في البناء المجتمعي، مما يؤكد أن إعطاء النساء حقوقهن، بدءاً من النظرة الإيجابية لدورهن في هذا البناء، له أعظم الأثر في البناء الاجتماعي المتين. والقضايا المجتمعية التي تناولتها السورة هي:

١. العدل: برز الأمر به في السورة في موضعين في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ ﴾ (٥٨)، وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ إِن يَكُنۡ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرٗا فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْۚ ﴾ (١٣٥)، كما تجلّى في السورة الحرص على تطبيق العدل حتى مع غير المسلمين في المجتمع المسلم، وذلك في قصة اليهودي الذي اتهم بالسرقة، وعتاب الله تعالى لرسوله ﷺ ، وتوصية الله للمسلمين بالحكم بالقسط في الآيات (١٠٥-١١٣) ومنها قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ﴾ (١٠٥).

٢. تحريم قتل المؤمن للمؤمن لما في ذلك من خلخلة للبناء المجتمعي، وهو الأمر الذي ورد في الآيات (٩٢-٩٣).

٣. الحث على إفشاء السلام في الآية (٨٦) لما فيه من تمتين الروابط الاجتماعية، وفي المقابل ضبط النجوى في الآية (١١٤). لما في كثير منها من المردود السلبي على المجتمع.

٤. من أهم عوامل الترابط المجتمعي الطاعة للقيادة والانضباط وقد ورد هذا المحور في الآيات (٤٦، ٥٩-٧٠، ٧٢، ٨٣، ١١٥، ١٤٦)، ومنها قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ ﴾ (٨٣).

٥. الصلاة: قد لا ينتبه الناس إلى أهمية الصلاة في البناء المجتمعي، وتحصينه في مواجهة الأعداء الخارجيين، لذا تكرر الحديث عن الصلاة في عدة مواضع: منها الآية (٤٣)، والتي تتناول بشكل أساسي التيمم، والآية (١٠١) التي تتناول موضوع قصر الصلاة، والآية (١٠٢) والتي تتناول موضوع صلاة الخوف لبيان الحرص على الصلاة في أحلك الظروف، يقول شلتوت: "فبتكليف المؤمنين بالصلاة وقت الحرب والاشتغال بقتال الأعداء وفي حال ترقب الموت، دليل واضح على أهمية هذا الواجب في تزكية النفوس وفي الحصول على رضاء الله وعطفه".[1]

وتؤكد الآية (١٠٣) على ضرورة الالتزام بمواقيت الصلاة في كل الأحوال، كما خصت الآية (١٦٢) إقامة الصلاة من بيان صفات الراسخين في العلم في قوله تعالى: ﴿ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ مِنۡهُمۡ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَۚ وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَٱلۡمُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤۡتِيهِمۡ أَجۡرًا عَظِيمًا ﴾ (١٦٢)، **وفي المقابل** وصفت الآية (١٤٢) المنافقين بأنهم: ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ ﴾ (١٤٢).

٦. ومن علامات البناء المجتمعي المتماسك نصرة المستضعفين، حيث أن الاهتمام بهم يعتبر عنواناً للمجتمعات المتحضرة، وتجاوز المجتمع لحقوقهم دليل على انحرافه وانحطاطه. وقد ركزت السورة على هذا الموضوع وذلك في الآيات (٧٥، ٩٧، ٩٨، ١٢٧). كما تناولت موضوع اليتامى والحرص عليهم في آيات

(١) تفسير القرآن الكريم، محمود شلتوت (٢٥٦)

كثيرة فأمرت بالمحافظة على أموال اليتامى واستثمارها لما فيه فائدهم (٢، ٥، ٦)، كما حثت على الاهتمام بهم (٨)، وحذرت بشدة من أكل أموالهم (١٠).

٧. عنيت السورة بوضع أحكام بخصوص المال، من شأنها إذا روعيت وطبقت حق التطبيق أن تزيد من التماسك الاجتماعي حيث أن المال هو قوام الحياة، ﴿ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَـٰمًا ﴾ (٥).

٨. التحذير من اتباع الشهوات حيث أن انتشار الشهوات في المجتمع يؤدي إلى الانحراف الهائل، كما أن الشهوات هي مدخل هام للشيطان ويضعف كثير من الناس أمامها، وهو ما تناولته الآيتان (٢٧-٢٨) في قوله تعالى:﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ ضَعِيفًا ﴾ (٢٧ – ٢٨).

٩. المنافقون الذين يعتبرون عنصراً هاماً في إضعاف المجتمع، ولذلك تناولت آيات عديدة من السورة كشف حقيقتهم وذكر أوصافهم لتحد من أثرهم السلبي على المجتمع وذلك في الآيات (٦٠-٧٣، ٧٧-٨٣، ٨٨-٩١، ١٠٧-١١٥، ١٣٧-١٤٦).

يقول شلتوت في التعليق على تسمية السورة: "وكم تنبض قلوب النساء فرحاً لتكريم الله لهن وعنايته بهن حينما يسمعن أو يعلمن أن القرآن الكريم عرض لهن في هذه السور كلها، وأن من بين السور سورتين سميتا باسمهن وعالجتا كثيراً من شئوهن من أطوار حياهن كلها، من عهد الطفولة إلى عهد الزوجية والأمومة، وأن إحدى السورتين تبدأ بخطاب الناس جميعاً وتردهم بذكورهم وإناثهم إلى

أصل واحد، تنتظمهم جميعاً رحم واحدة، وأن الأخرى، وهي الصغرى، تبدأ بخطاب الرسول بوصف النبوة فيما تعرض له من أحكام". [١]

ويقول أيضاً: "إن احتفاظ الأمم بكيانها يرتبط بأمرين عظيمين: الاستقرار الداخلي، والاستقرار الخارجي.

فالاستقرار الداخلي: أساسه صلاح الأسرة، وصلاح المال في ظل تشريع قوي عادل مبني على مراعاة مقتضيات الطبيعة الإنسانية، مجرد من تحكيم الأهواء والشهوات، وذلك إنما يكون إذا كان صادراً عن حكيم خبير بنزعات النفوس واتجاهاتها، تمتلئ النفس بعظمته وقوته، وغيرته على تشريعاته ومحارمه.

والاستقرار الخارجي: أساسه احتفاظ الأمة بشخصيتها، والاستعداد لمقاومة الشر الذي يطرأ عليها، والعدو الذي يطمع فيها. وسورة النساء تكفلت بوضع أسس الأحكام التي تصلح بها هذه النواحي". [٢]

هداية السورة

المرأة ركن أساس في المجتمع، وهي رمز للمستضعفين ومحضن لكثير منهم، أولئك الذين يسهل الاعتداء عليهم ولا يؤبه لخطورة دورهم. فجُعلت السورة عنواناً لهم تنبيهاً على حقوقهم

---

(١) تفسير القرآن الكريم، محمود شلتوت (١٦٥)

(٢) المصدر السابق (١٦٩)

- ختمت السورة بقوله تعالى: ﴿ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴾ (١٧٦)، وهذا التركيز على تبيين الأحكام المتعلقة بالمرأة وحقوقها أكدت عليها ثلاث آيات بعد عرض مطول لأحكام تتعلق بالأسرة، وذلك في قوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾ (٢٦ – ٢٨).

ويتضح من الآيات رحمة الله بعباده بإنزال التشريعات اللازمة لحياتهم، والتي تحمل الحرص والهداية والتخفيف، وفي الوقت نفسه تبين الآيات موقف المعادين للبشرية والحريصين على مصالحهم الشخصية والتحكم في الآخرين.

(٥) سورة المائدة

مدنية، عدد آياتها ١٢٠، وترتيبها ٥

يقول الأصفهاني: "الميد: اضطراب الشيء العظيم كاضطراب الأرض... وقيل هو الممتد من العيش، وميَدان الدابة منه، والمائدة الطبق الذي عليه الطعام، ويقال لكل واحد منهما مائدة، ويقال مادني يميدني أي أطعمني".[١]

تناولت السورة جانب التشريع بإسهاب إلى جانب العقيدة وقصص أهل الكتاب، يقول قطب: "ويتضمن سياق السورة أحكاماً شرعية منوعة: منها ما يتعلق بالحلال والحرام من الذبائح والصيد. ومنها ما يتعلق بالحلال والحرام في فترة الإحرام، وفي المسجد الحرام. ومنها ما يتعلق بالحلال والحرام من النكاح، ومنها ما يتعلق بالطهارة والصلاة. ومنها ما يتعلق بالقضاء وإقامة العدل فيه. ومنها ما يتعلق بالحدود في السرقة، وفي الخروج على الجماعة المسلمة. ومنها ما يتعلق بالخمر والميسر والأنصاب والأزلام. ومنها ما يتعلق بالكفارات في قتل الصيد مع الإحرام وفي اليمين. ومنها ما يتعلق بالوصية عند الموت. ومنها ما يتعلق بالبحيرة والسائبة والوصيلة والحامي من الأنعام. ومنها ما يتعلق بشريعة القصاص في التوراة مما جعـــله الله كذلك شريعة للمسلمين .. وهكذا تلتقي الشرائع بالشعائر في سياق السورة بلا حاجز ولا فاصل".[٢]

---

(١) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني (ص ٤٧٧)

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب (ج٢، ٨٢٧)

وقد ورد ذكـــر اسم السورة في قوله تعالى في نهاية السورة: ﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (١١٢ - ١١٥).

ومن خلال التأمل في الآيات التي ورد فيها الاسم يلاحظ أنها تتضمن عدة محاور أهمها:

١. **الطعام**: وهو واضح في طلب الحواريين مائدة من السماء ليأكلوا منها، وتأكد ذلك في دعاء عيسى عليه السلام أن تكون المائدة عيداً، حيث أن من أهم مظاهر العيد هو الطعام والشراب.

٢. **الميثاق**: وهـــذا المعنى مأخوذ من قـــول الحـــواريين: ﴿ وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ (١١٣) ، وفي تهديد الله سبحانه وتعالى لمن يكفر بعد نزولها: ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (١١٥)، وفي ذلك ميثاق بينه وبينهم، وفي مبالغة العذاب ما يدل على أن كفرهم فيه مع الكفر زيادة، وهو النقض للميثاق.

٣. **تصحيح الاعتقاد حول عيسى عليه السلام:** ويبدو هذا جلياً في سؤال الحواريين: ﴿ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ ﴾ (١١٢) ، وفي قول عيسى عليه السلام: ﴿ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ ﴾ (١١٤). كما يظهر أن الآيات جاءت في سياق الحديث عن اليوم الآخر، وما يتضمنه من تذكير الله لعيسى بنعمه عليه، قبل الحديث عن المائدة، وبعد الحديث عن المائدة كان سؤال الله تعالى لعيسى عليه السلام حول اتخاذ الناس له ولأمه إلهين من دون الله، وبيان حقيقة دعوة عيسى عليه السلام التوحيدية.

وعند دراسة السورة نجد أنها تتناول المحاور السابقة كما في العرض الآتي:

١. **الطعام:** وحديث السورة عن الطعام ملفت للنظر، فهي أكثر سورة تتحدث عن أحكام الطعام وما يتعلق به، وقد بينت الأساس التشريعي للتحليل والتحريم في الطعام، حيث قال تعالى: ﴿ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ﴾ (٤)،قال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ﴾ (٥) ، و قوله تعالى: ﴿ وَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴾ (٨٨)، مما يعني أن كل طيب حلال، وكل خبيث حرام، ومن القضايا التي تناولتها السورة في هذا الموضوع:

- أحكام الصيد: ومن الآيات في ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟ ﴾ (٢)، وقوله تعالى: ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ ﴾ (٤)، وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ ﴾ (٩٤)، وقوله تعالى: ﴿ لَا

تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ ﴾ (٩٥)، وقوله تعالى: ﴿ أُحِلَّ لَكُمۡ صَيۡدُ ٱلۡبَحۡرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِلسَّيَّارَةِۖ وَحُرِّمَ عَلَيۡكُمۡ صَيۡدُ ٱلۡبَرِّ مَا دُمۡتُمۡ حُرُمٗاۗ ﴾ (٩٦).

– تفصيل أحكام المطعومات: وذلك في قوله تعالى: ﴿ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ﴾ (١)، وقوله تعالى: ﴿ حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلۡمُنۡخَنِقَةُ وَٱلۡمَوۡقُوذَةُ وَٱلۡمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيۡتُمۡ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ ﴾ (٣) ، وقوله تعالى: ﴿ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمۡ وَطَعَامُكُمۡ حِلّٞ لَّهُمۡۖ ﴾ (٥)، وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ ﴾ (٩٠)، و قوله تعالى: ﴿ أُحِلَّ لَكُمۡ صَيۡدُ ٱلۡبَحۡرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِلسَّيَّارَةِۖ وَحُرِّمَ عَلَيۡكُمۡ صَيۡدُ ٱلۡبَرِّ مَا دُمۡتُمۡ حُرُمٗاۗ ﴾ (٩٦).

– برزت في السورة خاصية التيسير في أحكام المطعومات، حيث يميل البشر عادة إلى التضييق على أنفسهم في هذا الجانب، وقد أبرزت السورة هذا الميل في قوله تعالى: ﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٖ وَلَا سَآئِبَةٖ وَلَا وَصِيلَةٖ وَلَا حَامٖ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ ﴾ (١٠٣). كما نهت الآية (١٠١) عن كثرة السؤال والتنطع وتحميل النفس غير ما شُرع في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ ﴾ (١٠١). كما ذكرت عدة آيات التيسير، فبعد ذكر المحرمات من الأطعمة في الآية (٣) يقول تعالى: ﴿ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ ،

وقوله تعالى بعد تحريم الخمر: ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ (٩٣).

- الإطعام أول مراحل كفارة اليمين وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ ﴾ (٨٩).
- التحليل والتحريم حق لله وحده: قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ (٨٧)، وقوله تعالى: ﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ۙ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ ﴾ (١٠٣).
- الالتزام بأمر الله تعالى يؤدي إلى الإكرام من الله تعالى، ومن مظاهر هذا الإكرام الإطعام، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ۚ ﴾ (٦٦).

٢. **الميثاق:** تفتتح السورة بقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ﴾، وقد سمى كثير من العلماء السورة بسورة العقود، والعقد ميثاق بين الإنسان وغيره، وقد يكون ميثاقاً مع الله تعالى، وقد تناولت آيات كثيرة في السورة هذا الموضوع في عدة محاور هي:

أولاً: الميثاق مع الله تعالى: قال تعالى: ﴿ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ ﴾ (٧)، قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ

نَقِيبًا ﴾ (١٢)، وقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ ﴾ (١٤). ويقول قطب: "افتتاح السورة على هذا النحو، والمضي فيها على هذا النهج يعطي كلمة (العقود) معنى أوسع من المعنى الذي يتبادر إلى الذهن لأول وهلة. ويكشف عن أن **المقصود بالعقود هو كل ضوابط الحياة التي قررها الله**. وفي أولها عقد الإيمان بالله؛ ومعرفة حقيقة ألوهيته سبحانه، ومقتضى العبودية لألوهيته. هذا العقد الذي تنبثق منه، وتقوم عليه سائر العقود؛ وسائر الضوابط في الحياة. وعقد الإيمان بالله؛ والاعتراف بألوهيته وربوبيته وقوامته؛ ومقتضيات هذا الاعتراف من العبودية الكاملة، والالتزام الشامل والطاعة المطلقة والاستسلام العميق".[1]

ويقول الطبري: "يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ ﴾، يا أيها الذين أقرّوا بوحدانية الله، وأذعنوا له بالعبودية، وسلموا له الألوهية وصدَّقوا رسوله محمدًا ﷺ في نبوته وفيما جاءهم به من عند ربهم من شرائع دينه. ﴿ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ ﴾، يعني: أوفوا بالعهود التي عاهدتموها ربَّكم، والعقود التي عاقدتموها إياه، وأوجبتم بها على أنفسكم حقوقاً، وألزمتم أنفسكم بها لله فروضاً، فأتمُّوها بالوفاء والكمال والتمام منكم لله بما ألزمكم بها، ولمن عاقدتموه منكم، بما

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب (ج٢، ٣٠٥)

أوجبتموه له بها على أنفسكم، ولا تنكثُوها فتنقضوها بعد توكيدها". [1]

وقد برز في السورة الحديث عن إنزال الكتب والشرائع التي تعتبر ميثاقاً بين الله وخلقه، ومن هذه الآيات:

- قوله تعالى بعد الأمر بالوفاء بالعقود: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾ (١).
- ذكّر الله تعالى بعد ذكر المحرمات من الأطعمة بإكمال الدين واعتباره الميثاق بينه وبين الخلق في قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ (٣).
- اعتبرت الآيتان (١٣-١٤) أن نسيان ما نزَّل الله تعالى وتحريفه هو نقض للميثاق، وأكدت الآيات (١٥-١٦)، (١٩) إقامة الحجة على أهل الكتاب بإرسال محمد ﷺ الذي جاء للبشر كافة يبين لهم ويحمل معه النور الساطع.
- استنكرت آيات كثيرة على أهل الكتاب نقضهم للميثاق بتحريفهم لشرائع الله تعالى والاعتداء على رسله، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ ﴾ (١٣)، وقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ

(١) جامع البيان في تأويل آي القرآن، الطبري (م٤، ج٦، ٦٣)

يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ﴾ (٤١) ، وقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴾ (٧٠).

– وفي المقابل شددت آيات عديدة في السورة على الحكم بما أنزل الله، واعتبرت عدم الاحتكام إلى شرع الله كفر وفسق وظلم، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ (٤٤)، وقوله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ (٤٥)، وقوله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ (٤٧)، ويعلق قطب على الآية الأخيرة في السورة: "وختام يتناسق مع السورة التي تتحدث عن الدين، وتعرضه ممثلاً في اتباع شريعة الله وحده، والتلقي منه وحده، والحكم بما أنزله دون سواه.. إنه المالك الذي له ملك السماوات والأرض وما فيهن، والمالك هو الذي يحكم: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ (٤٤)، إنها قضية واحدة.. قضية الألوهية.. قضية التوحيد .. وقضية الحكم بما أنزل الله.. لتتوحد الألوهية، ويتحقق التوحيد".[1]

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب (ج٢، ١٠٠٢)

-عرضت الآيات (٢٠-٢٦) نموذجاً على نقض الميثاق من قبل بني إسرائيل مع نبيهم موسى عليه السلام، كما تناولت الآيات (٢٧-٣١) نموذجاً آخر من نقض الميثاق من قِبَل ابن آدم الذي قتل أخاه.

ثانياً: **الميثاق مع البشر: تناولت آيات كثيرة في السورة الحديث عن المواثيق بين البشر والمجتمعات،** حيث تحدثت الآيات (٥١-٥٨) عن موضوع الولاء بين المؤمنين وتحريم موالاة الكافرين. كما جاء بيان عدة حدود في السورة، والتي تعتبر عقوبة للاعتداء على المواثيق المجتمعية والسلم الأهلي، فتناولت الآيتان (٣٨-٣٩) بيان حد السرقة، كما تناولت الآيات (٣٢-٣٤) بيان حد الحرابة. وكان التعليل الأساس لتحريم الخمر قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ﴾ (٩١). كما ركزت آيتان متفرقتان على العدل والموضوعية، في قوله تعالى:﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ﴾ (٢)، ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ﴾ (٨).

وتُظهر السورة أهمية خاصة للصلاة التي تقوي الميثاق مع الله تعالى، وهي في الوقت نفسه مظهر لالتزام الإنسان بهذا الميثاق، وهي تدريب عملي يومي حيث أن دوام الصلاة والتوجه للكعبة تعمل على القيام الصحيح للمجتمعات، ومن الآيات التي تناولت موضوع الصلاة آية

الوضوء (٦)، وكانت إقامة الصلاة من شرائط الميثاق مع بني إسرائيل في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ (١٢)، وعدَّت السورة أهم صفات حزب الله تعالى إقامة الصلاة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴾ (٥٥)، كما علل تحريم الخمر بقوله: ﴿ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ ﴾ (٩١). وفي قوله تعالى: ﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ ﴾ (٩٧)، إشارة إلى الدور الخطير الذي تؤديه الكعبة في حياة البشر، من خلال توجه عبادتي الصلاة والحج، حيث يتوجه المسلم في صلاته يومياً لها. كما عرّضت الآيات بالكفار الذين يستهزئون بالصلاة في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا ﴾ (٥٨)، وكانت الوصية لاستكمال الشهادة أن يُحبس الشاهدان بعد الصلاة، في قوله تعالى: ﴿ تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ (١٠٦).

٣. **تصحيح العقائد حول عيسى عليه السلام:** ركزت السورة على مناقشة النصارى وبيان انحرافهم الكبير في تصوراتهم عنه، ويلاحظ أن هذا النقاش يبدأ عنيفاً بتقرير كفر من يدعي أن الله هو المسيح بن مريم، في قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًاۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَاۚ يَخْلُقُ

مَا يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ (١٧)، وهو ما يؤكده قوله تعالى: ﴿ لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ ﴾ (٧٢)، والإنكار عليهم في عقيدة التثليث في قوله تعالى: ﴿ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ ﴾ (٧٣) ، وتأتي الآيات (٧٤-٧٧) بمزيد من البراهين والأدلة على فساد هذه التصورات المنحرفة.

يقول قطب: "هذا الدرس بطوله بقية في **تصحيح العقيدة**؛ وتقويم ما دخل عليها عند النصارى من انحرافات أخرجتها عن أصلها السماوي عند قاعدتها الأساسية. إذ أخرجتها من التوحيد المطلق الذي جاء به عيسى عليه السلام كما جاء به كل رسول قبله، إلى ألوان من الشرك، لا علاقة لها أصلاً بدين الله.

ومن ثم فإن هذا الدرس كذلك يستهدف تقرير حقيقة الألوهية وحقيقة العبودية -كما هي في التصور الإسلامي- تقرير هذه الحقيقة من خلال هذا المشهد العظيم الذي يعرضه؛ والذي يقرر فيه عيسى عليه السلام على ملأ من الرسل، ومن البشر جميعاً، أنه لم يقل لقومه شيئا مما زعموه من ألوهيته ومن تأليه أمه؛ وأنه ما كان له أن يقول من هذا الشرك كله شيئاً!

والسياق القرآني يعرض هذه الحقيقة في مشهد تصويري من مشاهد القيامة التي يعرضها القرآن الكريم عرضاً حياً ناطقاً، موحياً مؤثراً، عميق التأثير، يهتز له

الكيان البشري وهو يتلقاه كأنما يشهده اللحظة في الواقع المنظور. الواقع الذي تراه العين، وتسمعه الأذن. وتتجلى فيه الانفعالات والسمات النابضة بالحياة".[1]

هداية السورة:

الاحتكام إلى شرع الله تعالى في كل مناحي الحياة من غير مغالاة، والتزام ميثاقه، يعصم من الانحرافات السلوكية والعقدية

- سورة المائدة من أواخر ما نزل من القرآن الكريم، وفيها بيان الأحكام بصورتها النهائية وخاصة في الأطعمة.
- واسم المائدة يرتبط بشكل وثيق مع النصارى، حيث ناقشت السورة عقائدهم وبينت فسادها وانحرافها، وكأنها في ذلك تشير إلى الصراع الطويل بين المسلمين وأصحاب هذه العقائد الفاسدة، وفي حديثها عن اليهود كان التركيز على عدم دخولهم الأرض المقدسة، وتفنيد ادعائهم أنهم أبناء الله وأحباؤه وتشنيع ممارستهم للقتل، والأمور الثلاث المذكورة مرتبطة بشكل واضح بواقع اليهود في فلسطين.

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب (ج٢، ٩٩٦)

(٦) سورة الأنعام

مكية عدد آياها ١٦٤، ورقمها ٦

يقول الأصفهاني: "والنَّعم مختص بالإبل، وجمعه أنعام، وتسميته بذلك لكون الإبل عندهم أعظم نعمة، لكن الأنعام تقال للإبل والبقر والغنم، ولا يقال لها أنعام حتى يكون في جملتها الإبل".[١]

ويقول ابن فارس: "النون والعين والميم فروعه كثيرة، وعندنا أنها على كثرتها راجعة إلى أصل واحد، يدل على ترفه وطيب عيش وصلاح".[٢]

لم تعرض السورة كالسور الطوال الأربع قبلها لشيء من الأحكام التنظيمية لجماعة المسلمين، كالصوم والحج في العبادات، والعقوبات في الجنايات، والمداينة والربا في الأموال، وأحكام الأسرة في الأحوال الشخصية، كما لم تذكر في قليل ولا كثير شيئاً يتعلق بالقتال، ولم تتحدث عن أهل الكتاب باستثناء الحديث عن تحريم بعض المأكولات من الأنعام عليهم، ولم تتحدث عن المنافقين، وليس فيها نداء واحد للمؤمنين باعتبارهم جماعة تنتظمها وحدة الإيمان.

ويدور الحديث فيها بقوة حول المحاور الأولى للدعوة، وذلك بالحجة المتكررة، والتنويع في الإقناع، فتركز على توحيد الله في الخلق والعبادة، وتذكر موقف المكذبين وتقص ما حصل مع الأقوام السابقة، من خلال التنبيه إلى الدلائل في

(١) المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد الأصفهاني (ص ٤٩٩)

(٢) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ج٢، ٥٦٧)

الأنفس والآفاق، وتذكر إبراهيم عليه السلام وجملة من أبنائه، وتعرض لحال المكذبين يوم الحشر.

يقول قطب: "إنها في جملتها تعرض حقيقة الألوهية.. تعرضها في مجال الكون والحياة، كما تعرضها في مجال النفس والضمير، وتعرضها في مجاهيل هذا الكون المشهود، كما تعرضها في مجاهيل ذلك الغيب المكنون.. وتعرضها في مشاهد النشأة الكونية والنشأة الحيوية والنشأة الإنسانية، كما تعرضها في مصارع الغابرين واستخلاف المستخلفين، وتعرضها في مشاهد الفطرة وهي تواجه الكون، وتواجه الأحداث، وتواجه النعماء والضراء، كما تعرضها في مظاهر القدرة الإلهية والهيمنة في حياة البشر الظاهرة والمستكنة، وفي أحوالهم الواقعة والمتوقعة.. وأخيراً تعرضها في مشاهد القيامة، ومواقف الخلائق وهي موقوفة على ربها الخالق".[١]

وهذه المحاور التي يتضح أنها تركز على محاور العقيدة وتوحيد الألوهية هي:

١. قضية الألوهية وعبادة الله وحده: ورد الحديث عن هذا المحور في الآيات: (١-٣، ٦، ١٢-١٤، ١٧-١٩، ٣٨، ٣٩-٤١، ٤٦-٤٧، ٥٦، ٥٩-٦٥، ٧١-٧٣، ٩٥-١٠٣، ١١٥، ١١٧، ١٣٣-١٥١، ١٦١-١٦٥)، ومن هذه الآيات: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾(١٤)، ﴿ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ (١٩)، ﴿ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ (٥٦)،

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب (ج٢، ١٠١٦)

﴿ قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا ﴾ (٧١)، ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾(١٠٢)، ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ﴾ (١٦٢-١٦٣)، ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ (١٦٤).

٢. الحاكمية لله تعالى، التحريم والتحليل لله وحده: ورد ذلك في الآيات: (١١٨-١٢٦، ١٣٦-١٤٠، ١٤٢-١٥٣).

٣. قضية الوحي والرسل ومنهجهم وموقف أقوامهم: ورد ذلك في الآيات: (٤-١١، ١٩، ٢٥، ٣٣-٣٧، ٤٢-٤٥، ٤٨-٥٨، ٦٦-٧١، ٧٤-٩٣، ١٠٦، ١٠٩-١١٧، ١٢٣-١٢٤، ١٥٤-١٥٩، ١٦١-١٦٤)، ومن هذه الآيات: ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾ (١٩)، ﴿ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ﴾ (٥٠)، ﴿ ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ (١٠٦)، ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾(١١٤)، ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾(١٢٤).

٤. قضية البعث والجزاء والحديث عن الآخرة وذلك في الآيات: (١٢، ١٥-١٦، ٢٢-٢٤، ٢٧-٣٢، ٦٠، ٦٧، ٧٣، ٩٣-٩٤، ١٢٧-١٣٠، ١٦٠)، ومن هذه الآيات: ﴿ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ (١٢)، ﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (٣٢)،

﴿ لِّكُلِّ نَبَإٖ مُّسۡتَقَرّٞۚ وَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴾ (٦٧)، ﴿ وَيَوۡمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُۚ قَوۡلُهُ ٱلۡحَقُّۚ وَلَهُ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ ﴾ (٧٣)، ﴿ ثُمَّ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ (٦٠).

وقد ردت كلمة الأنعام (بالتعريف والتنكير والإضافة) في القرآن الكريم ٣٢ مرة، ورد منها في سورة الأنعام ٦ مرات ثلاث منها في آية واحدة وهذه الآيات التي في السورة هي:

١. ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلۡحَرۡثِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ نَصِيبٗا ﴾ (١٣٦).
٢. ﴿ وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنۡعَٰمٞ وَحَرۡثٌ حِجۡرٞ لَّا يَطۡعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعۡمِهِمۡ وَأَنۡعَٰمٌ حُرِّمَتۡ ظُهُورُهَا وَأَنۡعَٰمٞ لَّا يَذۡكُرُونَ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا ٱفۡتِرَآءً عَلَيۡهِۚ ﴾ (١٣٨).
٣. ﴿ وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ خَالِصَةٞ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِنَاۖ ﴾ (١٣٩).
٤. ﴿ وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ حَمُولَةٗ وَفَرۡشٗاۚ ﴾ (١٤٢).

فما علاقة الاسم بمحاور السورة؟

واضح أن سياق الآيات التي ورد فيها الاسم يتناول جانب التحليل والتحريم والاحتكام إلى الشريعة، والتحليل والتحريم من الأمور الخطيرة الهامة التي لا ينبغي لأحد من الناس أن يدعيها لنفسه، وليست من شان البشر، وهي منوطة بالله تعالى، فهو وحده الخالق الحاكم، الذي يعلم خصائص الأشياء والذي يخلق كل شيء لغايته، فله سبحانه الخلق والأمر، وعلى الناس أن يلتزموا حدود ما شرع

الله تعالى لهم، وإن التعدي على هذا الحق وإعطاءه لأحد آخر شرك بالله تعالى، كما قال عدي بن حاتم الطائي: أتيت النبي ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب، فقال: يا عدي اطرح عنك هذا الوثن، وسمعته يقرأ في سورة براءة: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ (التوبة: ٣١) ، قال : أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلّوا لهم شيئاً استحلّوه، وإذا حرّموا عليهم شيئاً حرّموه".(١)

ومن انحرافات البشر -في هذا الموضوع- تحريم بعض ما أحل الله تعالى، ظناً منهم أن هذا مما يقربهم إلى الله تعالى، والعرب الذين نزل عليهم القرآن الكريم كان عندهم بقايا دين إبراهيم وإسماعيل عليهم السلام، ولكنهم أدخلوا في عقائدهم وشرائعهم كثيراً من الأمور الشركية، فكانت هذه السورة المكية تعالج هذا الانحراف الذي يؤدي إلى كثير من التصرفات السلبية تصل إلى قتل الأولاد، وقد ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ﴾ (١٣٧).

والأصل أن التحليل والتحريم لا يكون إلا عن طريق الوحي الإلهي والشرع النبوي: ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ ﴾ (١٤٥).

(١) سنن الترمذي (الجامع الصحيح)، الترمذي (حديث ٣٠٩٥)

يقول قطب: "والقضية الكبرى التي تعالجها السورة هي قضية الألوهية والعبودية في السموات والأرض، في محيطها الواسع، وفي مجالها الشامل.. ولكن المناسبة الحاضرة في حياة الجماعة المسلمة حينذاك، المناسبة التطبيقية لهذه القاعدة الكبيرة الشاملة، هي ما تزاوله الجاهلية من حق التحليل والتحريم في الذبائح والمطاعم، ومن حق تقرير بعض الشعائر في النذور من الذبائح والثمار والأولاد".[1]

ويكثر في السورة الحديث حول أحقية الله وحده في التشريع للبشروالاحتكام له سبحانه في كافة نواحي الحياة، والأنعام رمز لتصرف البشر بوحي من شركائهم في حق الله وحده في التحليل والتحريم، وللتدليل على حق الله وحده تحتشد في السورة الآيات التي تبين صفات الله تعالى التي تستلزم حق التشريع والعبادة، ولا تجعل لأحد سواه الحق فيهما، ومن ذلك:

١. العلم الكامل: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾ (٥٩)، ﴿ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًا ﴾ (٨٠)، ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ﴾ (١٣، ١١٥)، ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾ (١٠١)، ﴿ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾ (١٨، ٧٣).

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب (ج٢، ١٠١٨)

٢. القدرة والسيطرة: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١٧)، ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ ﴾ (١٨، ٦١)، ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا ﴾ (٦٥).

٣. الهداية: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ ﴾ (١٢٢)، ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ ﴾ (١٢٥).

٤. الإبداع في الخلق: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ ﴾ (٩٥) ، ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ (٩٩)، ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (١٠١) ، ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ ﴾ (١٤١).

٥. الرحمة: ﴿ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ ﴾ (١٢)، ﴿ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١٦٥).

٦. المجازاة في الآخرة: ﴿ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴾ (٦٢) ، ﴿ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ﴾ (٩٣).

ومن جهة أخرى: فمن خلال استعراض مواضع ذكر الأنعام في القرآن الكريم فسنجدها ترمز لأمرين: النعمة، وضعف الإدراك.

- أما بالنسبة **للنعمة** ففوائد الأنعام كثيرة جداً لا يستغني عنها البشر، وقد فصلت سورة النحل هذه الفوائد في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ

فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (النحل: ٥-٧) ، والنعمة تستوجب الشكر، وأعظم الشكر أن يضعها الإنسان في موضعها ويؤدي حقها، ملتزماً بما أمر به الخالق المنعم، وبالذات فيما يتعلق بالنعمة نفسها، ومن حق المنعم سبحانه أن يكون له وحده تعالى التحليل والتحريم، وقد جاءت السورة حاشدة بالتوجيهات المتعلقة بالنعم، ومن ذلك:

- الشكر لله تعالى على نعمه: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ﴾ (١).
- إيتاء حق النعمة دون تأخير: ﴿ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ﴾ (١٤١).
- الانضباط في استعمال النعم دون تجاوز الحد المقبول: ﴿ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ (١٤١).
- الالتزام بأوامر الله تعالى وحده: ﴿ كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ ﴾ (١٤٢)، وقوله تعالى: ﴿ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴾ (١٤٠).
- أما بالنسبة لكون الأنعام رمزاً للبله وضعف الإدراك، والذي ورد في موضعين من القرآن الكريم، وهما قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ

﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ﴾ (الأعراف:١٧٩)، وقوله تعالى: ﴿أَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيۡهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمۡ تَحۡسَبُ أَنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَسۡمَعُونَ أَوۡ يَعۡقِلُونَۚ إِنۡ هُمۡ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَٰمِۖ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (الفرقان: ٤٣ – ٤٤)، فيتناسب مع الآيات العديدة في السورة التي تتحدث عن عدم استفادة المشركين من الآيات المبثوثة في النفس والآفاق االدالة على الله تعالى وإبداع خلقه، وكذلك يتكرر في السورة الحديث عن الشركاء وتخليهم عن شركائهم، وهو ما يدل على غاية البله والغباء في استبدال هؤلاء الشركاء بالله تعالى، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ﴾ (١)، وقوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ نَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ أَيۡنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمۡ تَكُن فِتۡنَتُهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ٱنظُرۡ كَيۡفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡۚ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾ (٢٢-٢٤)، وقوله تعالى: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتَكُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوۡ أَتَتۡكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَدۡعُونَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلۡ إِيَّاهُ تَدۡعُونَ فَيَكۡشِفُ مَا تَدۡعُونَ إِلَيۡهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوۡنَ مَا تُشۡرِكُونَ﴾ (٤٠-٤١)، ﴿وَلَقَدۡ جِئۡتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَتَرَكۡتُم مَّا خَوَّلۡنَٰكُمۡ وَرَآءَ ظُهُورِكُمۡۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمۡ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ أَنَّهُمۡ فِيكُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيۡنَكُمۡ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ﴾ (٩٤).

هداية السورة:

النعم تستوجب الشكر، ومن مقتضيات الشكر التسليم لله وحده بحق التحليل والتحريم، ومن لم يقبل فهو من أعظم المشركين

- في السورة مشهد إبراهيم الفتى في الآيات (٧٤-٨٣)، وهو يتدرج في بحثه عن المستحق الحقيقي للعبادة ووصوله إلى الخالق الحق، ومحاجَّته قومه في توحيد الله تعالى، تخلل هذه الآيات إعلان إبراهيم عليه السلام الاستسلام لله وحده في قوله تعالى: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٧٩)، وفي تفرد السورة بهذا الجزء من حياة إبراهيم عليه السلام تبكيت للمشركين الذين لا يستفيدون من كل ما أعطاهم الله من أدوات وما أحاطهم به من دلالات.
- تمتاز سورة الأنعام بتقديم الحكمة على العلم في التذييل على الآيات في مثل قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ (٨٣)، وقوله تعالى: ﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ (١٣٩)، وهذا يشير إلى أهمية الحكمة في التشريع، والتي تعني وضع الأمر في موضعه.
- الاستهلال بالحمد كما كان في سور أخرى أربع (الفاتحة، الكهف، سبأ، فاطر) وكلها سور مكية، وفي هذا الاستهلال تنويه بأن النعم كلها من الله، وبالتالي هو وحده من له حق التصرف والتشريع.

(٧) سورة الأعراف

مكية عدد آياتها ٢٠٦، ورقمها ٧

يقول الأصفهاني: "والعُرْف: المعروف من الإحسان، قال تعالى: ﴿ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ ﴾ (الأعراف: ١٩٩)، وعُرف الفرس والديك معروف، وجاء القطا عُرفاً أي متتابعة، قال تعالى: ﴿ وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ﴾ (المرسلات: ١) . وقد عرُف فلان عرافة إذا صار مختصاً بذلك، فالعريف السيد المعروف".[١]

وقال الفيروزآبادي: "والعرف، بالضم: الجود، واسم ما تبذله وتعطيه، وموج البحر، وضد النكر، واسم من الاعتراف... والعريف، رئيس القوم، سمي لأنه عُرف بذلك".[٢]

ويقول المصطفوي: "والتحقيق أن الأصل الواحد في المادة هو اطلاع على شيء وعلم بخصوصياته وآثاره، وهو أخص من العلم، فإن المعرفة تمييز الشيء عما سواه وعلم بخصوصياته، فكل معرفة علم ولا عكس".[٣]

وقـــد ورد الاسم في قوله تعالى: ﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَىٰهُمْ ﴾ (الأعراف: ٤٦) ، وقد ذكر المفسرون أقوالاً كثيرة في بيان من هم أصحاب الأعراف، ومن ذلك:

---

(١) المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد الأصفهاني (ص ٣٣٢)

(٢) القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ص ٨٥٢)

(٣) التحقيق في كلمات القرآن الكريم، المصطفوي (ج٨، ١١٧)

يقول ابن كثير: "واختلفت عبارات المفسرين في أصحاب الأعراف من هم؟ وكلها قريبة ترجع إلى معنى واحد، وهو أهم قوم استوت حسناهم وسيئاهم".(١)

ويقول الفخر الرازي في تفسيره: "ولقد كثرت الأقوال فيهم وهي محصورة في قولين: أحدهما: أن يقال **إهم الأشراف من أهل الطاعة وأهل الثواب**، الثاني: أن يقال إهم أقوام يكونون في الدرجة السافلة من أهل الثواب، أما على التقدير الأول ففيه وجوه: أحدها: قال أبو مجلز : هم ملائكة يعرفون أهل الجنة وأهل النار... وثانيها: قالوا إهم الأنبياء عليهم السلام أجلسهم الله تعالى على أعالي ذلك السور تمييزاً لهم عن سائر أهل القيامة، وإظهاراً لشرفهم، وعلو مرتبتهم وأجلسهم على ذلك المكان العالي ليكونوا مشرفين على أهل الجنة وأهل النار، مطلعين على أحوالهم ومقادير ثواهم وعقاهم. وثالثها: قالوا: إهم هم الشهداء، لأنه تعالى وصف أصحاب الأعراف بأهم يعرفون كل واحد من أهل الجنة وأهل النار... فهو تعالى يجلسهم على الأعراف، وهي الأمكنة العالية الرفيعة ليكونوا مطلعين على الكل يشهدون على كل أحد بما يليق به، ويعرفون أن أهل الثواب وصلوا إلى الدرجات، وأهل العقاب إلى الدركات".(٢)

ويقول المصطفوي: "الأعراف جمع عُرف كقُفل وغُسل، وقلنا إنه ما يعلو ويُعرف، والمراد المقامات العالية الروحانية، المحيطة بالجنة والجحيم، وهذه مقامات أوليائه المقربين السابقين الذين لهم جنات النعيم، ولما ذكر أصحاب الجنة

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (ص ٦٨٠)

(٢) الفخر الرازي في تفسيره (م٧، ج١٤، ٧١)

وأصحاب النار ومكالماهم قال تعالى وعلى الأعالي منهما رجال، ويدل على هذا المـــعنى قـــولـــه تعالى: ﴿ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ ﴾، فإن المعرفة بهم وبأحوالهم وبمقاماهم توجب علواً وإحاطة وارتفاعاً عليهم". [1]

ويقول ابن عطية: "وقال السدي: سمي الأعراف أعرافاً لأن أصحابه يعرفون الناس". [2]

ويقول شلتوت: "ولذلك أرجح أن رجال الأعراف هم عدول الأمم والشهداء على الناس، وفى مقدمتهم الأنبياء والرسل، وقد جاء التصريح بهؤلاء في كثير من الآيات، مثل قوله تعالى: ﴿ فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا ﴾ (٤١). [3]

إذاً يبدو أن **معنى الأعراف** على الأرجح من الأقوال: المواضع العالية التي يكون عليها أشراف الناس من الأنبياء والمصلحين على مر العصور، وكونهم حجة على البشر والأمم يوم القيامة، وهذا ما تشير إليه آيات السورة ومواضيعها، ويمكن ملاحظة ذلك من العرض الآتي:

١. ذكرت معظم آيات السورة قصص الأنبياء المشهورين في التاريخ البشري، الذين بعثهم الله تعالى لأمم عريقة في التاريخ وتكاد تكون أكثر الأمم حضارة وامتداداً، فقد ذكرت قصة كل من: نوح، هود، صالح، شعيب،

---

(١) التحقيق في كلمات القرآن الكريم، المصطفوي (ج٨، ١١٩)

(٢) المحرر الوجيز، ابن عطية (ج٢، ٤٠٤)

(٣) تفسير القرآن الكريم، محمود شلتوت (٤٩٣)

لوط، موسى، عليهم السلام، في الآيات (٥٩-١٧١)، والمتأمل لسياق هذه القصص في السورة يلاحظ الأمور الآتية فيما يتعلق بالاسم:

- تكرر في كل قصة أن الأنبياء عليهم السلام يُذكِّرون أقوامهم بأنهم يُبلغون رسالات الله تعالى، وذلك في الآيات: (٦٢، ٦٨، ٧٩، ٩٣).
- أطالت السورة الحديث عن بني إسرائيل، وتكاد تكون هذه السورة هي الأطول من السور المكية في الحديث عنهم، ويبرز في الحديث عنهم إقامة الحجة عليهم بالمعجزات الباهرات، وإعطائهم الفرص الكثيرة، كنموذج لقوم تتابعت عليهم هدايات الأنبياء، وبدلاً من أن يكون ذلك سبباً لارتقائهم فإنهم انحرفوا وضلوا، وفي هذا حجة عليهم، وعبرة وعظة للمؤمنين.

٢. واضح في السورة التركيز على دور الأنبياء في الإصلاح والدعوة إلى الدين وتكليفهم بأمانة الرسالة إلى البشر ليكونوا شهداء عليهم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٌ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ ﴾ (٢)، وقوله تعالى: ﴿ فَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرۡسِلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾ (٦)، وقوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٌ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي ﴾ (٣٥)، وقوله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾(١٤٤)، وقوله تعالى: ﴿ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوۡمٍ يُؤۡمِنُونَ ﴾ (١٨٨).

٣. تكرر في السورة ذكر مشاركة مصلحين للأنبياء في عملية الإصلاح، بل التأكيد على دورهم الهام، وخاصة في الأمة الخاتمة، حيث ختمت الرسالات، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾ (١٥٩)، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ (١٦٤)، وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴾ (١٧٠)، وقوله تعالى: ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾ (١٨١).

٤. أما قصة آدم عليه السلام في الآيات (١١-٢٥)، فقد برز فيها قول الله تعالى: ﴿ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ (٢٢)، ففي الآية تذكير من الله تعالى لآدم عليه السلام بما قد بينه له من أوامر، فالله تعالى هو الشهيد والمقيم للحجة على آدم عليه السلام.

٥. أما الحديث عن يوم القيامة في الآيات (٣٧-٥٣)، فيبرز فيه الشهادة على البشر واعترافهم بما وصلهم من الرسالات، ومن ذلك قوله تعالى عن أهل الجنة: ﴿ وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ﴾ (٤٣)، وقوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ﴾ (٥٣).

٦. ورد في نهاية السورة قوله تعالى للنبي ﷺ : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ (١٩٩)، والعرف كما يقول قطب: "الخير المعروف الواضح الذي لا يحتاج إلى مناقشة وجدال، والذي تلتقي عليه الفطر السليمة والنفوس المستقيمة"،[١] فالذين لا يستجيبون للأنبياء فيما يطلبونه إنما يتنكرون للواضحات في عقولهم وفطرهم.

٧. في السورة حشد لكثير من **الحُجَج** التي أقامها الله على البشر، ومن ذلك:

- أخذ الميثاق من بني آدم منذ بداية الخلق، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ ﴾ (١٧٢).
- التكفل بالرخاء والبركة لمن اتبع طريق الإيمان، كما قال الله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ (٩٦).
- سرد القصص للبشر حول مصائر المكذبين، كما جاء في قوله تعالى على لسان صالح عليه السلام لقومه: ﴿ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ (٧٤)، وقوله تعالى: ﴿ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ (٨٤)، وقوله تعالى:

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب (ج٣، ١٤١٩)

﴿ وَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ (٨٦)، وقوله تعالى: ﴿ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ (١٠٣).

وهذا المعنى الذي يحمله اسم السورة وهو مكانة أهل الأعراف وتبكيتهم للكفار تؤكده آيات عدة في القرآن الكريم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (النحل: ٢٧) ، وقوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (الروم: ٥٥ – ٥٦).

هداية الاسم:

الأنبياء والمصلحون هم **أشراف الخلق وشهداء الله تعالى على الناس في الدنيا والآخرة**

(٨) سورة الأنفال

مدنية عدد آياتها ٧٥، وترتيبها ٨

الأنفال: هي الغنائم التي يغنمها المقاتلون من أعدائهم، يقول ابن فارس: "النون والفاء واللام أصل صحيح يدل على عطاء وإعطاء. منه النافلة: عطية الطوع من حيث لا تجب... ومن الباب النفل: الغُنْم، والجمع أنفال".[١] ويقول الأصفهاني: "النفل: قيل هو الغنيمة بعينها، لكن اختلفت العبارة عنه لاختلاف الاعتبار، فإنه إذا اعتبر بكونه مظفوراً به يقال له غنيمة، وإذا اعتبر بكونه منحة من الله ابتداءً من غير وجوب يقال له نفَل... وأصل ذلك من النفل وهو الزيادة على الواجب".[٢] ويقول الفيروزآبادي: "النافلة: الغنيمة والعطية، وما تفعله مما لا يجب".[٣]

ويقول ابن عاشور: "وقد أطلق العرب في القديم الأنفال على الغنائم في الحرب كأنهم اعتبروها زيادة على المقصود من الحرب، لأن المقصود الأهم من الحرب هو إبادة الأعداء".[٤]

---

(١) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ج٢، ٥٧٢)

(٢) المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد الأصفهاني (ص ٥٠٢)

(٣) المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد الأصفهاني (ص ١٠٧٦)

(٤) التحرير والتنوير، ابن عاشور (م٤، ج٩، ٢٤٩)

وهذا المعنى تقبله المفسرون المسلمون وتناقلوه بينهم، فمثلاً يقول ابن عطية: "وسُمّيت الغنيمة نفلاً لأنها زيادة على القيام بالجهاد وحماية الدين والدعاء إلى الله عز وجل".[١]

فإذا كانت الأنفال هي الزيادة من الأموال التي يكسبها المجاهدون، وليست الهدف من القتال في الفهم الإسلامي، فلماذا تُسمّى السورة باسم الأنفال؟

وإذا استعرضنا السورة سنجد أن اسمها ورد في الآية الأولى فقط بإيراد سؤال المؤمنين للرسول ﷺ عن الأنفال، و لم يرد الحديث عنها خلال السورة، وقد ورد تفصيل الإجابة عن السؤال في الآية (٤١)، وكان الحيز الأكبر في السورة هو لإظهار الصورة التي ينبغي أن يكون عليها المؤمنون، وما يتعلق بالقتال من أحكام فقهية ونفسية، كما استعرضت نعم الله على المؤمنين في غزوة بدر الكبرى، وتضمّنت كثيراً من التشريعات الحربية والإرشادات الإلهية التي يجب على المؤمنين اتباعها في قتالهم لأعداء الله، وتناولت جانب السلم والحرب وأحكام الأسر والغنائم، فإذا كان الأمر كذلك فلماذا لم تُسمّ سورة القتال أو بدر؟

إن كلمة الأنفال تتضمن القتال، حيث لا أنفال دون قتال، ولكنها تتضمن معنى إضافياً مهماً يتمثل في الزيادة على المقصود الأساسي للقتال، فالمسلم يقاتل أساساً لإحقاق الحق، ولا يقاتل للمصالح الدنيوية، ولكن إذا قاتل لإعلاء كلمة

(١) المحرر الوجيز، ابن عطية (ج٢، ٤٩٦)

الله تعالى فإن المصالح الدنيوية تأتي زيادة على أجره الحقيقي المتمثل في الدنيا بإحقاق الحق وإبطال الباطل، وفي الآخرة بالفوز بالجنة.

وبناءً على ذلك فقد يكون اسم السورة لتحذير المسلم من أن يتحول قتاله من إعلاء كلمة الله إلى طلب المغانم الرخيصة، ومن جهة أخرى تطمين للمسلم أن القتال الخالص سيؤدي إلى الأنفال أي الزيادة.

يقول الترابي: "وسميت السورة (الأنفال) لأن ذكر البلاء حول الجهاد كان أبلغه بين السعي للقتال مخاطرة بالأموال والنفس في سبيل الله لإحقاق الحق وتمكينه، والمسعى إليه طلباً لعرض الدنيا سلباً للغنائم وكسباً للفدى والأنفال".[١]

إن سؤال المؤمنين عن الأنفال، يدل على أنها أخذت حيزاً من تفكيرهم، وأدت إلى خلل في صفوفهم، كما ورد عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن سورة الأنفال قال: "فينا أصحاب بدر نزلت، حين اختلفنا في النفل، وساءت فيه أخلاقنا، فانتزعه الله من أيدينا، وجعله إلى رسول الله ﷺ ، فقسّمه رسول الله ﷺ بين المسلمين عن بواء يقول عن سواء".[٢]

ولذلك كانت الإجابة على سؤالهم: ﴿ٱلۡأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ (١)، وفي هـــذه الإجـــابة توجيه إلى تقوى الله تعالى بترك الاهتمام بالدنيا وجعلها هدفاً، والتزام أوامر الله

---

(١) التفسير التوحيدي، حسن الترابي، (٧٨٧)

(٢) مسند أحمد، (ج٥، ٣٢٢)

تعالى وتقديمها على كل شيء، كما تشير الآية إلى أن تقديم الأنفال على الهدف الحقيقي للقتال سيؤدي إلى فساد ذات البين.

والآيات اللاحقة للآية الأولى (٢-٨) تؤكد هذا التوجيه، فهي تُظهر أن المؤمنين الحقيقيين يتصفون بصفات منها: ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (٣)، للتأكيد على أن المؤمن يبذل من ماله في سبيل الله ولا ينصر دينه من أجل الكسب الدنيوي، كما تظهر الآيات ميل الصحابة البشري إلى عدم القتال وتعلقهم بالقافلة لما فيها من غنائم، مع أن الانتصار في المعركة كان أعظم وأكثر رفعاً للحق وإذلالاً للكفر، فقد أورد ابن كثير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "لما شاور النبي في لقاء العدو وقال له سعد بن عبادة ما قال وذلك يوم بدر أمر الناس، فتعبّوا للقتال وأمرهم بالشوكة فكره ذلك أهل الإيمان، فأنزل الله: ﴿ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۝٥ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴾ (٥-٦)، أي كراهية لقاء العدو".[1]

يقول الترابي معقباً على الآية الأولى: "ما كان شائعاً بين المسلمين المجاهدين عقب المعركة التساؤل عن مغزى تلك الوقعة الفاصلة التي هزمت قوة الكفر في قريش حيث إمامة دين الشرك في وسط العرب، ومن ثم التذاكر لشكر أقدار الله في النصر المحق للحق في الواقع المُثبت لبنية الدين الحق المتجدد المبطل لباطل الكفار المشركين حيثما صدمهم المؤمنون الموحدون مجاهدين صادقين، بل كان التساؤل

[1] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٧٣٨)

من إلهام بقية الثقافة الجاهلية والكتابية المادية ومن خواطر حب كسب المال عن تصريف الأنفال".[١]

ويقول أيضاً: "إنما تقاتل في سبيل ذلك المتاع الدنيوي قوى الباطل التي تبطش في العالم تريد استعمار أرض الآخرين لها هي وسلب ثروتهم واستغلالهم لعوائد إليها واردة".[٢]

فالمسلم هدفه الأول هو إعلاء كلمة الله تعالى، كما ورد عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: "جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل للذكر، والرجل يقاتل ليرى مكانه، فمن في سبيل الله؟ قال: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، فهو في سبيل الله".[٣]

أما تناول السورة لأحداث غزوة بدر التي تعتبر معلماً ضخماً في مسيرة الإسلام وفي التاريخ الإنساني كله، فقد ركزت الآيات على بيان فضل الله تعالى على المسلمين بهذا النصر العظيم، كما يقول قطب عن نزول سورة الأنفال: "نزلت تعرض وقائع الغزوة الظاهرة، وتعرض وراءها فعل القدرة المدبرة، وتكشف عن قدر الله وتدبيره في وقائع الغزوة، وفيما وراءه من خط سير التاريخ البشري كله".[٤]

---

(١) التفسير التوحيدي، حسن الترابي، (٧٩٠)

(٢) المصدر السابق (٧٩٧).

(٣) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري (حديث ٢٨١٠، كتاب الجهاد والسير، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا).

(٤) في ظلال القرآن، سيد قطب (ج٣، ١٤٦٣).

وهذا الحديث المطول عن الغزوة في الآيات (٥-١٤، ١٧، ٤١-٤٤، ٤٧-٥١) يرتبط باسم السورة بشكل وثيق، حيث إن حدث الأنفال كان عقب غزوة بدر، ولكن التسمية بالأنفال وذكر أحداث الغزوة بهذا العرض فيه تعريض بالذين اختلفوا في موضوع الأنفال، وأراد أن يعلمهم أنه ليس لهم في هذا النصر وما وراءه من عظائم الأمور يد ولا تدبير، وسواء غنائمه الصغيرة وآثاره الكبيرة، فكلها من فعل الله وتدبيره، إنما أبلاهم فيه بلاءً حسناً منه سبحانه، وأن ما حصل من إعزاز للإسلام وخذلان للكفر أمر عظيم يستحق الشكر دون النظر إلى الزيادات والتوافه باهتمام يؤدي إلى اختلاف وتنازع.

كما تناولت السورة التعريف بأعداء المؤمنين من الكافرين والمنافقين وبيان صفاتهم التي تستدعي قتالهم، فإنما يقاتل المسلمون المشركين لأنهم عادوا الله ورسوله (١٣)، وأن الله ينصر المسلمين عليهم بسبب كفرهم (١٨)، وبينهم وبين الشيطان تنسيق وتعاون (٤٨)، وفي الجهة المقابلة كان الحديث عن مواصفات من يستحقون النصر في آيات متفرقة في السورة ومن هذه الصفات: الطاعة لله والرسول، والوفاء بالأمانات، وتقوى الله، والثبات في المعركة، وإقامة الصلاة، والإنفاق، ووجل القلوب، والتوكل، والتآخي والنصرة.

بناءً على ذلك ينبغي لأهل الإيمان الحق إعطاء نصر الدين ورفع كلمة الله تعالى الأولوية والاهتمام، واعتبار موضوع الأنفال أمراً ثانوياً، حيث إن **مشكلة الأنفال** هي المشكلة المتكررة في الصراع على متاع الدنيا في كل وقتٍ وحين.

ويعقب **أستاذنا** لدى مراجعته للبحث على اسم السورة بقوله: "كأن السورة تتحدث عن أصول وفروع أدنى منها في الأهمية، أو تعالج الأساسيات حتى لا تسبقها الفرعيات، فمثلاً ما حدث من نعم للمؤمنين في بدر كان نفلاً، فالمسلم مطلوب منه القتال في سبيل الله تعالى، وليس مطلوباً منه النصر".

هداية الاسم:

المسلم يجاهد لإعلاء كلمة الله، وليس لتحصيل المكاسب الدنيوية التي هي زيادة يكرم الله بها المجاهدين في سبيله، فالاهتمام بالأصول يؤدي إلى تحصيل الفروع

- النافلة فيها زيادة على ما هو الأصل، وغالباً ما تكون دون الأصل، فالنافلة في العبادة مثلاً هي الزيادة على الفرض، ولا تقبل الأنفال ما لم تكتمل الفرائض، وهي فرع عنها ودونها في المرتبة، قال الله تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ﴾ (الأنبياء، ٧٢).

(٩) سورة التوبة

مدنية عدد آياتها ١٢٩، ورقمها ٩

يقول الأصفهاني: "التوب ترك الذنب على أجمل الوجوه، وهو أبلغ وجوه الاعتذار، فإن الاعتذار على ثلاثة أوجه: إما أن يقول المعتذر لم أفعل، أو يقول فعلت لأجل كذا، أو فعلت وأسأت وقد أقلعت، ولا رابع لذلك، وهذا الأخير هو التوبة، والتوبة في الشرع: ترك الذنب لقبحه، والندم على ما فرط منه، والعزيمة على ترك المعاودة، وتدارك ما أمكنه أن يُتدارك من الأعمال بالإعادة، فمتى اجتمعت هذه الأربع فقد كمُل شرائط التوبة".(١)

ويقول ابن فارس: "التاء والواو والباء كلمة واحدة تدل على الرجوع، يقال تاب من ذنبه أي رجع عنه".(٢)

ويقول الحلبي: "فالتوبة من الله على عباده: الرجوع بهم من المعصية إلى الطاعة، ومنه قوله تعالى: ﴿ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ﴾ (البقرة: ١٨٧)، وقد يكون الرجوع بهم من الحظر إلى الإباحة كقوله تعالى: ﴿ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ﴾ (البقرة: ١٨٧)، أي أباح ما حظره، وقد يكون من الأثقل إلى الأخف ﴿ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟

---

(١) المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد الأصفهاني (٧٦)

(٢) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ج١، ١٨٤)

مَا تَيَسَّرَ مِنْهُۚ ﴾ (المزمل: ٢٠)، وقوله: ﴿ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ ﴾ (البقرة: ٥٤): أي ارجعوا إلى أوامره وانتهوا عن نواهيه".[1]

ورد اسم السورة في قوله تعالى: ﴿ أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَأۡخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (١٠٤)، وقد ورد الاسم في السورة بصيغ قريبة في مواضع متعددة في السورة حتى يجد القارئ أن السورة تتناول موضوع التوبة من جميع جوانبه لكافة الأطراف، ويمكن ملاحظة ذلك من خلال العرض الآتي:

١. تضمنت السورة إعلان قبول الله لتوبة النبي ﷺ والمهاجرين والأنصار، يقول تعالى: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾ (١١٧).

وهؤلاء المؤمنون الذين قبلت توبتهم وصفتهم السورة بعدة أوصاف في مواضع متعددة ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ (١١٢)، حيث بدأت صفاتهم بـ (ٱلتَّٰٓئِبُونَ) فالتوبة سمت ملازم لهم، كما وعد الله المؤمنين التائبين

(١) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، أحمد بن يوسف الحلبي (ج١، ٣١١)

بالرحمة، قال تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٧١).

وتكفل الله تعالى للذين يبتغون القرب من الله تعالى ودعوات رسوله ﷺ بإدخالهم في رحمته وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٩٩).

٢. وفي هذه السورة دعوة للمقصرين بالتوبة والرجوع عن التقصير، وقد ورد ذلك في مواضع متعددة منها: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٢٥-٢٧)، وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٣٨-٣٩)، وأبرز مثال على ذلك الآية التي تلت إعلان قبول توبة الله على النبي والمهاجرين

والأنصار، حيث ذكرت هذه الآية توبة الله على الثلاثة الذين خلفوا في قوله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (١١٨)، فقد نزلت هذه الآية في كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية رضي الله عنهم.

٣. كما ذكرت السورة صنفاً آخر من المؤمنين المقصرين وفتحت المجال لهم بالتوبة في مثل قوله تعالى: ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١٠٢)، وقوله تعالى: ﴿ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ﴾ (١٠٦).

٤. كما فتحت السورة باب التوبة للكافرين على الرغم من الهجوم الشديد عليهم في بدايتها في الآيات (١-٢٢)، في مثل قوله تعالى: ﴿ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٥)، وقوله تعالى: ﴿ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ﴾ (١١)، وقوله تعالى: ﴿ قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ (١٤) وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (١٤ - ١٥).

٥. أما المنافقون الذين أسهبت السورة في الحديث عنهم في الآيات (٤٢-٥٩، ٦١-٦٨، ٧٣-٨٧، ٩٣-٩٦)، فقد شددت السورة في أمر توبتهم فتارة تهددهم

في مثل قوله تعالى: ﴿ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْاْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ (٧٤)، وقوله تعالى: ﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ (١٢٦)، وتارة تحجب عنهم المغفرة في مثل قوله تعالى: ﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ ﴾ (٨٠)، وقوله تعالى: ﴿ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْاْ عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ (٩٦)، وتارة تفتح لهم باباً ضيقاً وشديداً في مثل قوله تعالى في التعقيب على بنائهم مسجد الضرار: ﴿ لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْاْ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ ﴾ (١١٠)، وتقطع القلوب يكون بالندم غاية الندم مع الخوف الشديد من العقاب الرباني.

٦. أما الآيات التي تحدثت عن أهل الكتاب (٢٩-٣٥) فقد ركزت على دور الأحبار والرهبان في الصد عن سبيل الله تعالى وأكل أموال الناس بالباطل، وتعظيم الأتباع للشخوص وطاعتهم في ما يشرعون، وهذه الأمور منافية للرجوع إلى الله تعالى والتوبة الصادقة.

٧. ورد في السورة وصف الله تعالى لإبراهيم عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴾ (١١٤)، والأواه كما يقول ابن عاشور: "فسر بمعان ترجع

إلى الشفقة، إما على النفس فتفيد الضراعة إلى الله والاستغفار، وإما على الناس فتفيد الرحمة بهم والدعاء لهم".[1]

٨. كما تناولت السورة العوامل التي تساعد في التوبة أو تثبيت التوبة، ومن ذلك:

- العلم: في قوله تعالى: ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ (١٢٢).

- تلاوة القرآن الكريم: في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ (١٢٤).

- موالاة المؤمنين: في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ (٢٣-٢٤)، وقوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور (م٥، ج١٠، ٤٦).

وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٧١).

يقول البقاعي في مقدمة السورة : "مقصودها معاداة من أعرض عما دعت إليه السورة الماضية من اتباع الداعي إلى الله في توحيده واتباع ما يرضيه، وموالاة من أقبل عليه، وأدل ما فيها على الإبلاغ في هذا المقصد قصة المخلفين، فإنهم – لاعترافهم بالتخلف عن الداعي بغير عذر في غزوة تبوك المحتمل على وجه بعيد منهم رضي الله عنهم للإعراض بالقلب هُجروا، وأعرض عنهم بكل اعتبار حتى بالكلام، فذلك معنى تسميتها بالتوبة، وهو يدل على البراءة، لأن البراءة منهم بهجرانهم حتى في رد السلام كان سبب التوبة، فهو من إطلاق المسبب على السبب، وتسميتها ببراءة واضح أيضاً فيما ذكر من مقصودها".(١)

ويضيف **أستاذنا** لدى مراجعته للبحث أن التوبة في السورة تتعلق بالموضوع الشامل للتوبة، أي الجانب العقدي والتشريعي، كما ان الولاء والبراء أساس لا بد منه للتوبة الحقيقية، والجهاد والولاء يحققان التوبة والقبول.

هداية الاسم:

الولاء والبراء أساس لا بد منه للتوبة الحقيقية

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي (ج٣، ٢٥٥).

- وردَ في القرآن الكريم (توب) ومشتقاها ٨٧ مرة، وفي سورة التوبة ١٦ مرة، أي بنسبة ١٨.٤٠% تقريباً، وهذا التكرار هو الأكثر في القرآن الكريم، حيث كان التكرار في البقرة ١٣ مرة، وفي سورة النساء ١٢ مرة، وإذا أضيف إلى ذلك أن نسبة كلمات سورة التوبة إلى مجموع كلمات القرآن هي: ٣.٢٢%، مما يشير بوضوح إلى تركيز السورة على الموضوع.
- نزلت هذه السورة بعد سورة النصر التي كان فيها الأمر بالاستغفار والتوبة إلى الله تعالى.
- التوبة أي الرجوع إلى الله بعد الضياع وحلاوة الطمع في كرم الله بالمغفرة بعد الوقوع في الذنب، فـــ "كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون" رواه الترمذي،[1] وكل مَن تخافه إذا أخطأت في حقه هرب منه إلا الله عز وجل فإنك إذا أخطأت في حقه وخفت منه فررت إليه لأنك لا تستطيع أن تفر منه، قال تعالى: ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ (الذاريات: ٥٠).

(١) سنن الترمذي (الجامع الصحيح)، الترمذي (حديث ٢٤٩٩).

(١٠) سورة يونس
مكية عدد آياها ١٠٩، ورقمها ١٠

سورة يونس عليه السلام هي أول سورة في ترتيب المصحف تُسمّى باسم نبي من الأنبياء عليهم السلام جميعاً، حيث تأتي بعدها سورة هود عليه السلام، ثم سورة يوسف عليه السلام، تليها سورة الرعد التي تسبق سورة إبراهيم عليه السلام، ثم يأتي في الترتيب سورة الحجر التي سميت نسبة إلى قوم صالح عليه السلام، وهذه السور الخمس تبدأ بقوله تعالى: ﴿الٓر﴾ (يونس:١) عدا سورة الرعد ﴿الٓمٓرۚ﴾ (الرعد:١)، وهذا الترتيب قد يوحي بدلالات معينة تستدعي من أهل القرآن التدبر.

وقد سُمّيت هذه السورة باسم النبي يونس عليه السلام مع أن قصته لم ترد في السورة ولكن ورد ذكر قوم يونس في الآية (٩٨)، وقد وردت قصته عليه السلام في سور أخرى (الأنبياء، الصافات، القلم)، كما ورد ذكر سيدنا يونس في سورتي النساء والأنعام في معرض ذكر بعض الأنبياء عليهم السلام، وتتضمن قصة يونس عليه السلام عدة معان هي: **النجاة من الكرب، واستجابة الدعاء، والتسبيح، والعناية الربانية بالمؤمن، وقدرة الله تعالى.**

وقد تعرضت سورة يونس لقصة موسى عليه السلام بشيء من التفصيل في الآيات (٧٥-٩٣)، كما عرّجت على قصة نوح عليه السلام في الآيات (٧١-٧٣)، فما الحكمة من تسمية هذه السورة باسم يونس عليه السلام؟

بالنظر إلى الآية التي ورد فيها الاسم وهي قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ (٩٨)، يتوصل القارئ إلى **فائدة الإيمان على الإنسان في الدنيا من رخاء وكشف للعذاب وتخليد الذكر**، كما ينقل القاسمي عن المهايمي في تعقيبه على هذه الآية: "فيه غاية ما يفيد فيه الإيمان، وضرر تركه وتأخيره، وهو المقصد الأعلى من إنزال الكتاب".[١]

والمتأمل للسورة يدرك أن الاسم مقصود لترسيخ بعض القضايا من خلال قصة يونس عليه السلام في القرآن والآية التي ورد فيها اسم السورة، وذلك على النحو الآتي:

١. **عناية الله بالمؤمنين ونتائج الإيمان الإيجابية:** ويدل على هذا المعنى الآيات الآتية:

- قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ (٢)، فيه إشارة إلى نتيجة الإيمان من السعادة، كما أن لهم سبقاً مثل قوم يونس عليه السلام الذين اعتُبروا مثلاً عظيماً بين الأمم.
- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ﴾ (٩)، يشير إلى أن الله تعالى يهدي المؤمنين لما يصلح شأنهم بسبب إيمانهم.

---

(١) محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي (ج٦، ص٥).

- قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (٢٥).
- قوله تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ (٢٦)، فالحسنى جزاء الإيمان في الدنيا والآخرة.
- قوله تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ (٦٢-٦٤)، يشير إلى تبشير المؤمنين وولاية الله لهم في الدنيا والآخرة.
- قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١٠٣)، يدل على عناية الله بالمؤمنين وضمان نجاتهم من المهالك.

٢. **أهمية الدعاء في النجاة من الكرب:** وذلك في آيات كثيرة في السورة:

- قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ﴾ (١٢).
- قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ (٢٢).

- قوله تعالى: ﴿ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٨٩).
- قوله تعالى: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ ﴾ (١٠٧).

٣. **قدرة الله تعالى:** ورد في السورة آيات كثيرة تُظهر قدرة الله تعالى وملكه الواسع، وهذه المعرفة ينبغي أن تؤدي إلى اهتداء الإنسان والتسبيح والتعظيم له تعالى، ومن هذه الآيات: (٣-٦، ١٨، ٣١-٣٥، ٥٥،٦١، ٦٥، ٦٨، ١٠٧).

وتشير السورة إلى أن كثيراً من الأمم لم تنتفع بالآيات المبثوثة في الكون والتاريخ لينفعها إيمانها مثل قوم يونس، ومن الآيات التي تتناول هذا الأمر:

- قوله تعالى: ﴿ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ ۚ ﴾ (١٣).
- قوله تعالى: ﴿ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ ﴾ (٢١).
- قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ﴾ (٢٣).
- قوله تعالى: ﴿ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ (٣١).
- قوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٣٣).
- قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (٤٢).
- قوله تعالى: ﴿ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ (٤٣).
- قوله تعالى: ﴿ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ (٧٤).

- قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴾ (٩٢).

- قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾ (٩٦-٩٧)، والملاحظ أن هاتين الآيتين تسبقان آية الاسم.

- قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ (١٠١).

- كما تعرض السورة إلى موقفين يؤمن فيهما الكفار بعد فوات الأوان ويأتي الاستفهام الاستنكاري بصيغة ﴿ ءَآلْـَٰٔنَ ﴾، ولم تأت هذه الكلمة في القرآن الكريم إلا في هذين الموضعين وهما: قوله تعالى: ﴿ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ۚ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴾ (٥١)، وقوله تعالى: ﴿ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ (٩١)، في الرد على إعلان فرعون الإيمان عندما أدركه الغرق.

٤. **قوانين الهداية والضلال:** تتعرض السورة إلى قوانين الهداية والضلال، لتستفيد منها أيَّة أمة تريد أن تسلك طريق الهداية كما اهتدى قوم يونس، وهذه القوانين هي:

- العلم والتقوى طريق إلى الهداية، وذلك في قوله تعالى: ﴿ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (٥)، وقوله تعالى: ﴿ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴾ (٦)، قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ﴾

(٩)، وفي المقابل فإن عدم استخدام العقل يؤدي إلى الضلال، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (١٠٠).

- الاطمئنان إلى الدنيا والرضا بها والغفلة سبب في الانحراف وذلك في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ (٧) أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ (٧-٨).
- الطغيان والغفلة سبب في الضلال في قوله تعالى: ﴿ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ (١١).
- الإجرام سبب للضلال وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ (١٣)، وهو مانع للفلاح وذلك في قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ (١٧).
- الفسق طريق إلى الضلال وذلك في قوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٣٣).
- اتباع الظن في مقابل الحق لا يوصل إلا إلى الضلال وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ ﴾ (٣٦)، وفي قوله تعالى: ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ (٦٦).

- الاعتداء يوصل صاحبه إلى حالة القلب المطبوع الذي لايهتدي، وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ (٧٤)، وهذا الاعتداء يمنع من توفيق الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ (٨١).

هداية الاسم:

قصة يونس مع قومه تُمثّل: **النجاة من العقوبة بعد نزولها،** **وقد كانت نجاة قومه وانتفاعهم الدنيوي بسبب إيمانهم**

(١١) سورة هود

مكية عدد آياتها ١٢٣، وترتيبها ١١

يقول الأصفهاني: "الهود: الرجوع برفق ومنه التهويد وهو مشي كالدبيب، وصار الهوْد في التعارف التوبة، قال تعالى: ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ (الأعراف:١٥٦) أي تبنا، قال بعضهم: يهود في الأصل من قولهم هدنا إليك... وهود في الأصل جمع هائد أي تائب، وهو اسم نبي عليه السلام".[١]

ويقول الحلبي في معنى هدنا: "وقيل سكنّا. ومنه الهوادة: وهي السكون والموادعة".[٢] ويقول ابن فارس: "والمهاودة: الموادعة".[٣]

إذاً تدور معاني الهود حول التوبة والموادعة، وهذان المعنيان يتوزعان في السورة بشكل واضح، كما في العرض الآتي:

أولاً: التوبة:

١. احتل موضوع التوبة موقعاً مركزياً في حديث الأنبياء المذكورين في السورة مع أقوامهم، فكان في بداية السورة الإعلان من خاتم الأنبياء عليهم السلام قوله تعالى: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ (٣)، كما جاء على لسان هود عليه السلام قوله تعالى: ﴿وَيَٰقَوْمِ

---

(١) المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد الأصفهاني (ص ٥٤٦)

(٢) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، أحمد بن يوسف الحلبي (ج٤، ٣٠٦)

(٣) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ج٢، ٥٩٣)

﴿ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ ﴾ (٥٢)، وعلى لسان صالح عليه السلام قوله تعالى: ﴿ فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾ (٦١)، وعلى لسان شعيب عليه السلام قوله تعالى: ﴿ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾ (٩٠).

٢. ومن خلال استعراض قصص الأنبياء في القرآن الكريم نجد تفرد سورة هود في دعوة الأنبياء لأقوامهم للاستغفار والتوبة، باستثناء سورة نوح عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴾ (نوح: ١٠-١٢).

٣. كما ذكرت السورة عن توبة الأنبياء عليهم السلام والمؤمنين، فعندما عاتب الله عز وجل نوحاً عليه السلام بقوله: ﴿ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ (٤٦)، كان الاستغفار والتوبة من نوح عليه السلام بقوله: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ (٤٧)، ووصف الله إبراهيم عليه السلام بقوله: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴾ (٧٥)، والأواه هو كثير التوبة، والمنيب هو الراجع إلى الله تعالى.

٤. وعد الله تعالى المؤمنين بالمغفرة في بداية السورة ونهايتها في قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ﴾ (١١)، وقوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ (١١٤).

ثانياً: الموادعة:

١. يظهر معنى الموادعة في وصف الله تعالى للمؤمنين بالإخبات في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخۡبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ (٢٣)، وتظهر الموادعة جلية في خطاب الأنبياء عليهم السلام أقوامهم ومن ذلك قوله تعالى في توجيه محمد ﷺ: ﴿وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ﴾ (٣)، وقوله تعالى على لسان نوح عليه السلام: ﴿أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ﴾ (٢٦)، وفي مجادلة إبراهيم عليه السلام الملائكة في قوم لوط عليه السلام في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنۡ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلرَّوۡعُ وَجَآءَتۡهُ ٱلۡبُشۡرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِي قَوۡمِ لُوطٍ﴾ (٧٤)، وفي وصف إبراهيم عليه السلام بالحلم.

٢. وعند استعراض مخاطبات الأنبياء لأقوامهم في القرآن الكريم نجد أن عبارة ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ﴾ (٢٦) تكررت ٦ مرات منها ثلاث في السورة، واللافت للنظر أن مرتين من الثلاث في غير السورة على لسان هود عليه

السلام وذلك في سورة الشعراء (١٣٥)، وسورة الأحقاف (٢١)، أما المرة الثالثة فكانت على لسان نوح عليه السلام في سورة الأعراف (٥٩).

أما محاورتهم أقوامهم فواضح في السورة **اللين** في كثير من الآيات التي تناولت قصصهم، ومن ذلك ابتداء المخاطبة بلفظ ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ ﴾ التي تحمل الموادعة والرقة، ومنها قول هود عليه السلام لقومه: ﴿ فَإِن تَوَلَّوۡاْ ﴾ (٥٧)، وهذا الخطاب فيها ترقق أكثر من القول ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ ﴾ (محمد: ٣٨)، فكلما زادت الكلمة في المبنى زادت في المعنى، ومنها قوله تعالى على لسان نوح عليه السلام: ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴾ (٢٨)، وقوله تعالى على لسان صالح عليه السلام: ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي مِنۡهُ رَحۡمَةٗ فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِنۡ عَصَيۡتُهُۥ ﴾ (٦٣)، وقوله تعالى على لسان شعيب عليه السلام: ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴾ (٨٨).

٣. كما ذكرت آيات السورة بعض مظاهر رأفة الله بعباده ورعايته لأنبيائه واتباعهم، وبعض أسماء الله الحسنى التي تحمل معنى الرأفة والحنان ومن ذلك:

– قوله تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا ﴾ (٦).

– قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٌ ﴾ (١٢).

- قوله تعالى: ﴿ وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ ﴾ (٢٨).
- قوله تعالى: ﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ (٣٧).
- قوله تعالى: ﴿ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ﴾ (٤٨).
- قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴾ (٥٧).
- قوله تعالى: ﴿ نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا ﴾ (٥٨).
- قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾ (٦١).
- قوله تعالى: ﴿ نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا ﴾ (٦٦).
- قوله تعالى: ﴿ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ﴾ (٧٣).
- قوله تعالى: ﴿ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ (٨٨).
- قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾ (٩٠).
- قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴾ (٩٤).
- قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾ (١١٧).
- قوله تعالى: ﴿ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾ (١٢٠).

هداية الاسم:

التوبة والرجوع إلى الله تعالى تستجلب من الله الرحمة والرفق

- تكرر في السورة بشكل ملفت التذكير بنعمة سرد قصص السابقين، وذلك في قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ ۖ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَاصْبِرْ ۖ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (٤٩)، وقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴾ (١٠٠)، وقوله تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ۚ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١٢٠).

(١٢) سورة يوسف (عليه السلام)
مكية عدد آياتها ١١١، ورقمها ١٢

سميت هذه السورة باسم يوسف النبي عليه السلام، مثل أخواتها التي سُمّيت بأسماء أنبياء، وهذه السورة هي أوضح السور في ارتباط اسمها مع بُنية السورة، فلا يحتاج هذا الاسم إلى ربط مدروس، فقد استغرقت قصة يوسف عليه السلام كل السورة تقريباً، فالآيات الأخيرة (١٠٣-١١١) هي تعقيب على القصة، وهي القصة الوحيدة التي استغرقت سورة طويلة من القرآن الكريم، وهي القصة الطويلة الوحيدة التي جاءت في مكان واحد، ولم تتكرر في مكان آخر، حيث لم يذكر يوسف عليه السلام في غير هذه السورة إلا في موضعين دون التعرض لقصته، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ﴾ (غافر: ٣٤)، وفي معرض الحديث عن الأنبياء من ذرية إبراهيم عليه السلام في سورة الأنعام في الآية (٨٤).

وقد تكون تسمية السورة بهذا الاسم، واستعراضها بهذه الطريقة المطولة المتكاملة، للتنبيه على:

١. أهمية الفترة التي عاشها هذا النبي الكريم.

٢. أو أهمية هذه الشخصية كرمز للقائد المصلح وقدوة للمؤمنين في محطات عديدة.

٣. أو أنها تعرض لعناية الله بأحبابه وتهيئة الظروف لهم، خاصة أنها نزلت في أواخر العهد المكي.

ويمكن الحديث عن المحاور الثلاثة السابقة من خلال العرض الآتي:

١. أما بالنسبة للفترة التي عاشها هذا النبي الكريم، فقد كانت نقطة تحول مهمة في التاريخ الإنساني، فإن السورة تتحدث عن نشأة بني إسرائيل كأمّة وتوطّنها في مصر، وهذه السورة ترسم المعالم الصحيحة لهذه المرحلة، وتتمثل في استقدام يوسف عليه السلام لأهله (بني إسرائيل) إلى مصر وتمكينهم فيها، على خلاف الرواية التي يرسمها العهد القديم، والتي تشير، فيما تشير، إلى أن يوسف عليه السلام هو الذي استعبد المصريين للفراعنة، فجاءت قصة يوسف عليه السلام (أحسن القصص) تصحيحاً للتاريخ المزور، وتثبيتاً للحقائق.

ومن الجدير بالملاحظة أن رقم السورة (**١٢**) موافق لعدد الأسباط الاثني عشر، وبنو إسرائيل يزعمون أنهم على خطى الأسباط، ويعدون يوسف عليه السلام من الآباء الكبار.

٢. رمزية شخصيته عليه السلام كقدوة للنبي وللمؤمنين، كشخصية متكاملة، خاضت تجربة ثرية ومتنوعة، ومن معالم هذه الشخصية في السورة:

- عفة يوسف عليه السلام: وهذه الصورة العظيمة التي ترسمها السورة للنبي الكريم، تقابلها الصورة السلبية التي ترسمها التوراة للأنبياء والرسل عليهم السلام، وتتجلى العفة في موقف يوسف عليه السلام وضبطه

لشهواته أمام إغراء امرأة العزيز ونسوة المدينة، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَ﴾ (٢٣-٢٤)، وقوله: ﴿وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَۖ﴾ (٣٢)، وقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ﴾ (٣٣)، وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطۡبُكُنَّ إِذۡ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفۡسِهِۦۚ قُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖۚ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ (٥٠-٥١).

- الصبر:على الإلقاء في الجب، وعلى الشهوة (عن المعصية)، وعلى مسئوليات المنصب، وفي تبليغ الرسالة، وعلى السجن، وحين رفض الخروج من السجن حتى البراءة الحقيقية.

- الدعوة إلى الله: فقد تجلى في السورة التركيز على شخصية يوسف الداعية خاصة في السجن وهو مع رفقائه في الآيات (٣٦-٤١)، وفي إدارته العادلة للدولة بعد رؤيا الملك، يقول د. نوفل في مقدمة كتابه سورة يوسف عليه السلام: "والدعوة.. هي الجانب الأهم في حياة الأنبياء جميعاً كان لها في قصة يوسف عليه السلام إبراز، وكان لها في

معالجتها شيء من الإبراز. وإن من شروط الدعوة والداعية هذا الرصيد الأخلاقي الضخم والسمعة التي لا يرقى إليها الشك، ولا تكون محلاً للمز أو غمز او إشاعات، ومن هنا كان حرص يوسف على تبرئة ساحته قبل تسلم سلطاته وصلاحياته. وهذا سر حملات الإشاعات التي تحاول تشويش صورة الداعية في ذهن مدعويه لهدم معنى الرزم في هذه الشخصية". [1]

- العلم: وبرز هذا المعلم في السورة في مواضع متعددة منها قوله تعالى: ﴿ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ﴾ (٦)، وقوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَـٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ (٢٢)، وقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ﴾ (٣٧)، وقوله تعالى: ﴿ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ (٥٥)، وقوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ﴾ (١٠١).

- الإكرام للوالدين: وقد تجلى في السورة إكرام يوسف عليه السلام لأبويه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ (١٠٠)، وقوله تعالى: ﴿ ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَـٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا ﴾ (٩٣)، وخطابه لوالده في أدب ورقــة في قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَبَتِ ﴾ (٤، ١٠٠).

---

(١) سورة يوسف عليه السلام، د. أحمد نوفل (المقدمة، ج).

- شفقته على الضعفاء وتواضعه مع جلالة قدره وعلو منصبه: وتجلى ذلك في الصفح والمسامحة لإخوته في قوله تعالى: ﴿ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ ﴾ (٩٢)، والحلم عند الغضب وضبطه نفسه في قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ ﴾ (٧٧)، كما خاطب الفتيين المسجونين بتواضع وتحبب وحادثهما في أمور دينهما ودنياهما في قوله تعالى: ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ﴾ (٣٩).
- الاستسلام لله تعالى ورد النعم إليه: وذلك في قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ ﴾ (٣٧)، وقوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ (١٠١)، وقوله تعالى: ﴿ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ (٣٣)، وقوله تعالى: ﴿ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ ﴾ (١٠٠)، وقوله تعالى: ﴿ رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ (١٠١).

٣. عناية الله بأحبابه وتهيئة الظروف والأجواء وتوجيههم بما يرفع شانهم، ويلحظ المتأمل يد الله تعالى المتولية، التي جعلته يرى الرؤيا وتحقق له العلو في الآيات (٤٣-٤٩)، ومن الآيات الأخرى التي تدل على ذلك:

- ﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمۡرِهِمۡ هَٰذَا ﴾ (١٥).
- ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ ﴾ (٢١).
- ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَ ﴾ (٢٤).
- ﴿ فَٱسۡتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنۡهُ كَيۡدَهُنَّۚ ﴾ (٣٤).
- ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ ﴾ (٥٦).
- ﴿ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ ﴾ (٨٧).
- ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ (٩٠).

فالسورة تضع مقدمات النصر والتمكين من الصبر والعلم والخلق العظيم والاستسلام لله تعالى، وهي نموذج للاقتداء، قال تعالى: ﴿ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ ﴾ (١١١)، يقول الماوردي: "يعني في قصص يوسف وإخوته اعتبار لذوي العقول بأن من نقل يوسف من الجب والسجن عن الذل والرق إلى أن جعله ملكاً مطاعاً ونبياً مبعوثاً، فهو على نصر رسوله وإعزاز دينه وإهلاك أعدائه قادر، وإنما إمهال وإعذار".[1]

---

(١) تفسير الماوردي (النكت والعيون)، علي الماوردي (ج٣، ٨٩)

هداية الاسم:

يوسف عليه السلام شخصية متكاملة قدوة للنبي عليه السلام وللمؤمنين، ومثل أعلى في الصبر والعلم والحلم والعفة، وقصته فيها بشارة للنصر

- يلاحظ القارئ أن سورة يوسف اهتمت كثيراً ببيان صلة الوحي بالعلم، وأن الوحي مصدر من مصادره، فعلم تعبير الرؤيا وعلوم يوسف عليه السلام التي كانت سبب نجاته من محنة السجن وتمكينه في أرض مصر وسلطاها، وما علمه الله تعالى ليوسف بواسطة الوحي، ولهذا قال يوسف عليه السلام : ﴿ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ ﴾ (٣٧)، وعلم يعقوب عليه السلام بواسطة الوحي، ولهذا قال عليه السلام: ﴿ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ (٨٦)، ﴿ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ (٩٦)، ووصفه سبحانه بقوله: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلۡمٍ لِّمَا عَلَّمۡنَٰهُ ﴾ (٦٨)، وكل هذه العلوم جزء من علم الله تعالى الذي وسع كل شيء علماً، والذي قال:﴿ وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٌ ﴾ (٧٦).

(١٣) سورة الرعد

مدنية عدد آياها ٤٣، ورقمها ١٣

الرعد كما يقول الأصفهاني: "صوت السحاب.. وقيل رعدت السماء وبرقت وأرعدت وأبرقت ويُكنّى بهما عن التهدّد.. والرِّعديد: المضطرب جُبْناً، فيقال أُرْعِدت فرائصه خوفاً".[1] وعند سماع الإنسان لكلمة الرعد يتذكر الصوت الشديد المرعب، كما يتذكر المطر والخير.

وقد ورد الاسم في الآية (١٣) من السورة في قوله تعالى: ﴿ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴾، ولم ترد هذه الكلمة إلا في سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ ﴾ (البقرة: ١٩).

ويلاحظ في الآية أن الرعد يسبح لله تعالى، وهو الصوت الشديد المخيف، وتسبيح الرعد هو إعلان خضوعه لله تعالى الخالق، فمن يخضع لله فهو في تسبيح دائم.

والتسبيح هو تتريه الله تعالى عن كل نقص وعن كل ما لا ينبغي، كما أن **التسبيح فيه شهادة بالكمال الرباني**، ويمكن أن نجد في السورة بيان مظاهر الكمال الرباني، وذلك على النحو الآتي:

---

[1] المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني (ص ١٩٧)

١. قدرة الله تعالى من مقتضيات الكمال الرباني الذي يقتضي التسبيح، فهو الذي رفع السموات بغير عمد، وهو المستوي على العرش، ومسخر الشمس والقمر، وهو يدبر الأمر، وهو الذي مد الأرض وجعل فيها الرواسي العظام، وجعل من كل الثمرات زوجين، كما أنشأ جنات الأرض وما فيها من الثمار المختلفة، وذلك في الآيات (٢-٤). وهو ينشئ السحاب الثقال كما ورد في الآية (١٢).

٢. علم الله تعالى الواسع هو أيضاً مظهر من مظاهر الكمال الرباني، وهذا العلم فيه تهديد للكافرين الماكرين من جانب، وتطمين للمؤمنين من جانب آخر، كما أن الرعد فيه جانبا المطر والتخويف، وقد تعددت المواضع التي تتحدث عن علم الله تعالى ومن ذلك:

- ﴿ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴾ (٨-١٠).
- ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ (٣٣).
- ﴿ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ (٣٩).
- ﴿ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ﴾ (٤٢).

٣. ومن مظاهر كماله سبحانه وتعالى سيطرته على كل المخلوقات، ويبرز ذلك في الآيات الآتية:

- ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴾ (٨).

- ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ ﴾ (١١).
- ﴿ يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ ﴾ (١٢).
- ﴿ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مِنۡ خِيفَتِهِۦ وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ ﴾ (١٣).
- ﴿ وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَظِلَٰلُهُم بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ﴾ (١٥).
- ﴿ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ قُلِ ٱللَّهُۚ ﴾ (١٦).
- ﴿ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ ﴾ (١٦).
- ﴿ ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ ﴾ (٢٦).
- ﴿ وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴾ (٤١).

٤. إرسال الرسالات مظهر من مظاهر الكمال الرباني، فهو الذي يراعي عباده وحاجاتهم (٣٠)، والذين يتفاعلون مع الرسالات (المهتدون) يسيرون في اتجاه الإعلان الفعلي والقولي عن تتريه الله تعالى والشهادة له بالعظمة، والذين لا يتفاعلون إنما يسيرون في عكس ذلك، وقد ورد ذلك في الآيات (١٩-٢٥)، (٢٧-٣٠).

ويضيف **أستاذنا** تعقيباً على هذه النقطة: "يمكن القول إن ذكر الأنبياء والمرسلين في الآيات (٣٢، ٣٨، ٤٣) فيه إشارة إلى أنهم أهل المعرفة الحقة والخضوع الكامل، فهم أهل التسبيح الكامل، **ومن هنا يظهر بعض الحكمة لتوسط السورة للسور التي سُمّيت بأسماء الأنبياء عليهم السلام**".

٥. الترغيب والترهيب قانون رباني يشهد على كمال الله تعالى، حيث إن البشر يحتاجون لدوام استقامتهم إلى الترغيب والترهيب، وبغير ذلك لا يصلح حالهم، وقد برز ذلك في الآيات (٣٤-٣٥).

٦. البعث: حيث أنه دون البعث لا يمكن للناس أن يفهموا حقيقة الحياة ويدركوا تجليات الحكمة الإلهية، وفي البعث تمام النعمة التي تليق بالكامل حيث يُدخل المؤمنين الجنة، ويعذب الكافرين، وقد ورد ذلك في الآيات الآتية:

- ﴿ لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ (١٨).
- ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ۝٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ (٢٣-٢٤).
- ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴾ (٢٩).
- ﴿ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾ (١٨).
- ﴿ وَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ ۖ ﴾ (٥).
- ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴾ (٢٥).
- ﴿ لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴾ (٣٤).

٧. عقاب الله تعالى للأقوام السابقة وانتقامه من الكافرين: لأن التسبيح هو استسلام لله تعالى طوعي يضاف إلى الاستسلام الإجباري، فالذين لا يسبحون الله تعالى ولا يستسلمون له يكونون في حالة تناقض مع حركة

الوجود، ومن هنا فإنهم يلقون العقوبة في الدنيا والآخرة، وقد ذكرت الآيات أن الله تعالى هو الذي أصابهم بالمثلات أي النقم التي تجعلهم مثلاً لمن بعدهم، قال تعالى: ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (٦)، وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ﴾ (١١)، وقال تعالى: ﴿ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ ﴾ (٣١). وهو الذي أخذ المستهزئين بالرسل بأشد العقاب، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾ (٣٢)، وهو يهدد الذين يمكرون بالدين وأهله فله المكر جميعاً، قال تعالى: ﴿ وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ (٤٢).

وأما المؤمنون فيسبحون الله تعالى رب الرعد ويعظمونه ويخافونه ويطمئنون إليه، وقد ورد هذا الأمر بصيغ مختلفة فهم يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق، ويصلون ما أمر الله به أن يوصل، ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب، وفي الوقت نفسه يصبرون ابتغاء وجه ربهم (٢٠-٢٢)، كما أنهم تطمئن قلوبهم بذكر الله تعالى (٢٩)، ويتوكلون عليه (٣٠).

ويضيف البقاعي معنى جميلاً لاسم السورة فيقول: "مقصودها وصف **الكتاب** بأنه الحق في نفسه، وتارة يُتأثّر عنه مع أن له صوتاً وإرعاباً وإرهاباً يهدي

بالفعل، وتارة لا يُتأثّر به بل يكون سبباً للضلال والعمى، وأنسب ما فيها لهذا المقصد الرعد، فإنه مع كونه حقاً في نفسه يسمعه الأعمى والبصير والبارز والمستتر، وتارة يُتأثر عنه البرق والمطر وتارة لا، وإذا نزل المطر فتارة ينفع إذا أصاب الأراضي الطيبة وسلمت من عاهة، وتارة يخيب إذا نزل على السباخ الخوارة، وتارة يضر بالإغراق أو الصواعق أو البرد وغيرها والله أعلم".[1]

ومما يعزز المعنى الذي ذهب إليه البقاعي أنه قد وردت آية في السورة تبين أن الله تعالى لو أراد أن يجعل كلاماً تُسيَّر به الجبال أو تُقطع به الأرض أو يُكلم به الموتى لكان هذا القرآن، وكأن هذه الآية تشير إلى عظمة القرآن الكريم، وأنه أعظم من الرعد المخيف الجالب للمطر والله أعلم.

هداية الاسم:

فهمُ التسبيح وتعمّقُه في النفس
وممارستُه عملياً من أعظم الطرق للارتقاء والاطمئنان

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي (ج٤، ١١٧)

- خلاف العلماء في مكية السورة ومدنيتها، وترجيح بعضهم مكيتها على الرغم من تعدد الروايات والأقوال بمدنيتها، وذلك لما تحويه من إنذار وتحذير وبيان قوة الله وعظمته، فقد ذكرت السورة تهديداً بحلول قارعة بالكافرين (الآية ٣١)، والقارعة فيها صوت شديد كما أن الرعد فيه صوت شديد، والآية التي ورد فيها الاسم فيها تهديد أيضاً بقوله ﴿وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ﴾.
- الرعد يحمل معنيين متضادين (الخوف والطمع)، وهذا التضاد يلاحظ في السورة بشكل كبير مثل: صنوان وغير صنوان، أسر القول وجهر به، الغدو والآصال، تغيض الأرحام وتزداد، الغيب والشهادة، مستخف بالليل وسارب بالنهار، الأعمى والبصير، الحق والباطل، يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر، الظلمات والنور.

(١٤) سورة إبراهيم (عليه السلام)
مكية عدد آياتها ٥٢ ورقمها ١٤

اسم هذه السورة باسم نبي من أنبياء الله تعالى، مثل سورة يونس وهود ويوسف ومحمد ونوح عليهم السلام، جاءت ضمن سلسلة متتابعة بعد سور يونس وهود ويوسف ابتدأت بالافتتاحية ﴿الٓر﴾ ، لكن سبقها سورة الرعد والتي ابتدأت بـــ ﴿الٓمٓر﴾ ، وهذا الترتيب يدعو إلى التدبر والتأمل كما يدعو اختيار هذه الأسماء إلى تدبر أيضاً، ولكن ما دلالة اختيار اسم إبراهيم عليه السلام لهذه السورة مع أنها لم تذكر أي جزء من حياته عليه السلام باستثناء دعائه عليه السلام في نهايات السورة في الآيات (٣٥-٤١)؟

إبراهيم عليه السلام هو والد إسماعيل وإسحاق عليهما السلام، وإسماعيل كان من ذريته محمد ﷺ ، وإسحاق كان من ذريته يعقوب (إسرائيل) الذي كان في عقبه الأنبياء. ومن ذرية إبراهيم عليه السلام كثير من الأنبياء عليهم السلام ومنهم يوسف وموسى وعيسى عليهم السلام، وقد ورد في سورة الأنعام ما يشير إلى أن الأنبياء بعد إبراهيم عليه السلام كانوا من ذريته، حيث ذكرت ١٦ نبياً من ذريته، في قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (الأنعام: ٨٤-٨٦)، إذاً فإبراهيم عليه السلام هو أبو الأنبياء، وينتمي إلى نسبه وشجرته كل أهل

الأديان الموحدة منذ بعثته عليه السلام إلى زماننا هذا، فلم يتم انقطاع للتوحيد بعد إبراهيم عليه السلام، ولم يزل من هم على دينه حتى مجيء محمد ﷺ الذي أعلن بوضوح أنه وأمته على ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين، وأمر بالصلاة عليه في كل صلاة للمسلم فيما يسمى بالصلاة الإبراهيمية.

ويواجه هذه المسيرة التي تحمل شعار التوحيد، الذي يُعتبر إبراهيم رمزاً له عبر تاريخها، الظالمون الذين يجتهدون في إطفاء نور الله تعالى، ولكن التاريخ أثبت على مر الأزمان انتصار فكرة التوحيد وزوال الظالمين.

وقد ورد ذكر إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم في ٦٩ موضعاً، برزت فيها شخصية إبراهيم عليه السلام الموحد، القانت، الشاكر، الصابر، المستسلم لله تعالى، ومنها قوله تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (النحل: ١٢٠-١٢١)، ومنها قوله تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴾ (هود: ٧٥)، وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِۦمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (البقرة: ١٣٠-١٣١)، أما في سورة إبراهيم فقد ورد دعاء إبراهيم عليه السلام في نهايات السورة، وقد تناول هذا الدعاء في ثناياه ما يأتي:

١. محاربته للأصنام: ﴿ وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾ (٣٥-٣٦).

٢. حرصه على صلاح ذريته: ﴿ وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾ (٣٥)، ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي ﴾ (٤٠).

٣. حرصه على إقامة الصلاة: ﴿ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ (٣٧)، ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي ﴾ (٤٠).

٤. شكره لله تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ﴾ (٣٩).

٥. بره لوالديه: ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ ﴾ (٤١).

٦. تبتله وقنوته: ﴿ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾ (٣٩)، ﴿ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴾ (٤٠).

٧. حبه للمؤمنين: ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا ﴾ (٣٥)، ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴾ (٤١)، ﴿ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ (٣٧).

والمعالم السابقة في شخصية إبراهيم عليه السلام وفي دعائه تناولتها السورة بشكل واضح كما في العرض الآتي:

١. إبراهيم عليه السلام أبو الأنبياء: ويبرز في السورة ذكر إسماعيل وإسحاق معاً، وهي **المرة الوحيدة في القرآن التي يجتمعان فيها معاً في آية واحدة**، في قوله تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ﴾ (٣٩)، وهما الفرعان اللذان تولد منهما قيادات التوحيد بعد ذلك إلى أن خُتموا بمحمد ﷺ ، ويرتبط بهذا المعنى المثل الذي ضربه الله في السورة للشجرة الطيبة والشجرة الخبيثة، في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً

طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَاۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴾ (٢٤-٢٦)، يقول ابن عاشور: "وفي التوراة أن اسم إبراهيم إبرام وأن الله لما أوحى إليه وكلمه أمره أن يسمى إبراهيم لأنه يجعله أباً لجمهور من الأمم، فمعنى إبراهيم على هذا أبو أمم كثيرة".[1]

٢. إبراهيم عليه السلام رمز التوحيد والاستسلام لله تعالى: وقد ورد ذلك في السورة في قوله تعالى: ﴿ بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (٥٢)، وهي الآية الأخيرة في السورة، وقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦۗ ﴾ (٣٠)، وقد ورد تبرؤ الشيطان من المشركين يوم القيامة في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُۗ ﴾ (٢٢). وأبرزت السورة أن الظالمين المواجهين للتوحيد إلى زوال: قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْۚ ﴾ (١٣-١٤)،

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور (م١، ج١، ٧٠١)

وقوله تعالى: ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ (٢٧)، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمۡ لِيَوۡمٖ تَشۡخَصُ فِيهِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ (٤٢)، وقوله تعالى: ﴿وَسَكَنتُمۡ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَتَبَيَّنَ لَكُمۡ كَيۡفَ فَعَلۡنَا بِهِمۡ وَضَرَبۡنَا لَكُمُ ٱلۡأَمۡثَالَ﴾ (٤٥)، وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخۡلِفَ وَعۡدِهِۦ رُسُلَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٖ﴾ (٤٧).

٣. إبراهيم عليه السلام الشاكر للأنعم: وقد ورد هذا المعنى في السورة في مواضع متعددة منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ﴾ (٥)، وقوله تعالى: ﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ﴾ (٧)، وقوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا وَأَحَلُّواْ قَوۡمَهُمۡ دَارَ ٱلۡبَوَارِ﴾ (٢٨)، وقوله تعالى بعد استعراض مجموعة من النعم في الأرض والسماء: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ﴾ (٣٤).

هداية الاسم:

الحق نور والباطل ظلمات، ودعوة الحق شجرة مثمرة باقية في الدنيا والآخرة، وإبراهيم عليه السلام القدوة والمثل الإنساني الأعلى والبيان المتصل الممتد الذي لا انقطاع له

- في اسم إبراهيم عليه السلام لغات للعرب: إحداها إبراهيم وهي المشهورة وقرأ بها الجمهور، والثانية إبراهام في قراءة هشام عن ابن عامر حيثما وقع اسم إبراهيم، و لم يقرأ جمهور القراء العشرة إلا بالأولى، وقرأ بعضهم بالثانية في ثلاثة وثلاثين موضعاً، وإبراهام تعني في اللغات القديمة الوالد الأكبر أو الأول.[1]

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور (م١، ج٢، ٧٠٢)

(١٥) سورة النحل

مكية عدد آياتها ١٢٨، ورقمها ١٦

النحل كما يقول الأصفهاني: "الحيوان المخصوص، قال: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ ﴾، والنَّحلة والنِّحلة عطية على سبيل التبرع، وهو أخص من الهبة... واشتقاقه فيما أرى من النحل نظراً منه إلى فعله، فكأنّ نَحَلْتُه أعطيته عطية النحل... وبين الحكماء أن النحل يقع على الأشياء كلها، فلا يضرها بوجه، وينفع أعظم نفع، فإنه يعطي ما فيه الشفاء كما وصفه الله تعالى... ومنه نحلت المرأة قال تعالى: ﴿ وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴾ (٤)، والانتحال ادعاء الشيء... ونحل جسمه نحولاً صار في الدقة كالنحل".[١] ويقول المصطفوي: "عطاء بلا عوض، وبلا مطالبة شيء".[٢] ويضيف الرازي معنى آخر فيقول: "وفلان ينتحل مذهب كذا وقبيلة كذا إذا انتسب إليه".[٣]

والآية التي ورد فيها اسم السورة هي الآية (٦٨) في قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾.

---

(١) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني (ص ٤٨٥)

(٢) التحقيق في كلمات القرآن الكريم، المصطفوي (ج١٢، ٦٢)

(٣) مختار الصحاح، محمد الرازي (٣٣٤)

ومن خلال اسم النحل ومن الآيتين اللتين ورد فيهما الاسم يجد القارئ دلالة ذلك في عدة أمور:

١. الإنعام والعطاء.
٢. الوحي الإلهي.
٣. البيت والسكن.
٤. بناء المجتمعات.

وبالنظر إلى آيات السورة نجد أنها تتناول هذه المحاور بشكل واضح، وذلك على النحو الآتي:

١. النعم والعطاء: تحدثت آيات كثيرة في السورة عن نعم الله تعالى على البشر، وقد تناولت الآيات عدة مجالات في هذه النعم شملت وسائل النقل والثمرات وتسخير النجوم والبيوت والزواج، وهذه الآيات هي: (٣-١٦، ٦٥-٧٢، ٧٨-٨١)، وأبرز آية في الموضوع قوله تعالى: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ (١٨)، وهذه النعم تمثل البنية التحتية المادية اللازمة لبناء المجتمعات.

٢. الوحي الإلهي: إضافة إلى آية الاسم التي ورد فيها قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ ﴾ (٦٨)، نجد قوله تعالى: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ ﴾ (٢)، وقوله: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ﴾ (٩)، وقوله: ﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ خَيْرًا ﴾ (٣٠)، وقوله: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ (٣٦)، وقوله:

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ ﴾ (٤٣)، وقوله: ﴿ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ ﴾ (٤٤)، وقوله: ﴿ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ (٦٤)، وقوله: ﴿ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ (٨٩)، وقوله: ﴿ قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ (١٠٢)، وقوله: ﴿ ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ ﴾ (١٢٣).

ويعتبر هذا الوحي هو الطريق الأمثل للهداية، وقد ركزت آيات كثيرة في السورة على موضوع الطرق ووسائط النقل، إضافة إلى الآيات السالفة في موضوع الوحي، وذلك للدلالة على أهمية الوحي في الوصول إلى الهداية والخير، مثل النحل عندما سلك سبل ربه التي ذللها له والتزم بوحي الله وهدايته، ليُخرج بعد ذلك شراباً فيه شفاء للناس، كما يبني بيوتاً جميلة منظمة رائعة يأوي إليها تحميه من المخاطر.

كما ذكرت آيات كثيرة في السورة موضوع الشرك وحال المشركين الذين ابتعدوا عن الوحي الإلهي من الخسارة في الدنيا والخزي في الآخرة، ومن ذلك الآيات (١، ٣، ٢٠-٢٩، ٣٣-٣٥، ٣٦-٣٨، ٤٥-٦٣، ٧٣-٧٦، ٨٣-٨٨، ١٠٠، ١٠٣-١٠٩، ١١٢-١١٣، ١١٦-١١٨، ١٢٠، ١٢٤).

٣. البناء والبيوت: تحدثت آيات السورة بشكل واضح عن البيوت والبناء، وذلك في قوله تعالى: ﴿ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ ﴾ (٢٦)، وقوله: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَـٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَـٰثًا وَمَتَـٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴾ (٨٠)، وقوله: ﴿ مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَـٰنًا ﴾ (٨١).

٤. بناء المجتمعات: تركز السورة على بناء المجتمعات المادي والفكري، على أساس من الوحي الرباني، وهذا هو سبيل سعادتها، وأساس إصلاحها وشفائها، وبغيره تصل إلى الشقاء والخسران، فقد ورد في السورة قوله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ ﴾ (٩٧)، كما قال تعالى عن أثر الابتعاد عن الإيمان على المجتمعات: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَـٰلِمُونَ ﴾ (١١٢-١١٣).

وفي السورة آية عظيمة هي أجمع آية في الأمر والنهي، التي شملت الأسس الرئيسة في بناء المجتمعات، وهي قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ

وَإِيتَآيِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (٩٠).

كما ركزت الآيات التالية لها على الوفاء بالعهود، وهذا أمر مهم في علاقة المجتمع بنفسه وبغيره من المجتمعات، وذلك في الآيات (٩١-٩٥).

هداية الاسم:

نعم الله تعالى على البشر كثيرة، ومن أعظمها الوحي، وهو طريق فلاح المجتمعات في الدنيا والآخرة

(١٦) سورة الإسراء

مكية عدد آياها ١١٥، وترتيبها ١٧

يقول الأصفهاني: "السُّرى **سير الليل**، يقال سرى وأسرى... وقيل إنّ أسرى ليست من لفظة سرى يسري، وإنما هي من السراة وهي أرض **واسعة**... وقوله تعالى: ﴿سُبۡحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسۡرَىٰ﴾ (١)، أي ذهب به في سراة من الأرض، وسراة كل شيء **أعلاه**".[١] ويقول الفيروزآبادي: "السرى، كالهدى: سير عامة الليل".[٢] ويقول الرازي: "وأسرى، أي: سار ليلاً".[٣]

ويقول المصطفوي: "والتحقيق أن الأصل الواحد في المادة: هو سير بلا تظاهر وإعلان وجهر، بل بالسر والخفاء، مادياً أو معنوياً".[٤]

ولكن يبدو أن إضافة الآية الكريمة كلمة ليلاً بعد ذكر الإسراء الذي يعني: **السير في خفاء**، وإذا أضيف إلى ذلك كونه في الليل فهذا يعني أنه سير في خفاءين، وهذا يحتاج إلى إضاءة وإرشاد أكثر.

وقد ورد اسم السورة في أول آية منها، التي تحدثت عن حادثة الإسراء بالنبي ﷺ من مكة إلى القدس، ولم تتناول السورة أية تفاصيل عن الحادثة في غير الآية الأولى، فما علاقة اسم (الإسراء) بموضوعات السورة؟

---

(١) المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد الأصفهاني (ص ٢٣١)

(٢) القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ص ١٣٠١)

(٣) مختار الصحاح، محمد الرازي (ص ١٦٣)

(٤) التحقيق في كلمات القرآن الكريم، المصطفوي (ج٥،١٣٩)

وللإجابة عن السؤال يمكن ربط معاني الإسراء في اللغة التي تدور حول معان ثلاثة هي: **السير بالخفاء والاتساع والعلو** بموضوعات السورة، حيث تتوزع هذه المعاني في السورة بشكل واضح كما في العرض الآتي:

١. **السير بالخفاء**: إن السير بالخفاء والليل يحتاج إلى إرشادات أكثر ما يحتاجه السير بالنهار، وقد يكون السير بالخفاء والليل إشارة إلى مراحل صعبة تمر على الأمة، وظروف مظلمة، والمثال الواضح في زماننا لهذا الظلام احتلال بني إسرائيل لمسرى النبي ﷺ، والمرحلة الحرجة التي يعيشها المسلمون نتيجة ذلك، ومن الإرشادات في السورة التي تعين المسلمين على السير للخروج من هذا الظلام:

- اتباع القرآن الكريم: تتكرر في السورة، وبشكل لافت للنظر، كلمة (القرآن)، حيث يبلغ عدد تكرارها عشر مرات، وهو أعلى تكرار لهذه الكلمة في سور القرآن الكريم، كما وردت كلمات أخرى تدل على الوحي الإلهي والهداية الربانية، والمعروف أن القرآن الكريم هدى ونور، ومخرج للناس من الظلمات إلى النور، وأن من يترك الوحي سيكون في ضلال، وهو ما أكدته عدة مواضع في السورة ومنها:
  - قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ (٩).
  - قوله تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٨٢).
  - قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾ (٨٩).

- قوله تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴾ (٩٤).
- قوله تعالى: ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْـَٔاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ (٧٢).
- قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ ﴾ (٩٧).

- وفي السورة كثير من التوجيهات المباشرة، وهو الأمر الذي يحتاجه البشر أثناء مسيرهم في الدنيا، ويحتاجونه أكثر إذا اشتدت الظلمات، وأصبح المنكر معروفاً، والمعروف منكراً، وقد ذُكرت هذه التوجيهات في الآيات (٢٢-٣٩)، وخُتمت بقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ ﴾ (٣٩)، والأوامر الربانية خاصة في الأمور الاجتماعية هي أخفى ما تكون على البشر، خاصة في ظروف الهزيمة والانكسار، بل إن الإنسان أحياناً يتمنى أمراً يظنه الخير وهو الشر، كما قال الله تعالى: ﴿ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴾ (١١)، كما ذكرت السورة أن علم الإنسان قليل خاصة فيما يتعلق بالروح وحاجاتها، قال تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (٨٥).

- كما تكرر في السورة ذكر بعض السنن الاجتماعية التي تخفى على كثير من الناس، خاصة في مرحلة الضعف، ومنها قوله تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ﴾ (١٦)، وقوله تعالى: ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَسۡتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ لِيُخۡرِجُوكَ مِنۡهَاۖ وَإِذٗا لَّا يَلۡبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلٗا ٧٦ سُنَّةَ مَن قَدۡ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِن رُّسُلِنَاۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحۡوِيلًا ﴾ (٧٦-٧٧).

وما يؤكد هذا الأمر أن الآية الأولى في السورة والتي تحدثت عن الإسراء أشارت إلى تفضل الله على نبيه بهذه الرحله ليريه من الآيات، وهو ما يجعله يثبت على الحق، ويُثبّت من خلفه، كما ذُيّلت بقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ (١)، واختيار هذين الاسمين للإشارة إلى أهم ما يحتاجه السائر في الليل.

- وجاء ذكر قصة إبليس في الآيات (٦١-٦٥)، والتركيز على سعيه لإضلال البشر، وذلك للتحذير من هذا العدو وما يمثله من كيد يهدف إلى إغراق الناس في الظلمات والتيه، وأن اتباع النور الرباني عصمة للإنسان من كيده وشروره، قال تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٞۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلٗا ﴾ (٦٥).

٢. **الاتساع**: ويمكن ملاحظة السعة في السورة من خلال الآتي:

- يظهر الاتساع في مباركة بيت المقدس وما حولها، والبركة فيها تمركز الخير وانتشاره، وهذا ما أكدته أكثر من آية في القرآن الكريم مثل قوله تعالى: ﴿ٱلَّتِي بَـٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَـٰلَمِينَ﴾ (الأنبياء: ٧١).
- يعطي الله تعالى طالبي الدنيا والآخرة عطاءً غير محظور عن أحد في الدنيا بغض النظر عن صلاحه، أما أهل الآخرة فسعيهم **مشكور** في الآخرة، وهي كلمة تدل على عطاء ذي سعة هائلة غير محدودة، لأن الشاكر هو الله تعالى، وشكر الله لا حدود له، وهذا ما تحدثت عنه الآيات (١٨-٢١).
- الله قادر على بسط الرزق لمن يشاء، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا﴾ (٣٠).
- تكرر في السورة الحديث عن سعة عطاء الله تعالى للبشر، الذي يتمثل في إعطائهم القدرة على الحركة براً وبحراً، وتفضيلهم على كثير من الخلق، وتسخيره الليل والنهار ليستطيع البشر معرفة السنين والحساب، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا﴾ (٧٠).
- وأما الآية (٨٥) فتبين سعة علم الله تعالى، وهو العلم الذي يغدو أمامه علم الإنسان قليلاً محدوداً، قال تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾.

٣. **العلو**: ويمكن ملاحظة العلو في عدة محاور في السورة:

- علو الله تعالى: ويظهر ذلك من خلال التسبيح في افتتاحية السورة، وهي السورة الأولى في السور التي تبدأ بالتسبيح، والتسبيح فيه تنزيه لله عن كل

نقص، وفي الآيتين (٤٢-٤٣) نفي أي إله مع الله تعالى وتعاليه عن ذلك، بل واستخدام عبارة: ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾ (٤٣)، كما تذكر الآيتان (٥٦-٥٧) أن أهل الطاعات يتنافسون للتقرب إليه رجاء رحمته وخوفاً من عذابه، وتؤكد الآية (٦٠) أن الله مسيطر على أمور الناس، وهو ما يؤكد علوه، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ﴾ ، ثم تأتي خاتمة السورة مؤكدة على علوه وبراءته من كل نقص، منتهية بدعوة المؤمن لتكبير الله تعالى، في قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴾ (١١٠-١١١).

وقد كانت حادثة الاسراء خرقاً لناموس الأسباب العادية التي تعوّد عليها البشر، ولفتاً للأنظار لهذه القدرة الإلهية العجيبة التي لا تتقيد بناموس، فالله عز وجل هو الفعال لما يريد، وإنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون، فالحادثة تقيم الدليل الذي لا يقبل الشك على قدرة الله تعالى أولاً، ثم ثانياً على أنه يخرق الأسباب التي يريد.

- علو بني إسرائيل في فلسطين: وهو محور مهم من محاور السورة، ويدل على ذلك الاسم التوقيفي الثاني للسورة (بني إسرائيل)، وآيات السورة تعلن بالعبارة الواضحة أن هذا الوجود الإسرائيلي علو كبير، في قوله تعالى: ﴿وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾ (٤)، كما تتحدث آيات السورة عن أهم

عناصر هذا العلو ومصيره في موضعين في بداية السورة وخاتمتها، وذلك في الآيات (٢-٨)، (١٠٤-١٠٩).

- العلو الفردي عبر العبادة: وهو الأمر الذي يظهر بشكل لافت من خلال الدعوة إلى الصلاة، بل وتحديد مواعيدها، وهو الموضع الوحيد في القرآن الكريم الذي تحدث عن هذا الموضوع، وذلك في قوله تعالى: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ (٧٨)، وتؤكد الآية التي تليها على مركزية قيام الليل وأثره في الوصول إلى المقام المحمود، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ (٧٩)، ثم تبين الآية التالية أن سلوك طريق العبادة تجعل للعبد مكاناً عالياً عند الله تعالى، حيث يُدخله الله مُدخل صدق، ويُخرجه مُخرج صدق، والأهم أن له من الله سلطاناً نصيراً، في قوله تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا ﴾ (٨٠).

ويمكن القول إن السورة بموضوعاتها وبمعاني كلمة الإسراء الثلاثة يمكن أن تكون توجيهاً تفصيلياً للفترة التي تبدأ بقيام العلو الإسرائيلي في الأرض المباركة في عام (١٩٤٨) إلى نهايته التي يعلمها الله تعالى، وأن هذه الفترة ستكون أكثر الفترات في تاريخ المسلمين ظلاماً وحيرة وارتباكاً، وبالتالي فالأمة تحتاج فيها إلى مزيد من التوجيهات والإضاءات والإرشادات أكثر مما تحتاجه في أي فترة أخرى، ولأنها فترة فيها العلو المفسد فلا بد من مواجهته على مستوى العقل والقلب، بالتذكير

بالعلو الرباني، وما يعطيه لأوليائه من العز والتمكين والعلو. وبسبب ما يعانيه الناس في زمان العلو المفسد من ضيق، كانت السورة موجهة للعروج إلى الخالق من خلال الصلاة والعبادة والتسبيح، كما وجهت إلى الاهتمام باستمداد النور في ظلام هذه الفتنة من القرآن الكريم الذي يهدي للتي هي أقوم.

وكما كانت حادثة الإسراء والمعراج إكراماً من الله تعالى لعبده محمد ﷺ ، حيث كان عليه السلام مدعوّاً ليشاهد من آيات القدرة والعظمة الإلهية ما يُطمئنه على مستقبل دعوته ونصرته. فإن السورة فيها **التطمين** للرسول ﷺ والمسلمين على أن استفزاز عدوهم لهم ومحاولة إخراجهم من أرضهم، وخاصة في فلسطين، يؤدي إلى هلاك عدوهم وانتهاء أمره، وهو ما يمكن أن يُفهم من قوله تعالى: ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَاۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَاۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴾ (٧٦ - ٧٧)، وقوله تعالى: ﴿ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴾ (١٠٣).

هداية السورة:

القرآن الكريم والتسبيح والصلاة،
منارات تهدي الأمة للخروج من الظلمات والأزمات

(١٧) سورة الكهف

مكية عدد آياتها ١١٠، وترتيبها ١٨

يقول ابن فارس: "الكاف والهاء والفاء كلمة واحدة، وهي غار في جبل، وجمعه كهوف".[١] ويقول ابن منظور: "الكهف: كالمغارة في الجبل، إلا أنه أوسع منها، فإذا صغر فهو غار".[٢] ويستخدمه الناس عادة للاحتماء والاختفاء والمسكن.

ورد الاسم في السورة بالصيغة نفسها في الآيات (٩، ١٠، ١١، ١٦)، كما ورد مضافاً إلى من سكن فيه بصيغة "كهفهم" في الآيتين (١٧، ٢٥)، ولم يرد هذا الاسم في القرآن الكريم في غير هذه السورة، وإنما وردت كلمة الغار في قصة الهجرة في سورة التوبة في قوله تعالى: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ ﴾ (التوبة: ٤٠).

وقد ذكرت السورة أربع قصص أولاها قصة أصحاب الكهف، وهم الفتية الذين فروا بدينهم إلى الكهف، فضُرب عليهم النوم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعاً، ومن الواضح أن الكهف في القصة هو ملجأ يحقق الأمن والحماية، وكان مناسباً تماماً لنومهم الطويل مما يعني وجود إعداد رباني لأوضاع الكهف، ولعلّ التجاءهم إليه كان بإشارة من نبي لهم، أو بإلهام من الله، قال تعالى: ﴿ وَإِذِ

(١) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ج٢، ٤٢٧)

(٢) لسان العرب، ابن منظور (ج٩، ٨٧٠)

ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا ﴾ (١٦).

وبناءً على ما سبق يمكن القول إن الدلالة الظاهرة والمباشرة لاسم السورة: **الملجأ الذي يوفر الأمن والحماية المادية والمعنوية**، ومما يؤكد ما وصلنا إليه اعتبار الرسول ﷺ سورة الكهف عاصماً لقارئها من الفتن والمخاطر، كما ورد عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن الرسول ﷺ قوله: "من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال".[١]

والسؤال المهم : هل مواضيع السورة ومحاورها تؤكد هذه المعاني لاسم السورة؟

تؤكد الآيات الأولى من السورة (١-٥) أن الملجأ الحقيقي هو القرآن الكريم الذي لا عوج فيه، وعلى أنه المرشد والهادي والعاصم من الغواية، فهو نعمة عظيمة تستوجب الحمد، وأن الفوز والبشارة بالخير والأجر الدائم لأولياء الله وعباده المؤمنين، وأن أي شيء سوى الله تعالى يُعتقد أنه ملجأ، فإنما هو في الحقيقة ملجأ متوهَّم.

ثم تأتي القصص الأربع لتؤكد المعاني نفسها، حيث سنستعرضها واحدةً واحدةً للتدليل على ما ذهبنا إليه:

---

(١) صحيح مسلم، مسلم النيسابوري (حديث ٨٠٩، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي).

١. القصة الأولى هي قصة أصحاب الكهف في الآيات (٩-٢٦)، التي تُبين أنهم لجأوا إلى الكهف هرباً من قومهم وطلباً للأمن والحماية، وهم يدركون أن الذي سيتكفل بهم حقاً هو الله تعالى: ﴿فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾(١٦).

وتعقب الآيات التالية للقصة بالتركيز على أهمية اللجوء إلى الله تعالى، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ (٢٧)، وقوله تعالى: ﴿مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾ (٢٦)، كما تُظهر الآيات أيضاً مصير اللاجئين إلى الله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ (٣١)، وأما الآخرون فمصيرهم: ﴿نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ﴾(٢٩).

٢. أما القصة الثانية في الآيات (٣٢-٤٤): وهي قصة صاحب الجنتين فتُبين أن المال والغنى ليسا سبيل الأمان، فالمؤمن الذي لم يشرك حفظه الله تعالى، والمشرك الغني الذي توهم أن ماله أمان له في الدنيا والآخرة أصبح معدماً نادماً على اعتقاده الفاسد، فالقصة فيها تحصين للمؤمن في مواجهة الإغراء المادي والاغترار بالدنيا.

وتأتي الآيات المعقبة (٤٥-٥٩) مؤكدة على سرعة زوال الدنيا بما فيها، وأنه عند زوال الدنيا ستتجلى الحقيقة للمجرمين، كما تُذكر بقصة خلق آدم عليه السلام وما جرى فيها من عصيان إبليس لله تعالى، وتستنكر على من يتخذ

إبليس العدو ولياً من دون الله تعالى مع أنه عدو، وتُبين أن ولايته وولاية غيره من دون الله تعالى واهنة.

٣. ثم تأتي القصة الثالثة في الآيات (٦٠-٨٢): وهي قصة موسى والعبد الصالح موضحة من خلال أحداثها تأمين الله تعالى للضعفاء والصالحين، وتهيئة الأسباب لحمايتهم، دون أن ينتبه البشر وحتى الأنبياء إلى يد الله الحانية، بل قد يظنون الشر فيما هو خير، أو العبث فيما هو حكمة، ففي القصة تثبيت للمسلم عندما يخفى عليه وجه الحكمة.

٤. أما القصة الأخيرة في السورة في الآيات (٨٣-٩٨): فهي قصة ذي القرنين المتحرك بأمر الله تعالى وتوجيهاته، يرعى مصالح الشعوب والقبائل، ويحمي المستضعفين في مشارق الأرض ومغاربها، ويؤمنهم من أعدائهم المعتدين، وفي القصة إشارة إلى أن الحكم العادل المرتبط بالوحي أمان للناس.

وتختم السورة في الآيات (١٠٢-١١٠) بإظهار مصير الذين اتخذوا من دون الله تعالى ولياً، وفي المقابل مصير الموالين لله تعالى.

يقول **الشيخ الندوي** تعقيباً على السورة واسمها: "ورأيت نفسي تتوق إلى معرفة سر هذا التخصيص، والصلة المعنوية بينها وبين هذه العصمة التي أخبر عنها الرسول ﷺ ، ففي القرآن سور من القصار المفصل، وسور من الطوال، عدل عنها النبي ﷺ إلى هذه السورة، وخصها بهذه الخاصية العظيمة، واقتنعت إجمالاً، بأن هذه السورة القرآنية الفريدة، التي تحتوي على أكبر مادة وأغزرها فيما يتصل بفتن العهد الأخير التي يتزعمها الدجال، ويتولى كبرها، ويحمل رايتها، وتحتوي

على أكبر مقدار من الترياق الذي يدفع سموم الدجال ويُبرئ منها، **وأن من يتشرب معاني هذه السورة ويمتلئ بها يعتصم من هذه الفتنة المقيمة المقعدة للعالم،** ويفلت من الوقوع في شباكها، وإن في هذه السورة الكريمة من التوجيهات والإرشادات، والأمثال والحكايات ما يبين الدجال ويشخصه في كل زمان ومكان، وما يُوضح الأساس الذي تقوم عليه فتنته ودعوته، وتُهيئ العقول والنفوس لمحاربة هذه الفتنة ومقاومتها، والتمرد عليها، وإن فيها روحاً تعارض التدجيل وزعماءه، ومنهج تفكيرهم، وخطة حياتهم في وضوح وقوة".[1]

كما يقول قطب في الظلال: "أما المحور الموضوعي الذي ترتبط به موضوعاتها، ويدور حوله سياقها، هو **تصحيح العقيدة، وتصحيح منهج النظر والفكر، وتصحيح القيم بموازين العقيدة".**[2] وفي هذا التصحيح حماية للمسلم من الانحراف، لأن الفوز في الدنيا والآخرة يقوم على سلامة العقيدة والمنهجية الصحيحة. ومن الآيات التي تشير إلى ذلك:

- قوله تعالى في افتتاحية السورة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾ (١-٤)، وفي ختام السورة قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ

---

(١) المدخل إلى الدراسات القرآنية، أبو الحسن الندوي (ص ١١٠-١١١)

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب (ج٤، ٢٢٥٧)

يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا ﴾ (١١٠)، وفي ذلك إشارة واضحة إلى إعلان التوحيد وإنكار الشرك وإثبات الوحي.

- قوله تعالى على لسان فتية الكهف: ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ﴾(١٤-١٥)، وقوله تعالى: ﴿ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ (٢٦)، وقوله على لسان المؤمن الذي كان يعظ صاحبه صاحب الجنتين: ﴿ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴾ (٣٧-٣٨).

- ﴿ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِأَبَآئِهِمْ ﴾ (٥).

- ﴿ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ﴾ (١٥).

- ﴿ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ﴾ (٢٢).

- ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾ (٢٨).

- ﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ﴾ (٤٥-٤٦).

- ﴿ قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ﴾ (١٠٣-١٠٤).

وبناءً على ما سبق فإن دلالة اسم الكهف التي **تتمثل في الحماية والأمن من الانحراف والفتن** يستدعي من أهل التدبر للقرآن الكريم استخراج المعاني والقيم التربوية من السورة، والتركيز على نشرها والتذكير بها.

وخلاصة القول في دلالة اسم السورة: إن اللجوء الحقيقي يجب أن يكون إلى من هيأ الكهف للفتية قبل وجودهم في الدنيا، واستمرت رعايتهم قروناً طويلة وهم في حالة من العجز، ولمن حفظ المساكين والأيتام وأهل الإيمان، كما يتمثل الملجأ الحقيقي في الدين القيم الذي لا عوج فيه والولاية الربانية وجماعة المؤمنين، وأما المال والجاه والولاية الشيطانية فهي ملجأ وهمي.

هداية الاسم:

الأمان الحقيقي للإنسان هو في موالاةِ الله تعالى والاعتصامِ بكتابه

(١٨) سورة الأنبياء

مكية عدد آياتها ١١٢، وترتيبها ٢١

يقول ابن منظور: "قال الفراء: النبي هو من أنبأ عن الله فتُرك همزه. قال: وإن أُخذ من النّبْوة والنّباوة، وهي الارتفاع عن الأرض، أي أنه أشرف على سائر الخلق، فأصله غير الهمز... والرسول أخص من النبي لأن كل رسول نبي وليس كل نبي رسولاً".[1]

ويقول ابن فارس: "النون والباء والحرف المعتل أصل صحيح يدل على ارتفاع في الشيء عن غيره".[2]

هذه السورة سميت باسم الأنبياء جميعاً ولم تُسمّ باسم نبي كما كانت سور أخرى، ولم يرد ذكر الاسم في السورة بشكل مباشر وإنما استعرضت السورة جزءاً من مسيرة الأنبياء عليهم السلام في الآيات (٤٨-٩١)، وقد تلا الحديث عنهم قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾ (٩٢)، فلماذا سمّيت السورة بهذا الاسم؟

---

(١) لسان العرب، ابن منظور (ج١، ١٩٦)

(٢) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ج٢، ٥٣٩)

قد تكون السورة استعراضاً لطبيعة الدعوة والمدعوين ومواصفات القادة والأتباع، ويظهر ذلك من خلال العرض الآتي:

١. الآيات (١-٦) تشير إلى الهدف الأهم من إرسال الأنبياء عليهم السلام، وهو إخراج الناس من لهوهم ولعبهم، وتذكيرهم باليوم الآخر ومركزيته، كما تحدثت عن موقف المدعوين من الأنبياء عليهم السلام، حيث بينت هذه الآيات اتهام المدعوين للانبياء بالسحر والافتراء وأن كلامهم أضغاث أحلام أو أقوال شعراء، كما يستغرب المدعوون بشرية الرسل ويطلبون منهم المعجزات، وفي الآيات (٣٦، ٣٨، ٤١) تأكيد على موقف المدعوين المستهزئ بالرسل، كما تناولت السورة في مواضع متعددة الحديث عن يوم القيامة وذلك في الآيات (٣٨-٤٠، ٤٧، ٩٥-١٠٤)، وفي المقابل عند البدء بالحديث عن الأنبياء عليهم السلام ذكر الله تعالى الذين ينتفعون بدعوة الأنبياء في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴾ (٤٨-٤٩).

٢. الآيات (٧-٨)، تبين أن مشيئة الله اقتضت أن يكون الرسل كلهم من البشر: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ﴾ (٧)، وهم غير خالدين ويحتاجون الأكل، وقد أعاد التأكيد على هذا المعنى في الآية (٣٤) في قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ﴾، وفي الوقت ذاته فهم رحمة مهداة من الله تعالى في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ (١٠٧).

٣. وهؤلاء الرسل عليهم السلام هم أحباب الله تعالى، فهو وليهم ومنجيهم والحافظ لهم من كيد أعدائهم والمستجيب لدعائهم، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنجَيْنَاهُمْ وَمَن نَّشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴾ (٩)، وقد تكرر ذلك في السورة بشكل واضح كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ (٤١)، كما تجلى عند سرد قصص الأنبياء عليهم السلام، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴾ (٦٩-٧١)، وتتحدث الآيات (٧٢-٩١) عن ولاية الله لأنبيائه وتأييده لهم.

٤. أما الدعوة فهي واحدة وإن تعدد الرسل على مدار الزمان فهي قائمة على توحيد الله تعالى ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ (٢٥)، وفي ختام الحديث عن الأنبياء عقبت الآيات بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ (٩٢)، وقد تناولت الآيات (٢١-٢٩، ٤٣، ١٠٨) الحديث عن وحدانية الله تعالى ونفي الولد والشريك له سبحانه، كما وصف الله تعالى ما أنزل إلى رسله بالفرقان والضياء والذكر (الرفعة والمنزلة العالية) والرحمة والبركة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (٤٨)، وقوله: ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ﴾ (١٠).

٥. ولقد عرضت السورة سنن الله في الدعوات التي لا تتخلف، ومن هذه السنن أن يغلب الحق في النهاية وأن يُزهق الباطل، وأن يحل الهلاك بالظالمين المكذبين، وأن تكون النجاة للرسل والمؤمنين، وأن يرث الأرضَ عبادُ الله الصالحون، ومن الآيات التي تناولت هذه السنن قوله تعالى: ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴾ (١١)، وقوله تعالى: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ (١٨)، وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ (٩)، وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾ (١٠٥).

٦. كما ذكرت السورة صفات الأنبياء عليهم السلام لبيان فضلهم وتميزهم للاقتداء بهم، فهم راشدون وعلماء وعابدون وصالحون وخاشعون وصابرون، ومنها قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ ﴾ (٥١)، وكان واضحاً رشده وحكمته في دعوته قومه وحواره معهم في الآيات (٥٢-٥٧، ٦٢-٦٧)، وقوله تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴾ (٧٢ - ٧٣)، وقوله تعالى: ﴿ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ (٧٥) في معرض إخباره عن لوط عليه السلام، وقوله تعالى: ﴿ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا

حُكْمًا وَعِلْمًاۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَۚ ﴾ (٧٩)، وقوله تعالى: ﴿ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِي رَحْمَتِنَآۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ (٨٥ - ٨٦)، وقوله تعالى في ختام الحديث عن الأنبياء عليهم السلام: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾ (٩٠).

٧. تناولت الآيات (٣٠-٣٣، ٣٧، ٤٢، ٤٤) بعض مظاهر خلق الله في الكون وبيان نعم الله على البشر، حيث أن هذه المظاهر والنعم دالة على فضل الله على عباده، وقدرته سبحانه على نصر أوليائه.

وبناءً على المعنى اللغوي المذكور الذي ذكره الرازي أن النون والباء والحرف المعتل تدل على ارتفاع في الشيء عن غيره، يلاحظ أن السورة التي أظهرت مكانة الأنبياء ذُكر فيها بركة فلسطين في الآيتين (٧١، ٨١)، كما أشارت الآية (٥٠) إلى بركة القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُۚ ﴾ (٥٠)، وقد يكون في ذلك إشارة إلى مركزية القرآن الكريم وفلسطين في مسيرة أتباع الأنبياء بعد محمد ﷺ، كما يصفها بعض المفكرين بالعالمية الثانية.

يقول قطب: "ومن ثم يستعرض السياق أمة الرسل الواحدة في سلسلة طويلة استعراضاً سريعاً، يطول بعض الشيء عند عرض حلقة من قصة إبراهيم عليه السلام، وعند الإشارة إلى داود وسليمان، ويقصر عند الإشارة إلى قصص نوح

وموسى وهارون ولوط وإسماعيل وإدريس وذي الكفل وذي النون وزكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام.

وفي هذا الاستعراض تتجلى المعاني التي ذكرت في سياق السورة، في صورة وقائع في حياة الرسل والدعوات، بعدما تجلت في صورة قواعد عامة ونواميس.

إن هذه الرسالة حق وجد، كما أن هذا الكون حق وجد، فلا مجال للهو في استقبال الرسالة ولا مجال لطلب الآيات الخارقة، وآيات الله في الكون وسنن الكون كله، توحي بأنه الخالق القادر الواحد، والرسالة من لدن ذلك الخالق القادر الواحد".[1]

والخلاصة كما يقول **أستاذنا**: "إن السورة قد نوعت في الحديث عن الأنبياء، حيث تناولت الحديث عن (١٧) نبياً ورسولاً، فتحدثت عن أنماط مختلفة منهم، حيث تحدثت عن أنبياء تعرضوا للاستهزاء والتعذيب من أقوامهم، كما تحدثت عن أنبياء كانوا ملوكاً لأقوامهم، ولم تتطرق للحديث عن حال أنبياء مع أقوامهم، وكأنها تستعرض مسيرة الأنبياء بكافة ظروفهم وأحوال أقوامهم، ولكنها تركز على بشريتهم ووحدة رسالتهم وعبوديتهم لله تعالى وعناية الله بهم".

هداية الاسم:

اتباع طريق الأنبياء يخرج الناس من غفلتهم عن الآخرة، وهو الموصِلُ للرفعة في الدنيا والآخرة.

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب (٤، ٢٣٦٥)

- جاء ذكر الأنبياء عليهم السلام في السورة بالنصب، بتقدير واذكر، لبيان تشريفهم وبيان مكانتهم عليهم السلام.
- يلفت النظر أن الآيات التي تتحدث عن الأنبياء في السورة بدأت بحديث سريع عن موسى عليه السلام في آية واحدة، وسورة الأنبياء جاءت بعد سورة طه التي أطالت الحديث عن موسى عليه السلام، كما أن الآيات ختمت الحديث عن الأنبياء بذكر عيسى وأمه عليهما السلام بشكل سريع أيضاً ولكن الحديث كان مطولاً في سورة مريم التي سبقت سورة طه.

(١٩) سورة الحج

مدنية عدد آياها ٧٨، وترتيبها ٢٢

الحج لغة كما يقول الحلبي: "وأصل الحج لغة القصد، وجعل في الشرع قصداً مخصوصاً لمكان مخصوص في زمان مخصوص على هيئات مخصوصة".[١]

فريضة الحج هي ركن من أركان الإسلام، ولم تُسمّ سورة أخرى باسم أي ركن أو فريضة أخرى، وقد يكون ترتيبها بعد سورة الأنبياء فيه إشارة إلى أن الأنبياء عليهم السلام كلّهم قد أدى عبادة الحج إلى بيت الله الحرام الذي بناه آدم عليه السلام، كما كان لإبراهيم وإسماعيل عليهما السلام شرف إعادة بناء الكعبة، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ ﴾ (البقرة: ١٢٧)، وتشير الآية (٢٦) من السورة إلى هذا المعنى بقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾ (٢٦)، وتتضمن فريضة الحج عدة معان بارزة وهي: الإخلاص في القصد، والتعظيم والاستسلام، والعالمية، والمجاهدة، وإذا تدبرنا آيات السورة سنجد أنها تتوزع بين هذه المعاني وتتضمنها، وذلك على النحو الآتي:

١. **القصد (إخلاص النية):** يتجلى هذا المعنى بشكل واضح في السورة، فتُشنع أمر الشرك وتؤكد على التوحيد، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ۝٣ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ

---

[١] عمدة الحفاظ، الحلبي، (ج١، ٤٣٢)

فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهۡدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ (٣-٤)، ﴿ يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ ﴾ (١٢)، وقوله: ﴿ وَإِذۡ بَوَّأۡنَا لِإِبۡرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلۡبَيۡتِ أَن لَّا تُشۡرِكۡ بِي شَيۡـٔٗا ﴾ (٢٦)، وقوله: ﴿ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيۡرَ مُشۡرِكِينَ بِهِۦۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ ﴾ (٣١)، ﴿ فَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَلَهُۥٓ أَسۡلِمُواْۗ ﴾ (٣٤، ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ ﴾ (٦٢)، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ ﴾ (٧٣).

٢. **التعظيم والاستسلام:** وهو من مقاصد الحج وأهدافه التربوية، حيث يقطع المسلم المسافات من أجل هذه العبادات، وكذلك القيام بشعائر تحمل هذا المعنى، ومن الآيات التي تحمل هذا المعنى في السورة قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ﴾ (٣٢، وقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦۗ ﴾ (٣٠)، ومن مقتضيات التعظيم الاستسلام وهو أن يفعل الإنسان أوامر الله تعالى من غير معرفة لقصدها وحكمتها، وهذا مطلوب من المسلم خاصة في العبادات، وقد قال العلماء سابقاً: إن العبادات لا تعلل، فمثلاً من شعائر الحج تقبيل الحجر الأسود أو الإشارة إليه، وقد ورد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه جاء إلى الحجر الأسود فقبله، فقال: "إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت

النبي ﷺ يُقبلك ما قبلتك"،[1] ومن الآيات التي تفيد هذا المعنى في السورة قوله تعالى: ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ﴾ (٣٧)، وقوله تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴾ (٣٤)، وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴾ (٢٩)، والملاحظ أن الطواف ليس المقصود منه الطواف حول البناء المادي، بل هو إعلان للطواف حول أوامر الله تعالى، وعقد العهد معه سبحانه وتعالى أن المؤمن سيجعل حياته تدور حول أوامره ونواهيه، وفيه إعلان بالاستسلام كما هو الكون، لأن الطواف انسجام في الحركة مع حركة الكون.

٣. **العالمية:** ابتدأت السورة بقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾، وقد تكرر هذا النداء في السورة (**١٥ مرة**)، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ ﴾ (٥)، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ (٤٩)، وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ﴾ (٧٣)، وقد كان الطلب من إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ

(١) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري (حديث ١٥٩٧، كتاب الحج، باب ما ذكر في الحجر الأسود)

﴿ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ (٢٧). كما كانت خاتمة السورة معلنة ارتباط المسلمين بإبراهيم عليه السلام كما قال الله تعالى: ﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ (٧٨).

٤. **المجاهدة:** الحج عبادة شاقة يتحمل فيها الحاج كثيراً من المشاق ابتغاء مرضاة الله تعالى، وزيارة ذلك الموقع تُذكّر الحاج بما لاقاه الرسول ﷺ في بداية نشره للدعوة ومجاهدته لأعداء الله الذين كانوا يصدون عن المسجد الحرام ويحاربون أولياءه ويمنعون من التوجه إلى الله تعالى، ومن الآيات التي تشير إلى هذا المعنى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ﴾ (٢٥)، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ (٣٨)،وقوله: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ (٣٩)، ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ (٤١)، ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوْ مَاتُواْ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ﴾ (٥٨)، ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ﴾ (٧٨).

ومما يلفت النظر ويحتاج للتدبر أنه بعد الإجابة في سورة البقرة عن تساؤل حول الأهلة في قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ﴾ (البقرة: ١٨٩) كان الحديث مباشرة عن القتال في سبيل الله في الآيات (١٩٠-١٩٥)، ثم عاد للحديث عن أحكام الحج في الآيات (١٩٦-٢٠٣).

ويضيف **أستاذنا** لدى مراجعته للبحث تعقيباً على دلالة اسم السورة بقوله:

"الحج هو القصد إلى معظم، ويبدو أن مقصود السورة **التعظيم لله تعالى**، وما الحج (العبادة المعروفة) إلا صورة من صور هذا التعظيم له سبحانه، بل إن مقصد الحج الوصول إلى تعظيم الخالق وشعائره، وهذا الأمر مبثوث في السورة من أولها إلى آخرها، فابتداءً بالنداء الذي تستهل به ويتكرر في السورة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ خلافاً للمعهود في السور المدنية، ومروراً بمشاهد القيامة العظيمة حيث تتجلى عظمة الله لكل الخلق، أما موضوع الجهاد فهو أيضاً لجعل كلمة الله هي العليا، وفي السورة بيان أن المؤمنين عندما يمكنهم الله في الأرض سيقيمون شعائر الله تعالى، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، كما أن الله العظيم يدافع عن أوليائه الذين يجاهدون في سبيله.

كما تتحدث آيات متفرقة في السورة عن آيات الله في الكون التي تدل على عظمته وملكه وغناه سبحانه، وكان واضحاً خلال الحديث عن قصص السابقين التركيز على الأخذ والإهلاك المدمِّر من الله العظيم.

أما المثل الذي ضربه الله تعالى في ختام السورة فيُبيّن ضعف غيره سبحانه من الآلهة والأولياء، وجاء الختام موحياً بأن **من أراد العظمة والعزة فلله العزة والعظمة جميعاً، ومن اصطفاه الله تعالى وأكرمه وكان مولاه وناصره فهو الفائز والمعصوم، وهو في حماية الله العظيم**".

هداية الاسم:

تعظيم الله سبحانه والاستسلام له وحده طريق العزة والتمكين والعالمية

(٢٠) سورة المؤمنون

مكية عدد آياها ١١٨، وترتيبها ٢٣

يقول الأصفهاني: "والإيمان يُستعمل تارة اسماً للشريعة التي جاء بها محمد عليه الصلاة والسلام وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ ﴾ (البقرة:٦٢)، ويوصف به كل من دخل في شريعته مقراً بالله وبنبوته، قيل وعلى هذا قال تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ (يوسف:١٠٦)، وتارة يستعمل على سبيل المدح ويراد به إذعان النفس للحق على سبيل التصديق وذلك باجتماع ثلاثة أشياء: تحقيق القلب، وإقرار اللسان، وعمل بحسب ذلك بالجوارح"،[١] ويقول الفيروزآبادي: "وآمن به إيماناً: صدقه، والإيمان: الثقة، وإظهار الخضوع، وقبول الشريعة".[٢]

ذُكر اسم هذه السورة (المؤمنون) في الآية الأولى بإعلان الفلاح لهم في قوله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ (١)، ثم استعرضت الآيات (٢-٩) صفاهم التي كانت سبب هذا الفلاح، وخُتمت هذه الصفات ببيان مآلهم في الفردوس الأعلى في الآيتين (١٠-١١)، وتمضي الآيات تتناول موضوعات متعددة، فما علاقة بقية السورة مع اسم (المؤمنون) وصفاهم؟

---

(١) المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد الأصفهاني (ص ٢٦)

(٢) المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد الأصفهاني (ص ١١٨٦)

يقول قطب: "هذه سورة (المؤمنون)، اسمها يدل عليها. ويحدد موضوعها. فهي تبدأ بصفة المؤمنين. ثم يستطرد السياق فيها إلى دلائل الإيمان في الأنفس والآفاق. ثمّ إلى حقيقة الإيمان كما عرضها رسل الله صلوات الله عليهم من لدن نوح عليه السلام إلى محمد خاتم الرسل والنّبيين، وشبهات المكذبين حول هذه الحقيقة واعتراضاتهم عليها، ووقوفهم في وجهها، حتى يستنصر الرسل بربهم، فيُهلك المكذبين، ويُنجي المؤمنين.. ثم يستطرد إلى اختلاف الناس بعد الرسل في تلك الحقيقة الواحدة التي لا تتعدد.. ومن هنا يتحدث عن موقف المشركين من الرسول ﷺ ، ويستنكر هذا الموقف الذي ليس له مبرر، وتنتهي السورة بمشهد من مشاهد القيامة يلقون فيه عاقبة التكذيب، ويُؤنّبون على ذلك الموقف المريب، يختم بتعقيب يقرر التوحيد المطلق والتوجه إلى الله بطلب الرحمة والغفران.. فهي سورة (المؤمنون) **أو هي سورة الإيمان، بكل قضاياه ودلائله وصفاته، وهو موضوع السورة ومحورها الأصيل**".[1]

وبناءً على هذا الربط الرائع نستعرض الآيات التي تتناول هذه الموضوعات بصورة مفصلة وعلاقتها باسم السورة:

١. صفات المؤمنين: تستعرض الآيات (١-١١) صفات المؤمنين وإعلان فلاحهم في الدنيا والآخرة، وتبدأ هذه الصفات بالخشوع في الصلاة، وتنتهي بالمحافظة على الصلاة، للدّلالة على أهمّية الصّلاة في تحقيق الإيمان والدّلالة عليه. وتعود الآيات (٥٧-٦٢) لتعرض صفات المؤمنين بطريقة أخرى تُركّز على أثر

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب (ج٤، ٢٤٥٢)

الإيمان في القلب من الخشية والوجل والتسابق إلى الخيرات، كما يقول قطب: "إن قلب المؤمن يستشعر يد الله عليه. ويحسّ آلاءه في كل نفس وكل نبضة.. ومن ثم يستصغر كل عباداته، ويستقلّ كل طاعاته، إلى جانب آلاء الله ونعمائه. كذلك هو يستشعر بكل ذرة فيه جلال الله وعظمته، ويرقب بكل مشاعره يد الله في كل شيء من حوله.. ومن ثم يشعر بالهيبة، ويشعر بالوجل، ويشفق أن يلقى الله وهو مقصّر في حقّه، لم يوفّه حقّه عبادة وطاعة، ولم يقارب أياديه عليه معرفة وشكراً".[1]

٢. دلائل الإيمان في الأنفس والآفاق: تتناول الآيات (١٢-٢٢) آيات الله تعالى في النفس والكون، مذكرة بقدرته ونعمه سبحانه، ولقد بدأت بالحديث عن أطوار خلق الإنسان، يقول قطب: "كما أن في عرض تلك الأطوار بهذا التتابع الدقيق المطّرد، ما يشير إلى أن الإيمان بالخالق المدبر، والسير على نهج المؤمنين الذي بينه في المقطع السابق.. هو وحده الطريق إلى بلوغ الكمال المقدر لتلك النشأة في الحياتين: الدنيا والآخرة".[2] ثم تتابع الآيات الحديث عن دلائل الخلق في الكون، كما يعلق قطب على الآيات بقوله: "إن السياق يمضي في استعراض هذه الدلائل، وهو يربط بينها جميعاً. يربط بينها بوصفها من دلائل القدرة، ويربط بينها كذلك بوصفها من دلائل التدبير، فهي متناسقة في تكوينها، متناسقة في وظائفها، متناسقة في

---

(١) المصدر السابق (ص، ٢٤٧٢)

(٢) المصدر السابق (ج٤، ٢٤٥٧)

اتجاهها. كلّها محكومة بناموس واحد، وكلّها تتعاون في وظائفها، وكلّها محسوب فيها لهذا الإنسان الذي كرّمه الله حساب".[1]

٣. حقيقة الإيمان كما عرضها الرسل الله عليهم السلام: حيث تستعرض الآيات (٢٣-٥٣) مسيرة بعض الأنبياء ودعوتهم أقوامهم إلى عبادة الله وحده، ذُكر بعضهم باسمه، واكتفت آيات أخرى بذكر قصته، كما بيّنت الآيات موقف غير المؤمنين من الرسل وتكذيبهم لهم، وإهلاك الله لهم، وكأن الآيات تشير إلى فلاح المؤمنين على مر العصور، كما تربط المؤمنين بالعمق التاريخي لأهل الإيمان لتزيد من رفع شأنهم وتكريمهم وخاصة الأمة الخاتمة، يقول قطب: "وهذه الأمة التي جاء لها الإسلام كانت أوْلى الأمم باتباع الحق الذي تتمثل فيه، ففوق أنه الحق هو كذلك مجد لها وذكر وما كان لها من ذكر لولاه في العالمين، قال تعالى: ﴿بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ﴾ (٧١)".[2]

وإن هذا الاستعراض السريع لمسيرة النبوات والرسل والمواقف المقابلة لهم، هو أجلى صور الإيمان والثبات عليه.

٤. موقف المشركين من الرسول ﷺ : تتناول الآيات (٦٣-٩٢) موقف المشركين، وتُحاوِرُهم بأسئلة استنكارية، وتلفت أنظارهم إلى الحقائق الكونية، وتسرد الأدلة الواقعية على نبوته ﷺ ، وهي بذلك تكشف عن حقيقة هذا الفكر المتهالك وترسم صورة مخزية لحملته، فتعمل على **تحصين**

---

(١) المصدر السابق (ج٤، ٢٤٦٠)

(٢) المصدر السابق (ج٤، ٢٤٧٥)

المؤمنين من شبهاتهم التي قد تعلق ببعض القلوب المؤمنة فتعيق ارتقاءها الإيماني.

٥. تتناول الآيات (٩٩-١١٤) من السورة مشهداً من مشاهد القيامة، يلقى فيه المكذبون عاقبة تكذيبهم، ويُؤنَّبون على مواقفهم في الدنيا.

٦. وتختم السورة في الآيات (١١٥-١١٨) بتثبيت حقائق أساسية في الإيمان، كما تدعو إلى التوجه إلى الله واستمطار رحمته، يقول قطب (ج٤، ٢٤٨٢): "وتنتهي سورة الإيمان بتقرير القاعدة الأولى للإيمان.. التوحيد.. وإعلان الخسارة لمن يشركون بالله، في مقابل الفلاح في أول السورة للمؤمنين.. وبالتوجه إلى الله في طلب الرحمة والغفران وهو أرحم الراحمين".

ويلخص **أستاذنا** لدى مراجعته للبحث مقصود الاسم بقوله: "إن القرآن يصف للمؤمن مواصفات الإيمان، كما يصف أحوال المكذبين ليبتعد عن صفاتهم، وبالتالي تكتمل صورة الإيمان".

هداية الاسم:

الالتزام بمواصفات الإيمان والابتعاد عن أحوال المكذبين طريق الفلاح

(٢١) سورة النور

مدنية عدد آياتها ٧٦، وترتيبها ٢٤

يقول الزبيدي: "النور: الضوء أياً كان أو شعاعه".[١] ويضيف أيضاً: "النور يُبيِّن الأشياء ويُري الأبصارَ حقيقتها". ويقول الأصفهاني: "النور الضوء المنتشر الذي يعين على الإبصار، وذلك ضربان دنيوي وأخروي، فالدنيوي ضربان: معقول بعين البصيرة وهو ما انتشر من الأمور الإلهية كنور العقل ونور القرآن، ومحسوس بعين البصر وهو ما انتشر من الأجسام النيرة كالقمرين والنجوم والنيرات... وسمى الله تعالى نفسه نوراً من حيث إنه المنوِّر".[٢]

والنور ليس الضوء فقط، إنما الضوء هو شكل من أشكال النور، وبه يمكن رؤية بعض الأمور، بل إن أكثر ما يستخدم النور في غير الضوء المعروف، فالعلم نور، والقرآن نور، والرسول نور، فكل ما يبين الأشياء وينير الطريق لمعرفتها هو نور.

جاء اسم السورة في الآيتين (٣٥)، (٤٠)، وابتدأت الآية الأولى بقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ وانتهت الآية الثانية بقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾، فلماذا سُمِّيت السورة بهذا الاسم؟

يجيب ابن عاشور عن السؤال بقوله: "وأسعد إطلاقات النور في اللغة بهذا المقام أن يراد به جلاء للأمور التي شأنها أن تخفى عن مدارك الناس وتلتبس فيقلُّ

---

(١) تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي (ج٧، ٥٦٣)

(٢) المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد الأصفهاني (٥٠٨)

الاهتداء إليها"،[1] كما يقول عن هذا النور: "ويميز الحق من الباطل، ويزيل من الأذهان اشتباه الصواب بالخطأ، فيتعلم الناس طرق النظر الصائب والتفكير الصحيح".[2]

كما يقول قطب في مقدمة السورة: "يُذكر فيها النور متصلاً بذات الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾، ويذكر فيها النور بآثاره ومظاهره في القلوب والأرواح، ممثلة هذه الآثار في الآداب والأخلاق التي يقوم عليها بناء هذه السورة. وهي آداب وأخلاق نفسية وعائلية وجماعية، تنير القلب، وتنير الحياة، ويربطها بذلك النور الكوني الشامل أنها نور في الأرواح، وإشراق في القلوب، وشفافية في الضمائر، مستمدة كلها من ذلك النور الكبير".[3]

والمتأمل للسورة يجد أن الله العليم هو الذي يُجلّي الأمور التي تخفى في العادة أو الغالب ويقلُّ الاهتداء إليها خاصّة في العلاقات الاجتماعية بين الذكر والأنثى، كما يقول ابن عاشور: "من أكبر الأغراض في هذه السورة تشريع نظام المعاشرة والمخالطة العائلية في التجاور".[4]

ومن خلال النظر في الفكر الإنساني نجد أن البشر يتفقون بسهولة على العلوم الطبيعية، ولكن العلوم الإنسانية وبالذات في تنظيم العلاقة بين الذكر والأنثى

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور (م٨، ج١٨، ٢٣١)

(٢) المصدر السابق (م٨، ج١٨، ٢٢٨)

(٣) في ظلال القرآن، سيد قطب (٤، ٢٤٨٥)

(٤) التحرير والتنوير، ابن عاشور (م٨، ج١٨، ١٩٦)

حيث يتدخل الهوى والمصالح، فتصبح الأمور ملتبسة على الكثيرين، كما أن هذه الأمور لا تخضع لتجارب مادية يمكن ملاحظتها، وبالتالي يصعب ضبطها، ولا يصل فيها الإنسان إلى الحقائق، ولا يميز بين إلهامات العقل ونزوات العواطف، مع أن هذه الأمور غاية في الخطورة على أمن المجتمع وسلامته، وبالتالي يعيش على نور أو في ظلام، وبالتالي جاء الدين ليتحدث فيها بشكل واسع.

ولتوضيح علاقة اسم السورة بهذا الأمر نستعرض معكم تقسيماً لموضوعات السورة:

١. موضوع العلاقة بين الذكر والأنثى وما يصح منها وما لا يصح، وما ينبغي أن تحاط به هذه العلاقة من حمايات خاصة عند وقوع الفواحش أو الاتهام بها، وقد عالجت هذه السورة الكريمة مسألة الأسرة، وما يحفها من مخاطر، وما يعترض طريقها من عقبات ومشاكل تؤدي بها إلى الانهيار ثم الدمار، وما يتعلق بذلك من قضايا مثل الاستئذان وغض البصر وزينة المرأة، وذلك في الآيات (٢-٣٤)، (٥٨-٦١)، وهذا يعادل ٥٦% من السورة.

ويعقب قطب على سياق الآيات الأولى بقوله: "عالج السياق أغلظ ما في الكيان البشري، ليرققه ويطهره ويرتفع به إلى آفاق النور، عالج عرامة اللحم والدم، وشهوة العين والفرج، ورغبة التجريح والتشهير، ودفعة الغضب والغيظ. وعالج الفاحشة أن تشيع في النفس وأن تشيع في الحياة، وأن تشيع في القول. عالجها بتشديد حد الزنا وحد القذف، وعالجها بعرض نموذج شنيع فظيع من رمي المحصنات الغافلات المؤمنات. وعالجها بالوسائل الواقية

بالاستئذان على البيوت وغضِّ البصر وإخفاء الزينة، والنهي عن مثيرات الفتن وموقظات الشهوة. ثم بالإحصان، ومنع البغاء، وتحرير الرقيق.. كل أولئك ليأخذ الطريق على دفعات اللحم والدم، ويهيئ للنفوس وسائل العفة والاستعلاء والشفافية والإشراق".[1]

٢. الآيات (٣٥-٤٠) تتحدث عن مثل النور، وقد كان موضعها منتصف السورة تقريباً، وتجيب الآيات عن هداية الله للناس، وعن محضن الهداية والنور، وهو بيوت الله تعالى، ومصير المعرضين عن الهداية الربانية من التخبط والسعي إلى سراب وظلام دامس.

وقد تضمنت الآيات مثالين، الأول لنور الله تعالى الذي تقوم به السموات والأرض، ولا نستطيع إدراك كنهه أو مداه، لكن من يفتح قلبه لهذا النور يراه حيثما توجه إليه، وحيث تطلع إليه الحائر هداه، فكل هداية موجودة في الكون هي من هبة الخالق سبحانه نور السموات والأرض، يقول البقاعي: "لأنه مظهرهما بإيجادهما وإيجاد أهلهما وهاديهم بالتنوير بالعلم الجاعل صاحبه بهدايته إلى الصراط المستقيم كالماشي في نور الشمس لا يضع شيئاً في غير موضعه، كما أن الماشي في النور لا يضع رجلاً في غير موضعها اللائق بها".[2]

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب (ج٤، ٢٥١٨)

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي (ج٥، ٢٦٣)

وهذا النور العظيم يتجلى في بيوت الله تعالى التي تتصل فيها القلوب بالله تعالى، تتطلع إليه وتذكره وتخشاه، وتتجرد له وتؤثره على كل مؤثرات الحياة، وهذه البيوت (المساجد) تعتبر المحضن للتربية والتوجيه والتعليم وهي التي تعمِّق شعور المؤمن بالنور، وتسهم في إنارة الحياة.

أما المثال الثاني فينقسم إلى مشهدين: الأول صورة السراب حيث لا يصل المنحرف عن منهج الله تعالى إلى شيء ولا يهتدي إلى ما يصلحه، وكلما ظن أنه قد وصل إلى علاج لمشاكله وجد نفسه يتخبط أكثر ويُفاجأ بالخيبة، والمشهد الثاني صورة الظلام الدامس للذين لم يجعل الله لهم نوراً، أو الذين لم يستلهموا النور من الله تعالى، قال تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾ (٤٠).

ويأتي المثال بين الآيتين (٣٤، ٤٦): الأولى قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (٣٤)، والآية الثانية قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (٤٦)، وهذا ما استهلت به السورة في قوله تعالى: ﴿ سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (١).

يقول قطب معلقاً على هذه الآيات: "فآيات الله **مبينة** كاشفة تجلو نور الله، وتكشف عن ينابيع هداه. وتحدد الخير والشر، والطيب والخبيث. وتبين منهج الإسلام في الحياة كاملاً دقيقاً لا لبس فيه ولا غموض، وتحدد أحكام

الله في الأرض بلا شبهة ولا إبهام، فإذا تحاكم الناس إليها فإنما يتحاكمون إلى شريعة واضحة مضبوطة، لا يخشى منها صاحب حق على حقه، ولا يلتبس فيها حق بباطل، ولا حلال بحرام".[1]

٣. الآيات (٤٧-٥٧)، (٦٢-٦٣) تبين وجوب طاعة الله تعالى ورسوله ﷺ، وتبين جزاء الطائعين ومصير العاصين، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾ (٥٢)، وقوله تعالى: ﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ ﴾ (٥٤)، وقوله تعالى: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (٥٦)، وقوله تعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٦٣).

ويأتي هذا التركيز إضافة إلى كثرة ذكر صفة العليم لله تعالى في السورة، والآيات التي تشير إلى عظمة الله تعالى وقدرته وخبرته، لأن القضايا والأحكام الواردة في السورة مشتبهة على كثير من الناس لتعلقها بالشهوات، ويصعب إدراك حكمة التشريع فيها، ويكثر التفلت من الالتزام بها، فكان لا بد من التشديد على الطاعة والالتزام، وبيان أن الفلاح والنجاح يكون باتباع منهج الله ورسوله، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (١٩)، وقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب (٤، ٢٥٢٥)

تَكۡتُمُونَ ﴾ (٢٩)، وقوله تعـــالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (٥٨)، وقوله تعالى في ختام السورة: ﴿ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ﴾ (٦٤).

ومن خلال العرض السابق يتبين لنا أن السورة سميت بالنور لأنها ترشد البشر في أكثر الأمور التباساً، وهو العلاقة بين الذكر والأنثى، وضوابط هذه العلاقة، حيث إن الالتزام بهذه الضوابط يؤدي إلى الفلاح في الدنيا والآخرة، ويُكوِّن المجتمع العفيف الطاهر المنوّر، كما أن مخالفة هذه الضوابط يؤدي إلى الظلمات الدامسة، واستمرار حالة التخبط، وعدم الوصول إلى حلول للمشاكل الاجتماعية.

ويعقب **أستاذنا** لدى مراجعته للبحث على اسم السورة بقوله: "تبدأ هداية المجتمعات وصلاحها بإصلاح العلاقات الاجتماعية وضبطها ورسم معالمها من خلال الوحي الإلهي، وإذا فسدت هذه العلاقات يصعب علاج المجتمعات مهما ملكت من عوامل مادية، وهذا هو حال الغرب اليوم".

هداية الاسم:

صلاح المجتمعات يبدأ من **تنظيم العلاقة بين الذكر والأنثى وبناء الأسرة على هداية النور الرباني**

(٢٢) سورة الفرقان

مكية عدد آياتها ٧٧، ورقمها ٢٥

يقول الأصفهاني: "الفرق يقابل الفلق لكن الفلق يقال اعتباراً بالانشقاق والفرق يقال اعتباراً بالانفصال... والفرقان أبلغ من الفرق، لأنه يستعمل في الفرق بين الحق والباطل... وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ﴾ (الأنفال،٤١) أي اليوم الذي يفرَق فيه بين الحق والباطل، والحجة والشبهة، وقوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴾ (الأنفال: ٢٩)، أي نوراً وتوفيقاً على قلوبكم يُفرقُ به بين الحق والباطل، فكان الفرقان ههنا كالسكينة والرَّوْح في غيره... والفرقان كلام الله تعالى، لفرقه بين الحق والباطل في الاعتقاد، والصدق والكذب في المقال، والصالح والطالح في الأعمال، وذلك في القرآن والتوراة والإنجيل".[١]

ويقول ابن فارس: "الفاء والراء والقاف أصل صحيح يدل على تمييز وتزييل بين شيئين".[٢]

ورد اسم السورة في الآية الأولى من السورة في قوله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾(١)، وواضح من الآية أن **معنى الفرقان** في السورة التي سُمّيت به **هو القرآن الكريم**، ولم تُسمَّ سورة أخرى باسم القرآن الكريم.

---

(١) المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد الأصفهاني (٣٧٧)

(٢) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ج٢، ٣٥٠)

والفرقان هو صفة لكتاب الله تعالى، وتعني التفريق بين الحق والباطل والغواية والضلال، فهو من جهة يُظهر هذا الفرق، ومن جهة أخرى يعطي تاليه المنهجية الصحيحة والقدرة على التفريق بين الحق والباطل، وقد وردت كلمة الفرقان في القرآن ٧ مرات، خمس منها في وصف الرسالات ومنها القرآن الكريم، وهذه الآيات هي: قوله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ (الفرقان،١)، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (البقرة، ٥٣)، وقوله تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ﴾ (البقرة، ١٨٥)، وقوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ﴾ (آل عمران، ٣-٤)، وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (الأنبياء، ٤٨)، أما المرتان الأخريان فقد وردتا في سورة الأنفال: الأولى في وصف يوم بدر في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ﴾ (الأنفال، ٤١)، والمرة الثانية وعد للمؤمنين أن يجعل الله لهم فرقاناً ثواباً على تقواهم في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴾ (الأنفال، ٢٩).

والقرآن الكريم الذي هو الفرقان، بركة للعالمين، مصدره مالك السموات والأرض، بوساطة أشرف الخلق محمد ﷺ، وهذه هي العناصر الأربعة في عملية الاتصال: **المرسل، الرسول، الرسالة، المرسل إليه**، فكأنّ السورة جاءت لتُزيل كل لبس يتعلق بالعناصر الثلاثة الأولى لتقيم الحجة على البشر جميعاً، وتُزيل الاختلالات التي تمنع الناس من تلقي الرسالة بشكل صحيح، ثم تبين موقف

المرسل إليهم من هذه الرسالة الواضحة النقية، وتبين أن السبب الرئيس في عدم وصول الرسالة هو خلل في المستقبل لها، مع أنها تُسطّر في نهايتها نموذجاً رائعاً لبعض المستقبلين لهذه الرسالة وكيف أثرت عليهم، وكأنّها بذلك تعتبرهم خلفاً للرسول عليه السلام في توصيل الرسالة، ويظهر تركيز السورة على العناصر الأربعة السابقة من خلال ما يأتي:

١. **المرسل:** ركزت السورة على توحيد الله عز وجل وبيان قدرته وإظهار آياته ونعمه سبحانه وتعالى في الكون، والذي أنعم بهذه النعم هو الذي أنزل الفرقان، وقد ورد ذلك في آيات عديدة منها قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ (٢-٣)، وقوله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴾ (٦١)، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (٦)، وقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْـِۧىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴾ (٤٥-٤٩)، وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾

وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ﴾ (٥٣-٥٥)، وقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ﴾ (٥٩).

٢. **الرسالة:** بينت السورة أن القرآن الكريم مترل من عند الله تعالى، وبينت بعض مقاصده، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ (١)، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾ (٦)، وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾ (٣٢)، وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾ (٥٠)، وقوله تعالى: ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾ (٥٢).

٣. **الرسول:** ركزت السورة على إثبات نبوة محمد ﷺ ، وفندت مزاعم المشركين حول نبوته، كما بينت أن رسالته عامة للعالمين، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًۢا ﴾ (٧-١٠)، وقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ

وَيَمْشُونَ فِي ٱلْأَسْوَاقِۗ ﴾ (٢٠)، وقولـه تـعـالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴾ (٥٦-٥٧).

٤. **المرسَل إليهم:** تناولت السورة الحديث عن المرسل إليهم وبينت موقف المستهزئين من الرسالة، واستعرضت بشكل سريع بعض الأقوام السابقة التي كذبت الرسل عليهم السلام وذلك في الآيات (٣٥-٤٠)، كما ذكرت على لسان الرسول ﷺ شكواه لله من إهمال قومه للرسالة في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾ (٣٠). وظهر من السورة بيان وجود خلل لديهم يمنع المكذبين من استقبال الرسالة بشكل صحيح، ويتمثل الخلل في عدم إيمانهم بالآخرة، واستكبارهم واتباعهم الهوى، ومن ذلك قـولـه تـعـالى: ﴿ بَلْ كَذَّبُواْ بِٱلسَّاعَةِۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴾ (١١)، وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَاۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴾ (٢١)، وقوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَۗ ﴾ (٣١)، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَاۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ

سَبِيلًا ﴾ (٤١-٤٤)، وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمًا وَزُورًا ۝٤ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةً وَأَصِيلًا ﴾ (٤-٥).

أما الآيات (٦٣-٧٦) فتتحدث عن القسم الثاني من المرسل إليهم، فهم يؤمنون بالآخرة متواضعون لا يشهدون الزور تفاعلوا مع آيات الله (الرسالة) تفاعلاً إيجابياً متوازناً، وتمثلوا هذه الرسالة سلوكاً في حياتهم، كما كان قدوتهم محمد ﷺ خلقه القرآن. وكانوا حملة الرسالة بعد الرسول ﷺ، وأعطتهم الآيات لقب عباد الرحمن تشريفاً لهم، ومن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا ﴾ (٧٣)، بل إنهم يطلبون من ربهم أن يجعلهم أئمة هداة للبشر في قوله تعالى: ﴿ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ (٧٤).

وكأن السورة بهذا تُمايز بين أهل الكفر والإيمان، في مواقفهم وتصوراتهم ومصائرهم، والفرقان تمايز يؤدي إلى تمييز، من هنا لا بد من معرفة الباطل ليتميز الحق ويظهر في الذهن والسلوك والمصير.

وتلتقي خاتمة السورة مع افتتاحيتها في بيان ما يرفع الشأن عند الله ويمنع من عقابه، وهو القيام بالدعوة إلى الله تعالى وإلى كتابه الفرقان الذي جاء لهداية الخلق وإنذارهم، وذلك في قوله تعالى: ﴿ قُلۡ مَا يَعۡبَؤُاْ بِكُمۡ رَبِّي لَوۡلَا دُعَآؤُكُمۡۖ فَقَدۡ كَذَّبۡتُمۡ فَسَوۡفَ يَكُونُ لِزَامَۢا ﴾ (٧٧).

هداية السورة:

يميز القرآن بين الحق والباطل
ويعطي لتاليه ومتدبره القدرة على التفريق بينهما

- استهلال السورة بكلمة تبارك يشير إلى أهمية القرآن الكريم في مباركة الحياة البشرية، وتدل هذه الكلمة على استمرار ودوام الفضل والإحسان وامتداد البركة، وقد ورد وصف القرآن الكريم بالمبارك في مواضع متعددة منها قوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾ (الأنعام: ٩٢)، وقوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ﴾ (الأنعام: ١٥٥)، وقوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ﴾ (ص، ٢٩).

(٢٣) سورة الشعراء

مكية عدد آياتها ٢٢٧، ورقمها ٢٦

وزد اسم السورة في الآيات الأربع الأخيرة من السورة في قوله تعالى: ﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ (٢٢٤- ٢٢٧)، ولم يرد في السورة ذكر للشعراء إلا في هذه الآيات، ولكن المتأمل لهذه الآيات يجد أن لها علاقات وثيقة مع موضوعات السورة، وتظهر هذه العلاقة في الأمور الآتية:

١. (الشعراء) هم أشخاص يمتلكون قدرة عالية على تشكيل الكلمات، أو كما يقال "التلاعب فيها"، فهم فرسان الكلمة، ويمكنهم أن يوظفوا هذه القدرة في التأثير على الآخرين، ومعظم السورة تنقل لنا حوارات الأنبياء عليهم السلام مع أقوامهم، والأنبياء هم أشخاص يُوحى إليهم بكلمات من الله تعالى، ويحاولون من خلالها التأثير على أقوامهم من أجل تغيير تصورات باطلة باتجاه الحق، ولم تُسمّ السورة بالأنبياء مع أنهم فرسان الكلمة الحق، لأن ذهن الإنسان المتدبر لن يتجه إلى هذا الجانب عند الأنبياء.

وقد ركزت السورة على أئمة الغواية من الأمم، كما أنها أطالت أحياناً في ذكر بعضها، للإشارة إلى أنه كلما كانت الأمم أعلى فكراً وأكثر حضارة يكون تأثير الكلمة عليهم أكثر، وبالتالي يجتهد أئمتهم في الرد على الأنبياء والإطالة في مناقشتهم من أجل محاولة إبطال كلمة الحق، وقد كان ذلك

واضحاً في طول الحوار بين سيدنا موسى مع فرعون حيث دار حوار طويل في الآيات (١٦-٣٧)، فقد كان الفراعنة أصحاب حضارة، أما قصة سيدنا لوط فقد انعدم الحوار من طرف قومه، ولم يذكر التاريخ أنهم أصحاب حضارة، وكان ردهم بالتهديد والوعيد، وذلك في قوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴾ (١٦٧).

٢. الآيات التي ورد فيها اسم السورة تعمل على توضيح منهج الشعراء، أي المنهج المقابل لمنهج الحق (منهج الأنبياء)، ويتصف منهج الشعراء بالسمات الآتية:

- أتباعهم (الغاوون)، فأسلوب الشعراء يتفاعل معه الغاوون والمنحرفون، ويجدون فيه متنفسهم، وليس بالضرورة أن يكونوا هم القادة، وأهل الضلال يوظفون الكلمة في التأثير لمواجهة الحق، والملاحظ أن هذه اللفظة تكررت في السورة ٣ مرات ولم ترد في غير هذه السورة.

وقال الشنقيطي: "ما ذكره الله تعالى في هذه الآية الكريمة في قوله ﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴾ يدل على تكذيب الكفار في دعواهم أن النبي ﷺ شاعر، لأن الذين يتبعهم الغاوون لا يمكن أن يكون النبي ﷺ منهم".[١]

- الشعراء يهيمون في كل واد، وهذا يدل على أن استخدامهم للكلمات هو استخدام زخرفي إضلالي، ويقوم كلامهم على المبالغة والكذب،

(١) أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي (ج٦، ١٠٤)

واستخدام كلمة (واد) فيه إشارة إلى أهم لا يدركون أين تقودهم كلماهم، وأهم غير مستبصرين للمآلات، فهم في نزول وانحدار.

- ومن صفات الشعراء الخطيرة: أهم ﴿ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴾ (٢٢٦)، أي أن كلامهم غير مطابق للواقع، سواء في حديثهم عن الماضي او الحاضر أو المستقبل، وهذا يتعارض مع منطق الدين القائم على الموضوعية والصدق الذي تؤكده آيات كثيرة في كتاب الله تعالى منها قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ (الصف، ٢-٣).

٣. استثنت الآيات المذكورة من الذم الشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكثرون من ذكر الله تعالى، ويكون أكثر أشعارهم في التوحيد والثناء على الله تعالى والحث على طاعته، وإن استخدموا الهجاء فإنما يريدون به الانتصار ممّن هجا المسلمين، ومن هؤلاء الشعراء المؤمنين: عبد الله بن رواحة، وحسان بن ثابت، والكعبان، وقد روت السيدة عائشة رضي الله عنها أها سمعت رسول الله ﷺ يقول لحسان: "إن روح القدس لا يزال يؤيدك، ما نافحت عن الله ورسوله".[١] وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لحسان: "اهجهم أو هاجهم، وجبريل معك".[٢]

---

(١) صحيح مسلم، مسلم النيسابوري (حديث ٢٤٩٠، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل حسان بن ثابت).

(٢) صحيح البخاري، محمد اسماعيل البخاري (حديث ٣٢١٣، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة صلوات الله عليهم).

وعن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب أن كعب بن مالك حين أنزل الله تبارك وتعالى في الشعر ما أنزل أتى النبي ﷺ فقال: إن الله تبارك تعالى قد أنزل في الشعر ما قد علمت ؛ وكيف ترى فيه؟ فقال النبي ﷺ : "إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه".(١)

ويأتي استثناء شعراء العقيدة والفكر لأن الآيات تريد أن تؤسس لقاعدة مهمة وهي أن المشكلة لا تكمن في الملكات التي وهبها الله للإنسان، وإنما في كيفية توظيف هذه الملكات، فالملكات يمكن توظيفها في الأمور الإيجابية أو السلبية، فإما أن تكون غواية وإضلالاً، أو أن تكون هداية وإصلاحاً.

يقول قطب في تعليقه على الآيات: "فالإسلام لا يحارب الشعر والفن لذاته، كما قد يُفهم من ظاهر الألفاظ. إنما يحارب المنهج الذي سار عليه الشعر والفن. منهج الأهواء والانفعالات التي لا ضابط لها، ومنهج الأحلام المهومة التي تُشغل أصحابها عن تحقيقها. فأما حين تستقر الروح على منهج الإسلام، وتنضح بتأثيراتها الإسلامية شعراً وفناً، وتعمل في الوقت ذاته على تحقيق هذه المشاعر النبيلة في دنيا الواقع، ولا تكتفي بخلق عوالم وهمية تعيش فيها، وتدع واقع الحياة كما هو مُشوّهاً مُتخلفاً قبيحاً. وأما حين يكون للروح منهج ثابت يهدف إلى غاية إسلامية، وحين تنظر إلى الدنيا فتراها من زاوية الإسلام، ثم تُعبّر عن هذا كله شعراً وفناً. فأما عند ذلك فالإسلام لا يكره الشعر ولا يحارب الفن، كما يفهم من ظاهر الألفاظ. ولقد وجه القرآن

(١) السلسلة الصحيحة، محمد ناصر الألباني (حديث ١٦٣١).

العقول والقلوب إلى بدائع هذا الكون، وإلى خفايا النفس البشرية. وهذه وتلك هي مادة الشعر والفن. وفي القرآن وقفات امام بدائع الخلق والنفس لم يبلغ إليها شعر قط في الشفافية والنفاذ والاحتفال بتلك البدائع وذلك الجمال".[1]

٤. تبدأ السورة بالإشارة إلى آيات الكتاب المبين، ثم تطلب من النبي ﷺ ألا يهلك نفسه غماً بسبب إعراض الكفار واستهزائهم، وأن الله تعالى لو أراد لأنزل آية - كما كان للسابقين- تبهرهم، ولكن الحكمة الربانية اقتضت أن تكون معجزة الإسلام هذا القرآن العظيم معجزة فكرية أقوى تأثيراً من المعجزات المادية التي كانت للرسل عليهم السلام، وقد تناولت آيات كثيرة في السورة الحديث عن القرآن الكريم وبيان بطلان مزاعم الكافرين عنه، كما قال البيضاوي): "وكأنه لما كان إعجاز القرآن الكريم من جهة اللفظ والمعنى، وقد قدحوا في المعنى بأنه مما تنزلت به الشياطين، وفي اللفظ بأنه من جنس كلام الشعراء، تكلم في القسمين وبين منافاة القرآن لهما ومضادة حال الرسول ﷺ لحال أربابهما".[2]

فقد اتهم المشركون النبي عليه السلام بأنه شاعر في قوله تعالى نقلاً عنهم: ﴿ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ ﴾ (الأنبياء ٥)، وقوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ (الصافات، ٣٦-٣٧)،

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب (ج٥، ٢٦٢١)

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي (ج٢، ١٦٩)

وقوله تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴾ (الطور، ٣٠)، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴾ (الحاقة، ٤١)، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴾ (يس، ٦٩)، وكثير من المفسرين حملوا هذه الآيات على أهم رموه بكونه آتياً بشعر منظوم مُقفّى، وقال بعضهم لم يقصدوا هذا المقصد بما رموه به وذلك أنه ظاهر من الكلام أنه ليس على أساليب الشعر، وإنما رموه بالكذب، والشاعر هو الكاذب، وقد قيل: أحسن الشعر أكذبه.

كما كان سائداً في الجاهلية الاعتقاد بوجود شيطان يُلهم الشعر وهو ما يسمى (شيطان الشعر)، فجاءت الآية الكريمة (٢١٠) لتنفي هذا الاعتقاد عن القرآن الكريم وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴾، وفي المقابل ذكرت السورة أن الشياطين لها علاقة بالمنحرفين من الشعراء وغيرهم، كما ورد في قوله تعالى: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴾ (٢٢١-٢٢٢).

فالسورة كما يقول الرازي: "ذكر في هذه السورة ما يزيل الحزن عن قلب الرسول ﷺ من الدلائل العقلية وأخبار الأنبياء المتقدمين، ثم ذكر الدلائل على نبوته عليه السلام".[1]

(١) التفسير الكبير، الرازي (ج١٢، ١٧٧)

ويقول البقاعي: "وتسميتها بالشعراء أدل دليل على ذلك بما يفارق القرآن الشعر من علو مقامه، واستقامة مناهجه، وعز مرامه، وصدق وعده ووعيده، وعدل تبشيره وتهديده".[1]

٥. تكرر في السورة التركيز على السحر واستخدامه في عداء الدين واتهام الرسل به وقد ورد ذلك في قصص (موسى، وشعيب، وثمود)، والشعر يقوم على الخيال كالسحر.

ولقد كان المشركون عندما يسلم أحدهم يقولون: سحرك محمد، وكأنهم يعتبرون تأثير القرآن كالسحر.

وأضاف **أستاذنا** لدى مراجعته للبحث معنى إضافياً من الآيات التي ورد فيها اسم السورة: "إن الشعراء المؤمنين يوظفون شعرهم في الحق، كما يمكن لهم في لحظة الانتصار من الظالمين الهجاء بطريقة تشبه فعل الشعراء، أو السفه عند الرد على الظلم، وذلك بناءً على قوله تعالى: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ (النساء، ١٤٨)".

هداية الاسم:

التنبيه إلى خطورة الكلمة ووسائل الإعلام وأثرها في الناس

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي (ج٥، ٣٤٤)

(٢٤) سورة النمل

مكية عدد آياتها ٩٣، ورقمها ٢٧

يقول ابن فارس: "النون والميم واللام كلماته تدل على تجمع في شيء وصغر وخفة. منه النمل: جمع نملة".[١] ويقول الحلبي: النملة واحد النمل، وهو هذا الحيوان المعروف يقع على الذكر والأنثى".[٢] ويقول الأصفهاني: "تنمّل القوم تفرقوا للجمع تفرق النمل، ولذلك يقال أجمع من نملة".[٣]

واسم هذه السورة العظيمة هو باسم حشرة صغيرة، وهي آية من آيات الله تعالى، ومن عجائب خلقه سبحانه، وقد ورد ذكر اسم السورة في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ (١٨)، وكأن الله عز وجل يريد أن يلفت النظر إلى آياته، صغيرها وكبيرها، التي تهدي إلى الله الخالق، والملاحظ أن السورة كما يقول **أستاذنا**: "تركز على فكرة الهداية، فما حول الإنسان إما مهتد كالنمل والهدهد والدابة التي تخرج من الأرض، أو يهدي إلى الله تعالى من الخلق والآيات المبثوثة في الكون"، كما يلفت اسم السورة النظر إلى هذا المجتمع المنظم حيث قال الحلبي: "يسمى بيت النملة قرية".[٤]

---

(١) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ج٢، ٥٨٤)

(٢) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، أحمد بن يوسف الحلبي (ج٤، ٢٥٧):

(٣) المفردات في غريب القرآن، الحسينٌ بن محمد الأصفهاني (٥٠٦)

(٤) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، أحمد بن يوسف الحلبي (ج٤، ٢٥٧)

أما **الدلالة الأولى** لاسم السورة: وهي **الاهتداء بآيات الله إلى الخالق سبحانه** فتظهر في العرض الآتي للسورة:

١. بدأت السورة بالحديث عن الكتاب المبين الموضح لآيات الله في النفس والكون، وهو من لدن حكيم عليم أتقن وأبدع هذه الآيات المقروء منها والمنظور.

٢. ثم تحدثت السورة عن قصة موسى عليه السلام وكان التركيز فيها على الآيات التي أعطاها الله لموسى عليه السلام لتكون هداية للناس، ولكن فرعون وقومه جحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً (الآيات ٧-١٤).

٣. ثم تناولت السورة قصة سليمان عليه السلام الذي ورث أباه داود عليه السلام وقد آتاهما الله العلم، وتستعرض القصة آيات الله سبحانه ونعمه على سليمان عليه السلام، فكان الشاكر والذاكر والداعي إلى الهداية إلى الله عز وجل، لتنتهي القصة بإسلام بلقيس وقومها مع سليمان عليه السلام لله رب العالمين، بعد أن أدركوا أن الشمس والقمر التي كانوا يعبدونها هي آيات دالة على وجوده سبحانه، وكان ذلك في الآيات (١٥-٤٤).

٤. ثم تحدثت السورة في الآيات (٤٥-٥٨) عن نموذجين من الأقوام السابقة من الذين لم يهتدوا إلى الله تعالى، وصفهم الله في بداية السورة: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴾ (٤)، فتحدثت عن قتل قوم ثمود للناقة التي هي آية الله التي جاء بها صالح عليه السلام، كما تحدثت عن قوم

لوط الذين يخالفون الفطرة البشرية بما يفعلون، وفي القصتين كان الإنجاء للمؤمنين وتدمير الظالمين.

٥. وقد تناولت الآيات (٥٩-٦٥) عبر أسئلة استنكارية إظهار قدرة الله تعالى من خلال خلق السموات وإنزال الماء، وإجابة الدعاء وهداية السائلين وغيرها من عجائب الخلق والقدرة، وأن ذلك كله بحوله وقوته سبحانه وحده ولا شريك له.

٦. وقد تناولت الآية (٨٢) من السورة الحديث عن آية من آيات الله وعلامة كبرى من علامات الساعة، وهي الدابة التي تخرج من الأرض تكلم الناس مستنكرة إعراضهم عن آيات الله، وأياً كانت هذه الدابة التي لم يرد نص صحيح في وصفها، وإن كنا نظن أنها قد تكون نملة، لوجود هذه الآية في سورة النمل والتي تحدثت فيها نملة، ولبيان الآية أن هذه الدابة من الأرض، والله أعلم.

٧. وتُختم السورة بخاتمة مؤكدة على كل ما سبق، وأن آيات الله ستتوالى للبشر مقيمة الحجة عليهم، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (٩٣).

أما **الدلالة الثانية** من الاسم وهي: الإشارة إلى **البناء المجتمعي السليم**، فتظهر في الآتي:

١. قصة النملة الحارسة، التي تراقب الطريق وتبعث برسالة واضحة إلى مجتمعها تحذرهم، فهم مجتمع متعاون منظم، كما يظهر في القصة أن للنمل مساكن يبنيها تصلح للاحتماء والبعد عن المخاطر.

٢. تركز السورة على العلم بشكل واضح، فالعلم هو أساس بناء المجتمعات وتنظيمها، وقد ورد ذكر العلم بشكل لافت في السورة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ (٦)، فالقرآن أساس لبناء المجتمعات فهو من الله العليم الحكيم، كما تشير الآيات إلى علم سليمان وداود عليهما السلام: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ عِلْمًا ﴾ (١٥)، وقوله تعالى على لسان سليمان عليه السلام: ﴿ وَقَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ ﴾ (١٦)، وفي وصف الآيات للقادر على نقل عرش بلقيس بأنه: ﴿ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ ﴾ (٤٠)، كما ذكرت آيات أخرى قلة علم الكفار كما في قوله تعالى: ﴿ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ (٥٥)، وقوله تعالى: ﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٦١)، وقوله تعالى: ﴿ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ (٦٦)، وقوله تعالى: ﴿ وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا ﴾ (٨٤)، وقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ۝٧٤ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ (٧٤-٧٥).

٣. وقد ورد في السورة ذكر مجتمع سبأ المتعاون القائم على البناء المؤسسي والتشاور، وكان ذلك من أسباب قوتهم فقد وصفهم الله تعالى بقوله على

لسان الهدهد: ﴿ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ﴾ (٢٣)، وقالوا عن أنفسهم: ﴿ قَالُواْ نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ ﴾ (٣٣).

٤. كما تطرقت الآيات للحديث عن قوم ثمود بقوله تعالى: ﴿ فَتِلۡكَ بُيُوتُهُمۡ خَاوِيَةَۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْۚ ﴾ (٥٢)، مع أنهم تعاونوا معاً على الشر كما قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ تِسۡعَةُ رَهۡطٖ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥ ﴾ (٤٨-٤٩)، فكان تعاونهم على الظلم والفساد سبباً في تدميرالله تعالى لهم.

وهناك لفتة لطيفة **لأستاذنا** لدى مراجعته للبحث في التفريق بين النّمل والنّحل في القرآن الكريم فيقول: "واضح من ذكر النمل والنحل أن النمل أكثر إدراكاً من النحل، فقد ورد في النحل ﴿ وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ ﴾ (النحل:٦٨)، فما يفعله النحل هو بإرشاد مباشر من الله تعالى، ولكن في قصة النملة التي عرضها القرآن الكريم في سورة النمل لم تُشر الآيات إلى الوحي المباشر، بل إنها تُشير بوضوح إلى مستوى عالٍ من الفهم حيث أدركت النّملة أن هذا سليمان وأن هؤلاء جنود، وهي تتوقع أنهم سيحطمون النّمل خارج مساكنه وهم لا يشعرون، فهي قد أدركت أنهم لا ينوون الإيذاء ولا يقصدونه، ثم هي تتصرف بطريقة اجتماعية راقية حيث تهتم بمجتمعها وتحرص عليه، وقد ذكرت النملة مُنكَّرة للدلالة على أنها ليست ملكة القرية، وإنما نملة عادية".

هداية الاسم:

الاهتداء بآيات الله تعالى إلى الخالق، وبناء المجتمع المنظم المتعاون

(٢٥) سورة القصص

مكية عدد آياها ٨٨، وترتيبها ٢٨

يقول الأصفهاني: "قصص: القص تتبع الأثر، يقال قصصت أثره والقصص الأثر، قال: ﴿ فَٱرۡتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصٗا ﴾ (الكهف، ٦٤)، ﴿ وَقَالَتۡ لِأُخۡتِهِۦ قُصِّيهِۖ ﴾ (القصص، ١١)، ومنه قيل لما يبقى من الكلإ فيُتَتّبع أثره قصيص، وقصصت ظفره، والقصص الأخبار المتَتَبّعة، قال: ﴿ لَهُوَ ٱلۡقَصَصُ ٱلۡحَقُّۚ ﴾ (آل عمران، ٦٢)، ﴿ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ ﴾ (يوسف، ١١١)، ﴿وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ﴾ (القصص، ٢٥)، والقصاص تتّبع الدم بالقَود".[١]

ويقول ابن فارس: "القاف والصاد أصل صحيح يدل على تتبع الشيء. ومن ذلك قولهم اقتصصت الأثر، إذا تتبعته، ومن ذلك اشتقاق القصاص في الجراح، وذلك انه يُفعل به مثل ما فعل بالأول فكأنه اقتص أثره، ومن الباب القصة والقصص كل ذلك يُتتبَّع فيذكر".[٢]

ويقول المصطفوي: والتحقيق أن الأصل الواحد في المادة: هو رواية واقعة جارية مضبوطة بأي وسيلة كانت، قراءة أو سماعاً، على ما طابق الواقع. وإلى هذا الأصل يرجع مفاهيم- الخبر، الحديث، الأمر، الرواية، **التتبع**، الإيراد، **الأثر**، الشأن، الذكر".[٣]

---

(١) المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد الأصفهاني (ص ٤٠٤)

(٢) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ج٢، ٣٦٣)

(٣) التحقيق في كلمات القرآن الكريم، المصطفوي (ج٩، ٣٠٤)

ورد اسم السورة في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفۡۖ نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (٢٥)، فالقصص المقصود بها في السورة على ما يبدو هي ما حدث مع موسى عليه السلام مما ذكرته السورة قبل هذه الآية، وتتمثل في قصة ولادته، ونجاته من فرعون، ووجوده في القصر حتى بلغ أشده، ثم قتله للفرعوني عند نصره للذي استغاثه من شيعته، وقصة خروجه خائفاً من مصر باتجاه مدين. وعلى الرغم من كثرة الحديث عن موسى عليه السلام في القرآن الكريم فإن هذه القصص لم تُذكر بهذا التفصيل إلا في هذه السورة، وقد ذكرت في غير هذه السورة فقط في سورة طه بشكل مختصر في سياق تذكير موسى عليه السلام بنعم الله تعالى عليه، في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَيۡكَ مَرَّةً أُخۡرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ فَلۡيُلۡقِهِ ٱلۡيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأۡخُذۡهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُۥۚ وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ﴿٣٩﴾ إِذۡ تَمۡشِيٓ أُخۡتُكَ فَتَقُولُ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ مَن يَكۡفُلُهُۥۖ فَرَجَعۡنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا وَلَا تَحۡزَنَۚ وَقَتَلۡتَ نَفۡسٗا فَنَجَّيۡنَٰكَ مِنَ ٱلۡغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونٗاۚ فَلَبِثۡتَ سِنِينَ فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ ثُمَّ جِئۡتَ عَلَىٰ قَدَرٖ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي﴾ (طه:٣٧-٤١).

وقد استغرقت قصة موسى عليه السلام في المراحل المختلفة معظم السورة وذلك في الآيات (١-٤٦)، كما كانت قصة قارون التي ترتبط بموسى عليه السلام بشكل أو بآخر في الآيات (٧٦-٨٤).

وتتضمن الآية التي ورد فيها الاسم تحقق الأمن لموسى عليه السلام من أعدائه وانفتاح الأبواب أمامه بشكل كريم ورعاية ربانية، كما أن القصص الواردة في السورة، المذكورة قبل الآية، تتضمن الرعاية الربانية والتهيئة الإلهية لأنبيائه.

يقول قطب في التعقيب على قصة موسى عليه السلام في السورة: "فساق الله إليهم في هذه السورة قصة موسى وفرعون، تبين لهم أين يكون الأمن وأين تكون المخافة، وتعلمهم أن الأمن يكون في جوار الله، ولو فقدت كل أسباب الأمن الظاهرة التي تعارف عليها الناس، وأن الخوف إنما يكون في البعد عن ذلك الجوار ولو تظاهرت أسباب الأمن الظاهرة التي تعارف عليها الناس. وساق لهم قصة قارون تقرر هذه الحقيقة في صورة أخرى تؤكدها".(١)

فيبدو أن السورة تدور حول فكرة أن **اتباع هدي الله يستجلب عناية الله ومعيته، وتكون له العاقبة الطيبة في الدنيا والآخرة، وأن الإفساد والطغيان سبب للهلاك في الدنيا والعذاب في الآخرة.**

أولاً: مظاهر عناية الله ومعيته والعاقبة الطيبة في السورة:

١. الآيات (٣-١٣) التي تروي قصة نجاة موسى عليه السلام من فرعون، بل وإكرام فرعون له في قصره سنوات طويلة. كما تروي الآيات إرجاع الله تعالى موسى لحضن أمه التي امتلأت خوفاً عليه لتكون كافلة له ومرضعة مدفوعة الأجر من فرعون. ويعقب قطب على هذه الافتتاحية لقصة موسى

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب (ج٥، ٢٦٧٥)

عليه السلام بقوله: "ولا تبدأ مثل هذا البدء في أية سورة أخرى من السور الكثيرة التي وردت فيها. ذلك أن الحلقة الأولى من قصة موسى، والظروف القاسية التي ولد فيها، وتجرده في طفولته من كل قوة ومن كل حيلة، وضعف قومه واستذلالهم في يد فرعون.. ذلك كله هو الذي يؤدي هدف السورة الرئيسي، ويبرز يد القدرة سافرة متحدية تعمل وحدها بدون ستار من البشر".[1]

٢. الآية (١٤) تذكر بوضوح عناية الله تعالى لموسى عليه السلام وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

٣. الآيات (١٥-٢٢) تذكر قصة قتل موسى عليه السلام للفرعوني، وفي ثنايا القصة مغفرة الله لموسى عليه السلام، وتهيئة الرجل الذي جاءه من أقصى المدينة ليخبره بتآمر الملأ عليه، كما تبرز استعانة موسى عليه السلام بربه وطلب المغفرة والهداية.

٤. الآيات (٢٣-٢٨) تذكر هروب موسى والتجائه إلى مدين، ويتضح خلال سرد القصة التهيئة الربانية لنبيه موسى عليه السلام، وتأمينه له وتنجيته من القوم الظالمين، وتهيئة أهل بيت صالح يقيم معهم، وانخراطه عليه السلام في العمل ورعي الغنم لسنوات عديدة، لتكون هذه الفترة بمثابة تهيئة وإعداد للرسالة. يقول قطب معقباً على الآيات: "فشاءت القدرة التي تنقل خطى

---

(١) المصدر السابق (ج٥، ص٢٦٧٦)

موسى عليه السلام أن تخفض مما اعتادته نفسه من تلك الحياة، وأن تزجّ به في مجتمع الرعاة، وأن تجعله يستشعر النعمة في أن يكون راعي غنم يجد القوت والمأوى، بعد الخوف والمطاردة والمشقة والجوع، وأن يترع من حسه روح الاشمئزاز من الفقر والفقراء، وروح التأفف من عاداتهم وأخلاقهم وخشونتهم وسذاجتهم، وروح الاستعلاء على جهلهم وفقرهم ورثاثة هيئتهم ومجموعة عاداتهم وتقاليدهم. وأن تلقي به في خضم الحياة كبيراً بعد ما ألقت به في خضم الأمواج صغيراً، ليمرن على تكاليف دعوته قبل أن يتلقاها". [1]

٥. الآيات (٢٩-٣٥) تتحدث عن لحظة التكليف بالرسالة خلال عودة موسى عليه السلام من مدين، ويبرز في الآيات تطمين الله تعالى لموسى عليه السلام، وتأييده بالآيات الباهرة ودعمه له بهارون مسانداً، ووعده لنبيه بالغلبة والتمكين والرعاية، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ يَـٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْـَٔامِنِينَ ﴾ (٣١)، وقوله تعالى: ﴿ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَـٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴾ (٣٥).

٦. بيان تأمين الله تعالى لأهل مكة في قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا ﴾ (٥٧).

---

(١) المصدر السابق (ج٥، ٢٦٩١)

٧. الآيات (٨٥-٨٨) تطمين بالنصر والتمكين، والتوجيه للثبات على منهج الله تعالى فهو الموصل إلى المبتغى والخير في الدنيا والآخرة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍۚ ﴾ (٨٥)، ففي الآية وعد للرسول ﷺ بالنصر والرجوع إلى مكة، حيث نزلت هذه الآية وهو في طريقه مهاجراً إلى المدينة.

ثانياً: المواضع في السورة التي تبين هلاك المفسدين والطغاة:

١. الآيات (٣٦-٤٢) تستعرض بشكل موجز مرحلة المواجهة مع فرعون، وتبين النتيجة التي آل إليها فرعون وجنوده ونهاية الظلم والإفساد، وهذا الإيجاز فيه إشارة لـــهوان أعداء الله تعالى، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾ (٣٧)، وقوله تعالى: ﴿ فَأَخَذْنَـٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَـٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ (٤٠)، وقوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴾ (٤١).

٢. الآيتان (٥٨-٥٩) تظهران قانون التدمير للقرى بسبب ظلم أهلها واستنكافهم عن آيات الله ورسله، قال تعالى: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَاۖ فَتِلْكَ مَسَـٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًاۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَاۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَـٰلِمُونَ ﴾.

٣. الآيات (٧٦-٨٤) قصة قارون، والقصة إضافة إلى أهدافها التربوية العميقة في موازين التفاضل والقيم، فهي تؤكد بشكل واضح على أن المال والغنى مهما بلغ ليس هو سبيل الأمان والحماية، بل إن دوام هذا المال مرتبط بقدر ما يشكر الإنسان لربه المنعم، ويؤدي حق الله فيه، ولا يستخدمه في الطغيان. وجاء في القصة على لسان المتمنين لمثل غنى قارون بعدما رأوا نهايته: ﴿ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ (٨٢)، كما عقب الله على قصة قارون بقوله: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ﴾ (٨٣).

ولتأكيد المعنى الذي تدور حوله السورة وهو أن **اتباع هدي الله يستجلب عناية الله ومعيته، وتكون له العاقبة الطيبة في الدنيا والآخرة، وأن الإفساد والطغيان سبب للهلاك في الدنيا والعذاب في الآخرة**، فإن آيات عديدة من السورة تؤكد على أن الله سبحانه وتعالى هو وحده الذي يملك مطلق التصرف في هذا الكون، وهو وحده القادر على حماية أوليائه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ (٥٦)، وقوله تعالى: ﴿ وَقِيلَ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۚ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ ﴾ (٦٤)، وقوله تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾(٦٨-٧٠).

وتأتي خاتمة السورة منسجمة مع مطلعها للتأكيد على أن الله تعالى اليد المطلقة في الكون ومصائر الخلق وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (٨٨).

ويضيف **أستاذنا** لدى مراجعته للبحث بناءً على المعنى اللغوي للقص وهو **التتبع** فيقول: "إن السورة فيها تتبع لمسيرة موسى عليه السلام من ميلاده إلى نهاية علاقته مع المدعوين، وجاءت الأحداث فيها متتابعة مرتبة في حلقات مترابطة، وهذا الأمر غير ملحوظ في القصص القرآني بشكل عام وقصة موسى عليه السلام في القرآن، فالعادة يكون التركيز على مرحلة ما للعبرة والفائدة بما يتناسب مع سياق السورة والآيات التي وردت فيها، أو تُذكر القصة مع كثير من ترك مساحات دون الحديث عنها، وقد ركزت المواضع الأخرى التي ذكرت قصة موسى عليه السلام على علاقته مع الأتباع من بني إسرائيل، كما فصلت في الحوار الذي جرى مع فرعون.

وقد يكون في ذلك أن هذه السورة تكاد تكون المركزية في الدروس والعبر التي يمكن الاستفادة منها، وأن في قصة موسى عليه السلام عناصر يمكن تطبيقها في عصرنا في التعامل مع الطغاة".

كما يشير **أستاذنا** إلى "أن تجربة موسى عليه السلام مع قومه كانت تجربة مختلفة عن السابقين، حيث كانت الدعوة فيها موجهة ابتداءً إلى الدولة، وعندما كان الهلاك كان لهذه الدولة ولم يكن هلاكاً عاماً، وبالتالي فقد يكون **أثرها** متتابعاً في الأمم يمكن الاستفادة منه".

هداية الاسم:

التاريخ يؤكد أن من كانت قوة الله معه فلا خوف عليه،
ولو كان مجرداً من كل مظاهر القوة، ومن تمثل قيم الإيمان فله الخير كله

(٢٦) سورة العنكبوت

مكية عدد آياتها ٦٩، ورقمها ٢٩

العنكبوت هي الحشرة المعروفة، وقد ورد اسم السورة في الآية (٤١) في قوله تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًاۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾، وقد تناولت السورة مواضيع عدة، فما علاقة الاسم بمواضيع السورة؟ وما دلالته؟

عند دراسة الآية التي ورد فيها الاسم يلاحظ أن المثل الذي ضربه الله تعالى يشير إلى **ضعف العلاقات القائمة على غير الدين**، وأن بناء المشركين الاجتماعي واه عرضة للتمزق، ويعود سبب ضعف البناء الذي يقوم على موالاة غير الله تعالى إلى أن الارتباط فيه مصلحي، كما أنه يقوم على اعتقادات باطلة، فالكفار يظنون أولياءهم أقوياء مدركين للحقائق ويملكون لهم الرزق، ولكنهم في الحقيقة ضعاف ليس لهم من ذلك شيء.

والناظر لمواضيع السورة يجد أن معظمها يشير إلى أن النجاح والقوة في موالاة الله، والضعف والخسران في موالاة غير الله، ويظهر ذلك من خلال العرض الآتي:

١. الآيات (١-١٣) استهلت بقانون الفتنة للمؤمنين لتمييز الصادقين والصابرين والموالين لله بقوله تعالى: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ (٢-٣)، كما طمأنت الآيات المؤمنين الموالين لله بتحقق وعد الله تعالى والجزاء الحسن

لهم، ونهت عن طاعة الوالدين في معصية الله تعالى، فالطاعة صورة من صور الموالاة.

٢. تحدثت الآيات (١٥-٤٠) عن قصص السابقين، وذُكر فيها دروس من المحن والابتلاء للأنبياء عليهم السلام وما لاقوه من شدة وأهوال في سبيل تبليغ رسالة الله تعالى، حيث ركزت قصة نوح عليه السلام المختصرة (١٤-١٥) على طول الفترة الزمنية التي دعا فيها قومه ثم كان مصيرهم الهلاك للإشارة إلى عناد المشركين، كما ركزت قصة إبراهيم عليه السلام (١٦-٢٧) على دعوته قومه لعبادة الله تعالى الرازق المنعم المبدئ للخلق، وأن ما يعبدون من دون الله تعالى لا يملكون شيئاً، كما أشارت إلى مكر الكافرين به وإنجاء الله له، ثم كانت قصة لوط عليه السلام (٢٨-٣٥) مع قومه التي ركزت على إهلاك قومه وإنجائه من العذاب باستثناء زوجته التي لم ترتبط معه برباط العقيدة، ثم تحدثت الآيات (٣٦-٤٠) باختصار عن إهلاك الله لمدين وعاد وثمود وقارون وفرعون وهامان.

ويبدو أن الآيات تُشير إلى أن من ارتبط بالله عز وجل وكان منسجماً مع الحق نجا حتى لو كان فرداً، وأن من ارتبط بغير الله تعالى وقامت علاقته على الباطل اندثر ولو كان أمة قوية كعاد وثمود وفرعون وجنوده، وأما في الآخرة فقد ورد في السورة قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّـٰصِرِينَ﴾ (٢٥).

٣. تناولت آيات السورة بعد المثل المسوغات التي تستوجب موالاة المؤمن لربه، وأن ذلك هو طريق النجاة والفلاح، ومن هذه المسوغات:

- الله تعالى هو منزل الكتاب هداية للبشرية، وذلك واضح في الآيات (٤٥-٥١)، ومنها قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (٥١).
- الله الرازق، وذلك في الآيات (٥٦، ٦٠، ٦٢، ٦٧)، كقوله تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ ﴾ (٦٠)، وقد سبق في حوار إبراهيم عليه السلام مع قومه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ ﴾ (١٧).
- الله الخالق المسيطر على الكون بعلمه وقدرته، في الآيات (٢٠، ٤٤، ٤٥، ٥٢-٥٥، ٥٧، ٦١-٦٣، ٦٥-٦٦)، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٢٠)، وقوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ (٦١)، وقوله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ (٥٧)، وقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٦٢).

- الآخرة هي معيار السعادة والفلاح وهي الحياة الحقيقية، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ (٦٤).
- وكانت خاتمة السورة متناسقة مع افتتاحيتها حيث بينت النتيجة الخيّرة التي يصل إليها الناجحون في الامتحان، والوعد لهم بالمعية في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (٦٩).

يقول ابن عاشور عن السورة: "أغراض هذه السورة تثبيت للمسلمين الذين فتنهم المشركون وصدوهم عن الإسلام أو عن الهجرة مع من هاجروا. ووعْد الله بنصر المؤمنين، وخذْل أهل الشرك وأنصارهم وملقنهم من أهل الكتاب. والأمر بمجافاة المشركين والابتعاد عنهم ولو كانوا أقرب القرابة. ووجوب صبر المؤمنين على أذى المشركين، وأن لهم سعة في الأرض ما ينجيهم من أذى أهل الشرك. ومجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن ما عدا الظالمين منهم للمسلمين. وأمر النبي ﷺ بالثبات على إبلاغ القرآن وشرائع الإسلام. والتأسي في ذلك بأحوال الأمم التي جاءتها الرسل، وأن محمداً ﷺ جاء بمثل ما جاؤوا به...".[١]

هداية الاسم:

ولاية الله تعالى فيها القوة والفلاح في الدنيا والآخرة، وما عداها واه وزائل

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور (م٨، ج٢٠، ٢٠١)

- ورد في مواضع كثيرة في القرآن الكريم الإشارة إلى ضعف الآلهة التي يتخذها المشركون من دون الله تعالى، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾ (الفرقان: ٣)، وقوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَاۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ﴾ (الأنبياء، ٤٣)، وقوله سبحانه: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُواْۖ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ (الأعراف: ١٩٥-١٩٨).

(٢٧) سورة الروم
مكية عدد آياها ٦٠، وترتيبها ٣٠

السورة في ظاهرها ليست تعريفاً بالروم، أو تأريخاً لماضيهم، وإنما هي تذكر هزيمتهم على يد الفرس، والذين لم يُذكروا في السورة، وأهم سينتصرون على أعدائهم خلال سنوات معدودة، ولم تتحدث السورة عن الروم وقصتهم بعد الايات الأولى منها، فلماذا تسمى السورة بالروم؟

عند استعراض الآية (٢) التي ورد فيها اسم السورة، وهي المرة الوحيدة التي يُذكر فيها الروم في القرآن الكريم، فسنجد أنها تتكون من كلمتين ﴿ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴾ ، وهذا ما قد يشير إلى أن السورة تدور حول فكرة انهزام الروم، وبعبارة أخرى قد تكون تحليلاً للعوامل التي أدت أو تؤدي إلى انهزام الروم، أو أنها تشير إلى عوامل انتصار المؤمنين على الروم.

ويلفت النظر أن الآيات التي تناولت الحدث وعدت بغلبة الروم على الفرس، ولكنها وعدت بالنصر للمؤمنين، والذي كان في بدر كما تؤكد الدراسات التاريخية، وفرق بين الغلبة والنصر، فالغلبة محدودة، ولكن الانتصار هو الأشمل والأعظم، فالانتصار هو علو الفكرة، بينما الغلبة فتقتصر على غلبة في معركة عسكرية.

ومن خلال استعراض السورة نجد أنها تتناول المحاور الآتية:

١. الحديث عن الآخرة: تركز السورة بشكل واضح على موضوع الآخرة بصيغ متنوعة، وذلك في الآيات (٧-٨)، (١١-١٦)، (٤٣-٤٥)، (٤٧-٥٠)، (٥٥-٥٧)، والمعروف أن ضعف الإيمان بالآخرة يؤدي إلى انكباب الإنسان على الدنيا، وحرصه على ملذاها وشهواها، وخوفه المبالغ من الموت، وكل هذه عوامل لا تساعد على الانتصار في أية معركة، لأن المعارك تحتاج إلى تضحيات.

كما تحدثت عدة آيات في السورة عن تأكيد فكرة البعث، مثل قوله تعالى: ﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾ (١٩)، وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾ (٢٥)، وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ ﴾ (٢٧).

٢. قدرة الله تعالى: تذكر آيات كثيرة في السورة مظاهر قدرة الله تعالى ومشيئته المطلقة، حيث أن اضطراب التصور البشري حول الله يمكن أن يؤدي إلى التشكك في وعوده لعباده بالنصر، ومن الآيات التي تناولت هذا الأمر الآيات (١٨-٢٧) والتي بدأ معظمها بقوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ ﴾، وقد عرضت صوراً رائعة داعية إلى التفكر وتعظيم الخالق سبحانه.

ومن الآيات الأخرى قوله تعالى: ﴿ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٥٠)، وقوله

تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴾ (٥٤).

٣. الاقتصاد: تناولت السورة موضوع المال والرزق في عدة آيات، حيث أكدت ارتباط الرزق بمشيئة الله تعالى، وانه هو المعطي سبحانه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (٣٧)، وقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (٤٠). وقوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (٤٦). وشجعت الآية (٣٨) على الإنفاق على الآخرين خاصة المحتاجين منهم، كما جاءت الآية (٣٩) لتبين أن الربا مذموم وضار بالمجتمعات.

إذاً يمكن القول: إن ما سبق يُظهر **السبب الأساس في هزيمة الروم**، وهو ضعف الإيمان بالاخرة، وضعف الإيمان بقدرة الله تعالى، وهذا يؤدي إلى تعاظم الماديات في النفوس، والتكالب على الدنيا، وهذا يولد أمراضاً متنوعة عبرت عنها آيات في السورة، وإذا أجرينا تحليلاً معمقاً للمجتمعات الغربية سنجد أن هذه **الأمراض** التي تتحدث عنها السورة موجودة فيها. ويمكن حصر هذه الأمراض فيما يأتي:

١. اقتصار العلم على الدنيا، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ (٦-٧).

٢. اتباع الهوى غير المستند إلى أي معرفة أو حقيقة، وذلك في قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (٢٩).

٣. الاعتداد بالرأي وهو ما يؤدي إلى الانقسام إلى فرق وأحزاب، وذلك في قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ (٣٢).

٤. ضعف التوازن النفسي في حالة الضر والرحمة، حيث يميل الناس إلى القنوط في حالة الضيق، وفي حالة السعة والرحمة فإنهم يفرحون وينسب بعضهم الفرج لغير الله تعالى، وهذا ما عبرت عنه الآيات (٣٣-٣٦).

٥. شيوع الربا: وهو أمر يدل على قلة الثقة بالآخرة، ويدل على أن المال له المكانة العليا في المجتمع، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ﴾ (٣٩).

ومع أن السورة تحدثت عن مواطن الضعف التي تؤدي إلى الانهزام، إلا أنها لم تُغفل الإشارة إلى **مواطن القوة** التي تؤدي إلى الغلبة، ومن ذلك:

١. الدعوة إلى التسبيح والذكر والصلاة، وذلك في عدة مواضع منها قوله تعالى: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ۝١٧ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ

وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴾ (١٧-١٨)، وقوله تعالى: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ (٣١).

٢. الدعوة إلى جعل الدين محور الحياة ومنهاجها، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ ﴾ (٣٠)، وقوله تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ ﴾ (٤٣).

٣. الحث على الصدقة والنفقات لما في ذلك من أثر في فلاح المجتمعات والأفراد، في قوله تعالى: ﴿ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (٣٨)، وقوله تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴾ (٣٩).

٤. الحث على الصبر وعدم التأثر بمقولات الغافلين عن حقائق الإيمان، في قوله تعالى في ختام السورة: ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾ (٦٠).

يقول قطب في مقدمة سورة الروم: "وفي ظل ذلك التصور المرتفع الواسع الشامل تتكشف عالمية هذه الدعوة وارتباطها بأوضاع العالم كله من حولها، حتى وهي ناشئة في مكة محصورة بين شعابها وجبالها، ويتسع مجالها فلا تعود مرتبطة بهذه الأرض وحدها، إنما هي مرتبطة كذلك بفطرة هذا الكون ونواميسه الكبرى، وفطرة النفس البشرية وأطوارها، وماضي هذه البشرية ومستقبلها. لا

على هذه الأرض وحدها، ولكن كذلك في العالم الآخر الوثيق الصلة بها والارتباط".[1]

ويقول أيضاً: "وجو السورة وسياقها معاً يتعاونان في تصوير موضوعها الرئيسي، وهو الكشف عن الارتباطات الوثيقة بين أحوال الناس وأحداث الحياة، وماضي البشرية وحاضرها ومستقبلها، وسنن الكون ونواميس الوجود".[2]

فليس الحديث إذاً في السورة وذكرها لهذا الحدث يخص ما حصل بين الفرس والروم، فإن الملاحظ تاريخياً أن الفرس بعد غلب الروم لهم وانهزامهم أمام المد الإسلامي لم تقم لهم قائمة، وانخرط كثير منهم في الإسلام وحضارته، فتخصيص هذه السورة وتسميتها بالروم للإشارة إلى أن دولة الروم ستبقى مغلوبة إلا عندما يضعف أهل الإسلام، أو عندما تتجنب أسباب انهزامها وغلبتها.

هداية السورة:

الغلبة والهزيمة في الأمم ترتبط بسنن وأسباب، والمسلم يستخلص من أحوال الأمم ما يدفع عنه الهزيمة وما يجلب له النصر والبقاء

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن (ج٥، ص٢٧٥٥).

(٢) المصدر السابق (ج٥، ٢٧٥٦)

(٢٨) سورة لقمان

مكية عدد آياها ٣٤، ورقمها ٣١

لقمان اسم رجل حكيم صالح، وأكثر الروايات في شأنه، التي يعضد بعضها، وإن كانت أسانيدها ضعيفة تشير إلى أنه كان رجلاً أسود، قيل هو من بلاد النوبة، وقيل من الحبشة.

إن الحكمة تقوم على العلم الصحيح والتصور الدقيق للأمور، فكلما زاد علم الإنسان زادت حكمته، ولذلك نقول (حكمة الكبار) لأهم خاضوا تجارب جعلت علمهم بالحياة أصح، وتصورهم للأمور أكثر دقة.

ورد اسم السورة في الآيتين (١٣،١٢) في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ ، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ ﴾ ، ومن خلال الآيتين يتضح التركيز على الحكمة، فالآية الأولى تعبر بصراحة عن امتلاك لقمان الحكمة بفضل الله تعالى، والآية الثانية هي افتتاحية لوصايا لقمان لابنه حيث تتضح الحكمة البالغة في هذه الوصايا، ولم تُسمّ السورة بالحكمة ولكن سميت (لقمان) وهو رمز للحكمة، وذلك للدلالة على أهمية الحكمة المتمثلة بالإنسان أكثر من الحكمة المجردة الموجودة في بطون الكتب.

والملحظ الآخر: إن الأنبياء عليهم السلام جاؤوا لتعليم الحكمة للبشر، فلماذا كانت التسمية باسم شخص ليس نبياً، وإنما هو رجل مؤمن؟

يبدو أن هذا الأمر للإشارة والدلالة على إمكانية حصول الدعاة إلى الله تعالى على الحكمة، إذا استفادوا من الوحي، وأخذوا بأسباب العلم والفهم الصحيح، وأن الأمر ليس مقتصراً على الأنبياء عليهم السلام.

وبناءً على ما سبق فإن السورة تهدف إلى تعريف المسلم بما يوصله للحكمة والعلامات الدالة عليها، كما تُعرّفه بموانع التوصل للحكمة، ويتضح ذلك من خلال العرض الآتي:

أولاً: علامات الحكمة والطرق الموصلة إليها:

١. التواصل مع القرآن الكريم: فالذين يتفاعلون مع آيات الكتاب الحكيم سينالون الحكمة، وقد ورد وصف الله تعالى لكتابه بالحكمة في افتتاحية السورة في قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ (٢)، وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٢٧). وهذا الكتاب من الله تعالى العليم، وبالتالي فمن المنطق أن يكون كتابه هو الحكمة العليا لكل طالب حكمة، لأن أساس الحكمة هو العلم، فتذكر السورة سعة علم الله تعالى وإحاطته في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴾ (٣٤).

٢. الاستقامة النفسية والسلوكية: تؤكد السورة من **جهة** أن الإنسان يُحصّل من حكمة كتاب الله تعالى بمقدار استعداداته النفسية مع عدم التقليل من شأن الاستعدادات العقلية. لذا نجد السورة تمدح الذين استقاموا قلباً وسلوكاً كما في قوله تعالى: ﴿ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ۝٣ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْأٓخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ (٣-٤)،، وتبين الآية (٣١) أن المستفيد من الآيات المبثوثة هو كثير الصبر والشكر: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾(٣١). ومن **جهة أخرى** تركز السورة على السلوكيات السوية للدلالة على ضرورة الاستقامة السلوكية والنفسية لتلقي الحكمة وتمثلها، ومن ذلك قوله: ﴿ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ (٨)، وقوله تعالى: ﴿ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ﴾ (١٢)، والآيات (١٤-١٥، ١٧-١٩) التي وردت في بيان مواعظ لقمان الحكيم لابنه.

٣. توحيد الله تعالى: فالحكمة كل الحكمة في توحيد الله وعدم الشرك به، فهو سبحانه وحده الخالق المنعم الرازق، وكل من يتخذهم الناس أنداداً من دون الله ما يملكون من قطمير، ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ولا نصراً، لذا كانت أول وصايا لقمان لابنه: ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ (١٣). وقد بينت الآية (٢٢) أن الذي يستسلم لله وحده فإنه على هدى وحكمة: ﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ﴾.

وفي السورة آيات عديدة تعرف الإنسان بخالقه ليتعمق توحيده له واستسلامه إليه، ومن ذلك الآية (١٦) التي تؤكد على الإحاطة الكاملة علماً وقدرة في قوله تعالى: ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾، (١٦)، وقوله تعالى: ﴿ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ (٢٦)، وقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ (٣٠).

٤. التفكر في خلق السموات والأرض: نجد في السورة توجيهاً للإنسان أن يفكر في السموات والجبال والمخلوقات المبثوثة والماء النازل والنبات الكريم (١٠-١١)، وأن يفكر في هذا العالَم المذلّل له المضبوط لمصالحه، في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةًۗ ﴾ (٢٠)، وقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ (٢٩)، وقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓۚ ﴾ (٣١)، والآية (٢٨) التي تبين قدرة الله الهائلة على الخلق في قوله تعالى: ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍۗ ﴾.

ثانياً: موانع الوصول للحكمة:

١. مرض القلوب واعوجاج السلوك: تبين السورة سلوكيات سلبية عدة، وفي هذا تأكيد على خطورة هذه السلوكيات على القلوب وبالتالي القدرة على استقبال الحكمة وانتاجها، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ﴾ (٧)، وقوله تعالى: ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ (١١)، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ (١٣)، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴾ (١٨-١٩)، أما الآية (٣٢) فتكشف عن أعماق الإنسان الذي يؤمن بالله ويتوجه إليه في ساعات الشدة والخطر الداهم، ثم ينساه في وقت الرخاء، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴾ (٣٢).

٢. فساد مناهج التلقي والبحث: حيث نجد في السورة أن بعض الناس لا يتدبرون كتاب الله الحكيم، بل يعارضون حكمة كتاب الله وآياته باللهو والاستهزاء، ويواجهونها بغير علم دون استخدام أداة علمية صحيحة، وقد ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ ﴾ (٦)، وقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ

فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴾ (٢٠)، ويعتبرون ميــراث الآبـــاء فيصل الحق وميزانا لحكمة، كما أخبرت عنهم الآية (٢١) في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ﴾، والبعض يعتمد على الكهانة والخرص للغيب، وهذا ما ذكرت الآية الأخيرة أنه مختص بالله تعالى، ولا يخضع للتجربة والبحث العلمي، وذلك في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (٣٤).

٣. اتباع الشيطان والاغترار بالحياة الدنيا: إن اتباع الشيطان لا يمكن أن يقود للحكمة، والاغترار بالدنيا يقف حاجزاً بين الإنسان والحكمة، لأن كليهما يعظم العاجلة ويلهي عن الآجلة ويصغرها في نفس الإنسان، لذا كان التحذير في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾ (٣٣). وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ (٢١).

وباختصار فإن السورة باسمها تريد أن تقول: من أراد الحكمة، وأراد أن يكون حكيماً، فعليه أن يوثق علاقته مع الله، وأن يوثق علاقته مع كتابه، وأن يستقيم سلوكاً وقلباً، وسيجد نفسه إن صبر وشكر من أهل الحكمة.

هداية الاسم:

توحيد الله تعالى، والتفاعل مع كتابه، والاستقامة في السلوك، إذا اجتمع ذلك كله في الإنسان تَوصَّل إلى الحكمة الحقيقية

(٢٩) سورة السجدة

مكية عدد آياتها ٣٠، وترتيبها ٣٢

يقول ابن فارس: "السين والجيم والدال أصل واحد يدل على تطامن وذل، يقال سجد، إذا تطامن، وكل ما ذل فقد سجد".[١] ويقول الرازي في معنى سجد: "خضع، ومنه السجود في الصلاة، وهو وضع الجبهة على الأرض".[٢] ويقول الأصفهاني: "السجود أصله التّطامن والتذلّل، وجُعل ذلك عبارة عن التذلّل لله وعبادته، وهو عامّ في الإنسان والحيوانات والجمادات، وذلك ضربان: سجود باختيار وليس ذلك إلا للإنسان وبه يستحق الثواب... وسجود تسخير وهو للإنسان والملائكة والحيوان والنبات... وخُص السجود في الشريعة بالركن المعروف من الصلاة، وما يجري مجرى ذلك من سجود القرآن وسجود الشكر، وقد يُعبّر به عن الصلاة بقوله تعالى: ﴿ وَأَدْبَـٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴾ (ق:٤٠)، أي أدبار الصلاة... والمسجد موضع الصلاة، اعتباراً بالسجود"،[٣] ومن خلال النظر في القرآن الكريم يمكن أن نضيف إلى كلام الأصفهاني أن الجن يدخل مع الإنسان في التخيير والتسخير، ويظهر ذلك مثلاً في قوله تعالى: ﴿ يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَا ﴾ (الأنعام:١٣٠).

---

(١) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ج١، ٥٨٦)

(٢) مختار الصحاح، محمد الرازي (١٧٥)

(٣) المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد الأصفهاني (٢٢٣)

والمعروف أن الآيات التي يُسنّ عندها سجود التلاوة في القرآن الكريم كما أثبتها العلماء في مصحف المدينة ١٥ آية في ١٤ سورة، ولكن السورة الوحيدة التي سُمّيت بالسّجدة هي هذه السورة، كما لم يرد اسمها في السورة بشكل مباشر، وإنما ورد ذكر سجود المؤمنين في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ (١٥)، فما الحكمة من تسمية هذه السورة بالسّجدة؟

من خلال دراسة آيات السّجدة في القرآن الكريم قد يتضح للمتدبر سرّ اختيار هذه السورة باسم السّجدة، وهو **التكريم للمؤمنين الذين يخرون لله سجّداً**، لأن آيات السّجدة الأخرى إنما كانت إمّا عامة لكل الخلق بمن فيهم الإنسان، أو كان فيها ذكر سجود الملائكة وخضوعهم لله تعالى، أو ذكر ما فعله بعض المصطَفيْن من الأنبياء، أو ذكر إعراض الكافرين عن السجود لله عز وجل، أو جاء فيها الأمر بالسجود، وهذه الآية هي الوحيدة التي تتحدث عن المؤمنين الذين يقومون بالسجود طواعية وخضوعاً لله تعالى وتقديراً لعظمته.

أما علاقة اسم السورة بموضوعاتها فقد يكون من خلال العرض الآتي:

١. تبتدئ السورة بالحديث عن القرآن الكريم الذي هو كتاب هداية وإنذار، فهو الذي يهدي المؤمنين إلى التذلّل لله والخضوع له، وينذر المستكبرين والمعرضين والغافلين (الآيتان٢-٣).

٢. ثم تتحدث الآيات (٤-٩) عن عظمة الله تعالى وتفضله على الإنسان، فهو الخالق والملك والمدبّر وعالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم، وقد خلق

الإنسان على أحسن صورة ونفخ فيه من روحه وأعطاه من النعم ما يجعل حياته سهلة متطوّرة، وهذا الإله العظيم مستحق للسّجود من الإنسان الضعيف المَتفضَّل عليه من ربّه الكريم.

٣. يلي ذلك تناوُل الآيات (١٠-١٤) لموقف المستكبرين والمنكرين للبعث، ظنّاً منهم أن الله تعالى لا يقدر على بعثهم وحسابهم، وتبين الآيات موقفهم المهين يوم القيامة عندما تتجلى لهم قدرة الله تعالى وعظمته، ويكون جزاؤهم العذاب المقيم في جهنم بسبب استكبارهم عن السجود لله تعالى.

٤. أما الآيات (١٥-١٧) فتتحدّث عن أهل الإيمان والخضوع لله تعالى، الذين دفعهم إيمانهم وتعظيمهم لله إلى السجود والتواضع له، وهم يدعون ربهم خوفاً وطمعاً لعلمهم أنّ الله تعالى قادر على كل شيء وبيده ملكوت كل شيء، كما أنهم ينفقون مما رزقهم الله ابتغاء الأجر والثواب، وهذا الأجر تذكره الآيات بشكل مختصر، ولكن بطريقة تترك للخيال أن يسبح في تصور التكريم الذي يكون للمتواضعين لله تعالى، وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (١٧)، وقد ورد قول النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه: "أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر" [(١)]، ويعلق قطب على هذا الجزاء والتكريم بقوله: "تعبير عجيب يشي بحفاوة الله سبحانه بالقوم، وتوليه بذاته العلية إعداد المذخور لهم عنده من الحفاوة والكرامة مما تقر به

(١) صحيح البخاري، محمد اسماعيل البخاري (حديث ٤٤٧٩، كتاب تفسير القرآن، باب تفسير سورة السجدة)

العيون، هذا المذخور الذي لا يطلع عليه أحد سواه، والذي يظل عنده خاصة مستوراً حتى يُكشف لأصحابه عنه يوم لقائه! عند لقياه! وإنها لصورة وضيئة لهذا اللقاء الحبيب الكريم في حضرة الله".(١)

٥. ثم تعود الآيات (١٨-٢٠) للمقارنة بين مصير الفريقين، حيث الإكرام من الله تعالى للمؤمنين الذين يعملون الصالحات، أما الفاسقون (الخارجون عن طاعة الله تعالى) فلهم النار الخالدة جزاء تكذيبهم واستكبارهم.

٦. وتتحدث الآيات (٢٣-٢٥) عن حلقة سريعة من تاريخ الرسالات، وتركز على إظهار تشريف الله تعالى للطائعين وجعلهم أئمة للإشارة إلى أن الله تعالى يرفع المتذلّلين له.

٧. أما الآية (٢٧) فتعود لتُذكّر بفضل الله تعالى على البشر وقدرته سبحانه على إحياء الأرض الجُرُز (التي انقطع نباتها من أصله)، فأنبت بها زرعاً تأكل منه أنعامهم وأنفسهم، ولعل في ذلك إشارة إلى أن السجود والتواضع لله تعالى يحيي القلب ويجعله مثمراً بالخير والعطاء.

٨. وتختم السورة في الآيات (٢٨-٣٠) بالتهديد للمكذبين بيوم الفتح، ولم يرد هذا الاسم ليوم القيامة في موضع آخر للإشارة إلى أنه في ذلك اليوم تزول الحواجز عن رؤية الحقائق العظمى التي تستوجب السجود والخضوع لله تعالى، فهم في ذلك اليوم وجميع الخلائق سيبلغون منتهى التّعظيم لله تعالى.

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب (ج٥، ٢٨١٣)

ويضيف **أستاذنا** لدى مراجعته للبحث في معنى الاسم ودلالته قوله: "لقد سُمّيت السورة بالسجدة وليس السجود، وفي ذلك تنبيه إلى آية السجدة في السورة التي تبين لنا السجود الحقيقي حيث: المسارعة إلى الخضوع إلى براهين الخالق ﴿إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا﴾، وتنزيه الله الخالق وحمده ﴿وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾، وعدم الاستكبار ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾، فالمؤمن الحقيقي هو الذي إذا ذكر بآيات الله تعالى التي في القرآن وفي الكون والخلق سارع إلى السجود والتسبيح بالحمد و لم يستكبر عن عبادة ربه".

كما يلفت النظر إلى ذكر موسى عليه السلام في السورة **بقوله**: "ورد في السورة قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ﴾ (٢٣)، وقد حصل اللقاء بموسى عليه السلام في ليلة المعراج وكان منه المشورة في موضوع الصلاة التي فرضت على المسلمين في تلك الليلة، كما اقتصر ذكر قومه في السورة على مدحهم وجعلهم أئمة بسبب إيمانهم بآيات الله تعالى".

هداية الاسم:

التذلل والخضوع لله علامة الإيمان وطريق التكريم

- ورد في السورة وصف الكافر بالفاسق، لأن الفاسق كما يقول الأصفهاني: "أخل بحكم ما ألزمه العقل واقتضته الفطرة".[(١)]

- آخر آية من آيات السجود في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ﴾ (العلق، ١٩) للإشارة إلى أن السجود سبب رئيس للقرب من الله تعالى، وقد ورد في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قوله ﷺ : "أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء" .[(٢)]

- قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ ﴾ في ختام آية السجود في سورة الحج الآية (١٨)، يشير إلى أن السجود لله تعالى طريق الرفعة والتكريم.

---

(١) المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد الأصفهاني (ص ٣٨٠).

(٢) صحيح مسلم، مسلم النيسابوري (حديث:٤٨٢، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود).

(٣٠) سورة الأحزاب

مدنية، عدد آياتها ٧٣، ورقمها ٣٣

يقول ابن فارس: "الحاء والزاي والباء أصل واحد وهو **تجمّع الشيء**، فمن ذلك الحزب: الجماعة من الناس، قال الله تعالى: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ (المؤمنون، ٥٣)، والطائفة من كل شيء حزب، يقال قرأ حزبه من القرآن".[١]

ورد اسم السورة في قوله تعالى: ﴿يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَـٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٢٠)، وفي قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَـٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾ (٢٢)، وتوسط الآيتين قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ (٢١).

واسم هذه السورة يقودنا إلى غزوة الأحزاب في السنة الخامسة للهجرة، حيث تحزّب الكفار بأطيافهم المختلفة (كفار مكة، اليهود، القبائل العربية، المنافقون في المدينة وخارجها)، وكان هدفهم الأساس اجتثاث الدين وأهله والانتهاء من الفكرة الجديدة. وقد هُزم المتحزّبون في هذه المعركة وهربوا، بعد محاصرتهم المدينة، قال تعالى: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ

(١) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ج١، ٢٩١)

﴿ٱلْقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ (٢٥)، وقال النبي ﷺ بعد الغزوة: "الآن نغزوهم ولا يغزونا".[١]

وقد تحدثت السورة عن الغزوة في الآيات (٩-٢٧)، ولكنها تناولت مواضيع متعددة، فما علاقة هذه المواضيع بغزوة الأحزاب؟

عند دراسة السورة نجد أن موضوعاتها ترتبط بشكل واضح مع عرض السورة لأحداث غزوة الأحزاب، حيث كان التجمع الكافر الذي تحزّب ضد المدينة يُشكّل أعلى حشد للطاقات في مواجهة الدين في تلك الفترة، وقد كان هذا الحشد (الأحزاب) كفيلاً بتدمير بنية المجتمع المسلم، وقد ساهم مع هذا الحشد في المعركة (الطابور الخامس المتمثل بالمنافقين واليهود داخل المدينة)، فكأن سورة الأحزاب تبين العوامل التي ساعدت المجتمع المسلم في المدينة على الصمود والانتصار ضد تحزّب الكفار، فما هي هذه العوامل؟

١. اتباع المنهج الرباني بعيداً عن مناهج أهل الكفر والنفاق: وهذا الأمر ابتدأت به السورة موجهة الخطاب للنبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝٢ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ (١-٣)، كما ركزت السورة على هذا الأمر في عدة مواضع منها قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ

---

(١) صحيح الجامع، الألباني (٢٧٥٤)

ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا ﴾ (٣٦) وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴾ (٤٨)، وقوله تعالى: ﴿ يَوۡمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴾ (٦٦)، وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا (٧٠) يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ (٧٠-٧١).

٢. ترسيخ مكانة النبي ﷺ كمصدر للتشريع، وكأسوة للمؤمنين: ومن الآيات التي تناولت هذا المحور قوله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ﴾ (٤٠)، وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴾ (٤٥-٤٦)، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ ﴾ (٥٣)، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ (٥٦)، وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ﴾ (٦٩).

٣. الحرص على نقاء بيوت القيادات وسلامة أسرهم، وتنقية محيط هذه القيادات من كل شائبة أو تشويه، وعدم السماح لأسر القيادات أن تستغل علاقتها مع القائد لتحقيق مكاسب شخصية، بل ينبغي التشديد عليها أكثر: وهذا ما ظهر في تركيز السورة على بيوت وزوجات النبي ﷺ ، برز فيها التشديد

على نساء النبي ﷺ ، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَـٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (٢٨-٢٩)، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَـٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ ﴾ (٥٣)، وقوله تعالى لنساء النبي ﷺ : ﴿ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴾ (٥٥)، وقوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَـٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ ﴾ (٥٩). وأظهرت السورة أن الهدف من كثير من التشريعات هو ما ورد في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ (٣٣).

وفي هذا السياق نستذكر عمر بن الخطاب رضي الله عنه في تشديده على نفسه وعائلته بعد تسلمه للخلافة، والمواقف التي تذكر في هذا المقام كثيرة، من أبرزها تهديده لهم بالتنكيل إذا خالفوا التعليمات الصادرة لعامة المسلمين، وكذلك الخليفة الراشد الخامس عمر بن عبد العزيز رحمه الله الذي ردّ كل ما يملك هو وزوجته إلى بيت مال المسلمين، وعاش حياة الكفاف.

٤. تقوية العقيدة والثقة بالله تعالى من خلال كثرة الذكر والتوجه لله تعالى: حيث يلاحظ وصف المتأسين برسول الله ﷺ بأنهم كثيرو الذكر في قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ

﴿ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (٢١)، كما ذكرت السورة آخر وصف للمؤمنين المغفور لهم ﴿ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ ﴾ (٣٥)، كما أمر الله المؤمنين بقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ (٤١-٤٢). وقد برز في تذييل الآيات في الحديث عن الغزوة التركيز على بيان قدرة الله في مثل قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ (٩)، وقوله تعالى: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ (٢٥)، وقوله تعالى: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴾ (٢٧)، كما ورد إظهار ثقة المؤمنين بالله في اللحظات الصعبة فوصفهم تعالى بقوله: ﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴾ (٢٢).

٥. الاهتمام بالأسرة وجعل ذلك أولوية لإصلاح المجتمع ذكوراً وإناثاً، فصلاح المجتمع يجعله محصناً ومتماسكاً أمام التحديات، وقد ركزت السورة على التأسيس لعلاقات سوية بين الذكور والإناث وحماية الأعراض وقد برز ذلك في الأمرين الآتيين:

- اعتبار الأسرة القائمة على الرحم المشترك هي اللبنة التي يقوم عليها بناء المجتمع، والعقيدة السوية هي الجامع والمظلة، وذلك من خلال تحريم التبني وإلغاء هذه الظاهرة من المجتمع المسلم، وتأكيد هذا الإلغاء بأمر الله للنبي ﷺ بالزواج من زينب زوج متبناه زيد، ليكون هذا الفعل محواً لهذه الظاهرة، وقد تناولت الآيات (٤-٦، ٣٧-٣٨) إبطال آثارها الشرعية

والقانونية، ومنها قوله تعالى: ﴿ ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ (٥)، وقوله تعالى: ﴿ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗاۚ ﴾ (٦). وقوله تعالى: ﴿ لِكَيۡ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ حَرَجٞ فِيٓ أَزۡوَٰجِ أَدۡعِيَآئِهِمۡ ﴾ (٣٧).

- الاهتمام بتنشئة المرأة على أخلاق الإسلام، من أجل إيجاد مجتمع نظيف يقوم على أساس من العفة والطهارة: وقد برز ذلك في آيات عديدة من السورة منها قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ﴾ (٣٥)، وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ ﴾ (٥٩).

٦. تربية الأجيال على تحمل المسئولية والقيام بالتكاليف، وبث روح التضحية والفداء في المجتمع: وهذا الأمر مهم جداً لمواجهة التحديات مثل التي كانت في الأحزاب، لذا ركزت السورة عليه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۖ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم

﴿ مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ۝٧ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (٧-٨)، وقوله تعالى: ﴿ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴾ (١٥)، وقوله تعالى: ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ۝٢٣ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ ﴾ (٢٣-٢٤)، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ (٧٢).

٧. أهمية التنبه إلى الدور الخطير للمنافقين والمتخاذلين في إضعاف الجبهة الداخلية للمجتمع المسلم في مواجهة العدو الخارجي: فالمنافقون وأمثالهم يشكلون خطراً كبيراً على المجتمع نظراً لأن خطرهم من الداخل، لذا لا بد من التنبه لما يقومون به من إرجاف وتثبيط، وقد ذكرت السورة هذه الفئة بتفصيل في الحديث عن أحداث الغزوة، وذلك في الآيات (١٢-٢٠)، وجاء التهديد لهم في نهاية السورة في قوله تعالى: ﴿ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ۝٦٠ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴾ (٦٠-٦١).

يقول قطب في مقدمة السورة (ج٥، ٢٨١٨): "ولهذه الفترة التي تناولتها السورة في حياة الجماعة المسلمة سمة خاصة، فهي الفترة التي بدأ فيها بروز ملامح الشخصية المسلمة في حياة الجماعة وفي حياة الدولة، ولم يتم استقرارها بعد ولا

سيطرتها الكاملة، كالذي تم بعد فتح مكة ودخول الناس في دين الله أفواجاً. واستتباب الأمر للدولة الإسلامية وللنظام الإسلامي.

والسورة تتولى جانباً من إعادة تنظيم الجماعة المسلمة وإبراز تلك الملامح وتثبيتها في حياة الأسرة والجماعة، وبيان أصولها من العقيدة والتشريع، كما تتولى تعديل الأوضاع والتقاليد أو إبطالها، وإخضاعها في هذا كله للتصور الإسلامي الجديد".

هداية السورة:

المجتمع المسلم مستهدف من قوى شتى (الأحزاب) باعتباره الحامل للواء الحق، وضخامة الاستهداف تقتضي التسلح بالمحصِّنات

- ابتدأت السورة بنداء ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ﴾ وهذا النداء ابتدأت به سورة التحريم التي تشترك مع السورة في الموضوع الأساس وهو بيوت النبي ﷺ وأزواجه، كما افتتحت به سورة الطلاق والتي تحدثت عن شؤون الأسرة، أما الآيات التي افتتحت بهذا النداء فهي (١٣ آية)، وقد ورد منها في سورة الأحزاب (٥ مرات)، والملاحظ أنها جميعاً تتحدث في موضوعين اثنين هما: الأسرة، الجهاد.
- قد يستفاد من تأخير علاج قضية التبني بعد غزوة الأحزاب، التوجيه لأهل التربية والإصلاح بتأخير بعض القضايا المتأصلة في المجتمعات حتى استقرار المجتمع وانتهاء مرحلة الدفاع والتوتر النفسي خشية الهجوم. كما أن المجتمعات في مرحلة الجهاد والدفاع تكون غالباً منضبطة لانشغالها في حماية أهدافها وكيانها، أما في مرحلة الرخاء فتكون بحاجة إلى توجيهات إضافية لعملية البناء.

(٣١) سورة سبأ

مكية عدد آياتها ٥٤، وترتيبها ٣٤

ورد اسم السورة في قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ﴾ (١٥)، وقد ذكرت سبأ في سورة النمل ببيان إسلام ملكتهم وقومها لسليمان عليه السلام، وواضح في الموضعين أن هذه المملكة كانت وافرة الحضارة والإمكانات والخيرات، ولكن سورة سبأ تذكر انتهاء هذه المملكة وذهاب عزها وحضارتها بسبب كفرهم وظلمهم أنفسهم، وذلك في الآيات (١٥-٢١).

فما العلاقة بين قصة سبأ في السورة وباقي موضوعاتها؟

يلاحظ أن قصة سبأ تُختم بقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ ﴾ (٢١)، وهذه الخاتمة تُظهر السبب الحقيقي لهذا الانهيار الحضاري، وهو التشكك بالآخرة والاغترار بالدنيا وما ينتج عن ذلك من سلوكيات، ويمكن ملاحظة الحشد الكبير للآيات التي تتحدث عن الآخرة في السورة، وهذه الآيات هي: (٣-٩، ٢٣-٢٦، ٢٩-٣٣، ٣٨، ٤٠-٤٢، ٤٦، ٥١-٥٤)، ومن خلال دراسة السورة تتضح السلوكيات التي تنتج عن التشكك بالآخرة وهي:

١. عدم شكر الله على نعمه: حيث أن التشكك بالآخرة يؤدي إلى قلة أو انعدام أداء الحقوق المترتبة على النعم، والتي تعتبر أهم مظهر للشكر، لذلك قال الله تعالى: ﴿ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾ (١٣)، ولقد كان

السبب الرئيس للسيل الذي اجتاح سبأ هو كفران النعمة واتضح ذلك في قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴾ (١٧)، بعد أن كانوا أمروا بالشكر: ﴿ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ ﴾ (١٥)، كما بينت السورة أن الشكر لله تعالى يجعل الإنسان يستفيد من الآيات ويتعظ بها، في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ (١٩).

٢. الاعتداد بالأموال والأولاد: حيث أن غياب االإيمان لآخرة يؤدي إلى تعظيم القيم المادية والاغترار بها، وقد بينت السورة أن الذين يقفون أمام الدعوات هم المترفون الذين يعتقدون أن كثرة أموالهم وأولادهم تجعل الصواب إلى جانبهم، وأن ذلك دليل على نجاتهم من العذاب، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾ (٣٤-٣٥)، ولذلك كان الرد الإلهي ببيان أن الأموال والأولاد ليست هي معيار القرب منه سبحانه: ﴿ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾ (٣٧)، وكذلك بالتذكير أن الله تعالى هو مصدر النعم المختلفة وأنه هو الذي يقسمها بين البشر، في قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ﴾ (٢٤)، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ ۚ ﴾ (٣٩)، والآية (٣٦) بألفاظ متقاربةً، وختمت السورة ببيان حسرة الكافرين عندما يحال بينهم وبين ما عظموه وعملوا من أجله في حياتهم الدنيا، قال تعالى:

﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴾ (٥٤).

٣. اتباع الشيطان: هنالك تلازم بين التشكك بالآخرة وبين اتباع كفرة الجن الذين يعملون جاهدين لقذف الشبهات في القلوب، كما قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢٠)، كما أن أهل الشبهات يتبعون الجن ظناً منهم أهم يعلمون الغيب، لذا أشارت السورة إلى أن البشر أكثر قدرة من الجن ويمكن أن يسخرهم البشر لخدمتهم، كما كان لسليمان عليه السلام في الآيات (١٢، ١٣)، كما أشارت السورة إلى عدم علم الجن بالغيب في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴾ (١٤)، وعلى الرغم من كل ما سبق فإن بعض البشر يتخذون من الجن آلهةً تُعبد، كما قال الله تعالى: ﴿ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴾ (٤١).

٤. اتخاذ شركاء من دون الله: فالذين لا يرجون اليوم الآخر ولا يحسبون له الحساب ويغترون بالدنيا وملذاهّا، يكثر منهم اتخاذ الشركاء من دون الله، وقد ركزت السورة على بيان أحوال الشركاء وتخليهم عن بعضهم يوم القيامة، وكان أبرز موضع في هذا المقام الحوار الذي يدور بين المستضعفين والمستكبرين في الآيات (٣١-٣٣)، وقوله تعالى: ﴿ فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾ (٤٢)،

وبينت الآيات ضعفهم وعجزهم وقلة حيلتهم، في مثل قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴾ (٢٢)، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرُونِىَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ كَلَّا بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (٢٧).

٥. قلة التفكر والاعتبار: فمن تفكر سيصل يقيناً إلى حقيقة الخلق والخالق والمصير، لذا برز في ختام السورة الدعوة الحارة للتفكر في قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ ﴾ (٤٦)، كما نعت السورة على الكافرين بأنهم يقولون دون تحقق وتسديد ودون مصدر يمكن الاعتماد عليه، في قوله تعالى: ﴿ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴾ (٥٣)، وقوله تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴾ (٤٤)، وبينت السورة أن الهداية الحقة هي بالاعتماد على الوحي، في قوله تعالى: ﴿ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ﴾ (٥٠).

هداية السورة:

التشكك بالآخرة معول هدم للحضارات والمدنيات

- قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ ﴾ (٤٦)، دعوة للتفكر الفردي أو الثنائي، وذلك لإبعاد المتفكر عن سيطرة العقل الجمعي وسلطانه الذي قد يمنعه من الوصول إلى الحق.

(٣٢) سورة الزخرف
مكية عدد آياتها ٨٩، ورقمها ٤٣

الزخرف كما يقول الأصفهاني: "الزينة المُزوَّقة، ومنه قيل للذهب زخرف، وقال: ﴿أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا﴾ (يونس، ٢٤)، وقال ﴿بَيۡتٌ مِّن زُخۡرُفٍ﴾ (الإسراء، ٩٣) أي ذهب مزوق، وقال: ﴿وَزُخۡرُفٗا﴾ وقال: ﴿زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ﴾ (الأنعام:١١٢) أي المزوقات من الكلام"،[1] ويقول الرازي: "الزخرف: الذهب ثم يشبّه به كل مموَّه مزوّر، والمزخرف: المزين"،[2] ويقول المصطفوي: "الأصل الواحد في هذه المادة هو ما يكون خارجاً عن متن الموضوع الحق اللازم، لزينة فقط وهي غير لازمة أو لتزوير وتمويه. والزينة أعم منه: فإن الزينة قد تكون صحيحة، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ﴾ (الصافات: ٦)... فمطلق الزينة ليس من مصاديق الزخرف، بل ما يكون غير لازم في العرف المعقول. وكذلك الذهب إذا أُخذ **زينة زائدة** عما هو المعروف. وهكذا الزخرف من الكلام. فالقيد مأخوذ في مفهومه. قال تعالى: **﴿يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ﴾** (الأنعام: ١١٢)، أي الكلام الباطل وما لا يحتاج إليه في متن العيش المعروف".[3]

---

(١) المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد الأصفهاني (٢١٢)

(٢) مختار الصحاح، الرازي (١٤٩)

(٣) التحقيق في كلمات القرآن الكريم، المصطفوي (ج٤، ٣٣٤)

وقد ورد اسم السورة في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ الآيات (٣٣-٣٥)، والزخرف في الآية بمعنى الزينة الزائدة من الذهب والجواهر وغيرها.

والمتأمل للسورة يجد آياتها، إضافة إلى آيات الاسم، تتحدث بشكل واضح عن الزينة والترف ومن ذلك:

- ﴿ أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾ (١٨).
- ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ ﴾ (٢٣).
- ﴿ بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴾ (٢٩).
- ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ﴾ (٥١).
- ﴿ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ ﴾ (٥٣).
- ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ﴾ (٧١).

وبناءً على المعنى اللغوي والآيات التي ورد فيها الاسم فقد يكون تسمية السورة بالزخرف للدلالة على أن الزينة وإن كانت مما سخره الله للإنسان وأباحه له، لكنها **قد تكون عاملاً رئيساً في غوايته وانحرافه ومعاداته للدين**، وبالتالي فإن

الدين يربي النفوس بطريقة لا تسمح للزخرف بالتأثير السلبي عليها، ويمكن ملاحظة ذلك في العرض الآتي:

١. **المترفون** هم الأكثر امتناعاً عن إجابة الرسل، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ ﴾ (٢٣)، وقد كان اغترار فرعون بزينته كبيراً حتى جعله يعتبر نفسه خيراً من موسى عليه السلام وذلك في قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴾ (٥١-٥٣)، كما استغرب كفار مكة نزول هذا القرآن على محمد ﷺ وهو ليس من كبار القوم مالاً وزينة في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ (٣١)، وفرعون استخف قومه فأطاعوه، وهذا الاستخفاف هو نتيجة للاستغراق في الزينة والفسق كما قال الله تعالى: ﴿ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴾ (٥٤).

٢. الزخرف وسيلة مهمة من وسائل الشياطين للإغواء كما ورد في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ ﴾ (الأنعام: ١١٢)، وقد ورد في السورة أن الشيطان يصد الناس عن الحق وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ

عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ (٦٢)، وفي قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴾ (٣٦-٣٨)، كما ورد في السورة بيان اغترار الكافرين والمترفين، واعتبارهم أن ما هم فيه من الضلال والانحراف والزينة، بتزيين الشيطان وزخرفته، خيراً مما جاء به الأنبياء عليهم السلام، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِىٍّ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ (٧)، وقوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾ (٢٣-٢٤)، وقوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾ (٣٠)، وقال عن قوم فرعون بعد أن جاءهم موسى بالبينات: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴾ (٤٧-٥٠).

٣. من أجل محاربة أثر الزخرف الخادع على الإنسان ركزت آيات السورة على الأمور الحقيقية التي ترفع الشأن وتستحق الاهتمام، لذا بدأت السورة بالكلام عن القرآن الكريم ووصفته أنه ﴿ ٱلْمُبِينِ ﴾ (٢) ، ﴿ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ

﴿ ٱلْكِتَـٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴾ (٤)، وقد بينت تشريف الله للأمة بهذا القرآن قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴾ (٤٤)، كما بينت الآيات أن رحمة الله تعالى خير من الزخرف الذي يحرص عليه معظم الناس كما في قوله تعالى: ﴿ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ (٣٢)، وبعد ذكر الزخرف في الآية التي وردت فيها الكلمة كان التعقيب بقوله تعالى: ﴿ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ ﴾، ثم بينت الآية **أهمية الآخرة وخيريتها في العقبى والدوام والنعيم الكريم** في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (٣٥)، وقد فصلت الآيات (٦٦-٧٣) الجزاء الكريم في الآخرة للمتقين.

٤. في نهاية السورة تتحدث الآيات عن كشف زيف ادعاءات المشركين وعقائدهم الباطلة، وبيان قوة الله وعظمته وتنزيهه عن النقص، وتختم بأمر الرسول ﷺ بالصفح عن المشركين، فأمْرُهم زائف ستظهر عورته قريباً، وذلك في الآيات (٧٩-٨٩).

ويضيف **أستاذنا** لدى مراجعته للبحث في توجيه اسم السورة قوله: "إن للواقع المحسوس تأثيراً قوياً على جمهور الناس، ومن هنا نجدهم يُخدعون بالمظاهر المادية، لذا ركز القرآن الكريم على الوعد والوعيد المتعلقيْن بالجنة ومحسوساتها، والنار ومحسوساتها، ليعالج ميل الإنسان إلى المحسوس.

وينبغي التنبه إلى هذه الحقيقة للإعلاء من قيمة الفكرة في مقابل الصنم المادي، ولتشخيص واقع الانحراف البشري نحو الوثنية، كما انحرف بنو إسرائيل إلى عبادة العجل".

وقد ذكر البقاعي: "أن مقصود السورة البشارة بإعلاء هذه الأمة بالعقل والحكمة حتى يكونوا أعلى الأمم في العلم وما ينشأ عنه... وعلى ذلك دلت تسميتها بالزخرف لما في آياتها من أنه لو أراد أن يعم الكفر جميع الناس لعمهم بسبوغ النعم، ولكنه لم يعمهم بذلك، بل فاوت بينهم فأفقر بعضهم وأكثر بؤسهم وفرق أمرهم، ليسهل ردهم عن الكفر الذي أدت إليه طبائعهم وحظوظهم ونقائصهم، بما يشهدون من قباحة الظلم والعدوان إلى ما يرونه من محاسن الدين والإيمان ولذة الخضوع للملك الديان".[١]

هداية الاسم:

ما تقرر في نفوس الناس من مكانة للدنيا وجعلها مقياساً للسعادة أمر لا بد من تصويبه، ولا بد من إعلاء القيم الربانية في مقابل الصنم المادي

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي (ج٧، ٣)

(٣٣) سورة محمد (ﷺ)

مدنية عدد آياتها ٣٨، ورقمها ٤٧

هذه السورة هي الوحيدة التي سميت باسم نبي الأمة محمد ﷺ، وقد سميت سور أخرى بأسماء أنبياء آخرين عليهم السلام مثل: يونس، هود، يوسف، إبراهيم، نوح، والملاحظ أن هذه السورة لم تذكر لنا أي أمر يتعلق بشخص النبي محمد ﷺ، أو شيء من سيرته، أو أحكام خاصة به وبزوجاته، فلماذا سميت هذه السورة باسمه؟

ورد اسم السورة في الآية الثانية في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾، ولم يُذكر الاسم في السورة في غير هذه الآية، وقد ذكر اسمه عليه السلام في ثلاثة مواضع أخرى في القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾ (آل عمران: ١٤٤)، وقوله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ (الأحزاب، ٤٠)، وقوله تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ (الفتح، ٢٩).

وواضح من الآيات التي ذكر فيها اسم محمد عليه السلام التركيز على محمد الرسول، إذاً قد تكون سورة محمد هي **سورة رسالة محمد ومنهجه.**

وعند التأمل في السورة نجدها تركز على القتال في سبيل الله، ومجاهدة المعادين للدين، والقتال هو أهم طرق نصر هذا الدين ورفع كلمة الله ومنهجه، وهذا ما

تَبدَّى في حياة الرسول محمد ﷺ الذي كان **رمزاً للتضحية والفداء في نصرة الدين**، فقد شارك وقاد أو بعث في فترة عشر سنوات أكثر من ٢٧ غزوة، و٥٣ سرية قتالية، وهو الذي قال في الحديث الذي يرويه أبو هريرة رضي الله عنه: "والذي نفس محمد بيده! لولا أن يشق على المسلمين، ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله أبداً. ولكن لا أجد سعة فأحملهم. ولا يجدون سعة. ويشق عليهم أن يتخلفوا عني. والذي نفس محمد بيده! لوددت أن أغزو في سبيل الله فأقتل. ثم أغزو فأقتل. ثم أغزو فأقتل".(١)

ويبرز في السورة الحديث عن تطمين الله تعالى للمؤمنين أتباع محمد ﷺ ، بالنصر والتمكين والولاية وتثبيت الأقدام، كما يطمئنهم إلى عدم بلوغ الكافرين لأهدافهم ضد الدين، ولكن السورة تبين أن هذا النصر يأتي بعد الاختبار والامتحان، ليستلم الراية الصادقون في اتباعهم لمحمد ﷺ ، والمستعدون لبذل الغالي والنفيس من أجل نصرة الدين، كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ﴾ (٤)، وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ (٧)، وقوله تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴾ (٣١)، كما نهت الآية (٣٥) عن الوهن والدعوة إلى السلم في حالة الضعف في قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ ﴾، وبينت الآية (٢٢) أن التخلي عن القتال من أجل نصرة الدين يؤدي

(١) مسلم، ١٨٧٦، كتاب الإمارة، باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله.

إلى الفساد والشرور، في قوله تعالى: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾، وختمت السورة بتحذير المؤمنين من التخلي عن نصرة الدين في قوله تعالى: ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم ﴾ (٣٨).

وتتناول السورة الحديث عن المنافقين وخوفهم من القتال ومهادنتهم للكفار، وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ﴾ (٢٠)، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴾ (٢٥-٢٦).

كما إن السورة تشير إلى ضرورة تدبر القرآن الكريم منهج محمد ﷺ ، الذي هو معجزة فكرية إلى يوم الدين، وعلى الرغم من عظمة هذا القرآن، فإن من البشر من لا يصل إلى حقائقه لوجود الموانع الصارفة عن فهمه التي تتمثل بالأقفال القلبية الناتجة عن السلوكيات المنحرفة، قال تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴾ (١٦)، وقوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ (٢٤).

وقد برز في السورة المقابلة بين أتباع رسالة محمد ﷺ وبين الصادين عنها، وهذه المقابلة لم تتضح بهذا الشكل في غير هذه السورة، وتتمثل هذه المقابلة في العرض الآتي:

أتباع رسالة محمد ﷺ	الكافرون والصادون عن الرسالة المحمدية
﴿ٱتَّبَعُواْ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ (٣)	﴿ٱتَّبَعُواْ ٱلْبَٰطِلَ﴾ (٣)
﴿كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ (٢)	﴿فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾، (٣٤)
﴿وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ (٢)	﴿فَتَعْسًا لَّهُمْ﴾ (٨)
﴿يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (٧)	﴿دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾، ﴿فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾ (١٣)
﴿سَيَهْدِيهِمْ﴾ (٥)	﴿أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ (١)
﴿زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾ (١٧)	﴿طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ (١٦)
﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ (١١)	﴿وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ (١١)
﴿كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ (١٤)	﴿زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُم﴾ (١٤)
﴿يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ﴾ (١٢)	﴿وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ (١٢)

﴿ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ﴾ (١٥)	﴿ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴾ (١٥)

هداية السورة:

مناهج الكفر تقود إلى الضلال وبطلان الأعمال،
ومنهج الإيمان يصلح البال والأعمال،
وسيرة الرسول ﷺ تمثيل عملي لمنهج الإسلام الحق، كما أن تَمثُّل المؤمنين لمنهج محمد ﷺ يؤدي إلى انتصارهم وهزيمة أعدائهم

- يشير قوله تعالى في السورة: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ (١٩) يشير إلى أن التوحيد الحقيقي أساس منهج محمد ﷺ ، كما تشير إلى أهمية العلم كأساس للعمل.
- أنواع الشراب المذكورة في السورة مصفاة خالية من الكدر والشوائب، وهذا يتناسب مع إخلاص المؤمنين في نصرة دينهم.

(٣٤) سورة الفتح

مدنية، عدد آياتها ٢٩، ورقمها ٤٨

يقول ابن فارس: "الفاء والتاء والحاء أصل صحيح يدل على خلاف الإغلاق ... والفتح: النصر والإظفار".[١]

يقول المصطفوي: "الأصل الواحد في المادة هو ما يقابل الإغلاق، أي رفع الإغلاق السدّ والحجب، وهذا المعنى يختلف باختلاف الموارد والموضوعات مادياً ومعنوياً... فالفتح المطلق كما في: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ (١-٣). يراد الفتح المطلق في مسير الرسالة وإجراء وظائف النبوة وإبلاغ الأحكام الإلهية، برفع الموانع المادية والمعنوية وكشف المغلَقات وإزالة الأسداد، ثم التقوية والنصر. فالمغفرة وإتمام النعمة والهداية والنصر من لوازم الفتح وآثاره".[٢]

تتحدث السورة عن أحداث صلح الحديبية وما تبعه، حيث اعتبرته السورة الفتح المبين، وذلك للإشارة إلى أهمية نتائج صلح الحديبية على الدعوة الإسلامية بفتح المغاليق أمامها، وإزالة الحواجز أمام الإسلام وتصاعده، وأن أهل الدين بدأت لهم مرحلة الصعود والظهور، كما جاء في الآية قبل الأخيرة في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ

---

(١) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ج٢، ٣٣٨)

(٢) التحقيق في كلمات القرآن الكريم، المصطفوي (ج٩، ص ١٤):

شَهِيدًا ﴾ (٢٨)، وكانت الآية الأخيرة تصويراً لحالة التصاعد الإيماني وتمكن الفكرة الإسلامية.

عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: "تعدون أنتم الفتح فتح مكة، وقد كان فتح مكة فتحاً، ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية..".[١]

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "لما نزلت: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ ﴾ إلى قوله: ﴿ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾. (الفتح ١-٥) مرجعه من الحديبية وهم يخالطهم الحزن والكآبة. وقد نحر الهدى بالحديبية. فقال: "لقد أنزلت على آية هي أحب إلي من الدنيا جميعاً".[٢]

وينقل القاسمي عن الزهري رحمه الله قوله في تفسير قوله تعالى ﴿ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ (١٨): "وما فُتح في الإسلام فتح كان أعظم منه، إنما كان القتال حيث التقى الناس. فلما كانت الهدنة، وضعت الحرب أو أمن الناس كلهم بعضهم بعضاً، فالتقوا، فتفاوضوا في الحديث والمنازعة، فلم يُكَلَّم أحد بالإسلام، يعقل شيئاً، إلا دخل فيه. فلقد دخل في تينك السنتين في الإسلام مثل ما كان في الإسلام قبل ذلك أو أكثر".[٣]

ورد اسم السورة في الآية الأولى في قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾، وفي الآية (١٨) في قوله تعالى: ﴿ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾، وفي الآية (٢٧) في قوله تعالى:

---

(١) صحيح البخاري، محمد اسماعيل البخاري (٤١٥٠، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية).

(٢) صحيح مسلم، مسلم النيسابوري (حديث ١٧٨٦، كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحيبية في الحديبية).

(٣) محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي (ج٨، ص٤٠٩)

﴿ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾، ولكن اسم السورة جاء معرفاً (الفتح)، مما يدل على أن السورة تتخذ من صلح الحديبية نموذجاً لكل واقعة مماثلة، فالسورة تعريف بالفتح: متطلباته ونتائجه، ويظهر تناول السورة لهذا الأمر من خلال العرض الآتي:

١. الفتح من الله: تعرف السورة بقدرة الله الفاتح للمغاليق، حيث تنسب الفتح له سبحانه وتعالى ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ (١)، ثم تؤكد عدة آيات من السورة قدرة الله المطلقة لتأكيد هذا المعنى ، ومن هذه الآيات: ﴿ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴾ (٣)، ﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (٤، ٧)، ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (١٤)، ﴿ وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ ﴾ (٢٠)، ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ﴾ (٢٤)، ﴿ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ﴾ (٢٧)، ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ (٢٨).

٢. أهل الفتح: تحدثت السورة في مواضع مختلفة عن الذين استحقوا هذا الفتح المبين، وقد ذكرت صفاهم التي تمثلت بما يأتي:

- الإيمان المتزايد: ﴿ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ﴾ (٤)، ﴿ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾ (٢٠).
- مناصرة الله ودينه: ﴿ وَتُعَزِّرُوهُ ﴾ (٩)، ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ (٢٩).

- الوفاء بالعهود مع الله والالتزام بكلمة التقوى: ﴿ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾ (٩)، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَـٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (١٠)، ﴿ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ ﴾ (٢٦).
- طاعة الله ورسوله: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ ﴾ (١٧).
- اطمئنان القلوب وطهارتها: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٤)، ﴿ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ ﴾ (١٨)، ﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢٦).
- الشدة على الكفار: ﴿ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ ﴾ (٢٩).
- التراحم بينهم: ﴿ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ (٢٩).
- كثرة التقرب إلى الله بالركوع والسجود والتسبيح المستمر: ﴿ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ (٩)، ﴿ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا ﴾ (٢٩).
- ابتغاء الرضوان من الله تعالى: ﴿ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ ﴾ (٢٩).
- صلاح الأعمال: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ﴾ (٢٩).

وتعرضت السورة لأحوال المنافقين والمشركين لإظهار الصفات السلبية للذين لا يستحقون الفتح من الله تعالى، وهي بذلك تحذر المؤمنين من هذه الصفات أو أي منها، وهذه الصفات هي:

- الظن السيء بالله تعالى: ﴿ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ﴾ (٦)، ﴿ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ﴾ (١٢).
- الانشغال بالمال والأهل عن نصرة الله ودينه: ﴿ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا ﴾ (١١).
- الجبن والخور: ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ ﴾ (١٦)، ﴿ وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ (٢٢).
- الكذب: ﴿ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ﴾ (١١).
- المزاجية والحرص على المكاسب المادية: ﴿ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ﴾ (١٥)، وهي صفة ملازمة لهم، ولكنها تظهر بوضوح بعد الفتح، لذا لا بد من أن يحذر المؤمنون وأن لا يعطى للناس دور إلا بعد اختبار يدل على صدق انتمائهم للحق.
- قلة الإدراك لحقائق الأشياء: ﴿ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (١٥).
- تقديم المصالح على ما يعتبرونه قِيماً عُليا: ﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ﴾ (٢٥).

هداية السورة:

الذين يفتحون قلوبهم لله عز وجل يفتح الله لهم البلاد وقلوب العباد وأبواب الخير، والذين يغلقون قلوبهم عن هداية الخير تُغلَق أمامهم الأبواب والأسباب

(٣٥) سورة الحجرات

مدنية، عدد آياها ١٨، ورقمها ٤٩

الحجرات: بيوت النبي ﷺ التي كانت تسكنها أمهات المؤمنين الطاهرات رضوان الله عليهن، ولم ترد هذه الكلمة في غير هذه السورة وإنما ورد ذكر (بيوت النبي) ﷺ مرة واحدة في (الأحزاب: ٥٣).

يقول ابن فارس: "الحاء والجيم والراء أصل واحد مطرد، وهو المنع والإحاطة على الشيء".(١) ويقول الرازي: "الحجرة حظيرة الإبل ومنه حجرة الدار تقول احتجر حجرة: أي اتخذها، والجمع (حُجَر) كغرفة وغرَف و(حجرات) بضم الجيم، والحِجر: العقل، قال تعالى: ﴿ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴾ (الفجر:٥)".(٢) ويقول الأصفهاني: "وتُصور من الحجر معنى المنع لما يحصل فيه، فقيل للعقل حِجْر لكون الإنسان في منع منه مما تدعو إليه نفسه"،(٣) وقال الحلبي: "أصل المادة يدل على المانع منه... والحجرة من البيت لما حُوّط به عليها من الدار، قال تعالى: ﴿ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ ﴾، أو لأنها تمنع من فيها، والأول أشبه... وسمي ما أحيط به من الحجارة حِجراً فعل بمعنى مفعول كالذِّبح، وبه سمي حجر الكعبة، ثم أطلق على كل ممنوع".(٤)

---

(١) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ج١، ٣٣٦)

(٢) مختار الصحاح، الرازي (ص ٧٦)

(٣) المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد الأصفهاني (ص ١٠٨)

(٤) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، أحمد بن يوسف الحلبي (ج١، ٤٣٣)

كما أصبح معروفاً ما يسمى بالحَجْر الصحي لأصحاب الأمراض المعدية، وفي الفقه الحَجْر على أموال السفهاء بمنعهم من التصرف في أموالهم.

يستفاد **من معنى المنع** وجود الضوابط ومنع التجاوز، وتتضمن السورة حقائق التربية الأخلاقية التي هي أهم أسس المدينة الفاضلة حتى سماها بعض المفسرين "سورة الأخلاق"، ويتضح ذلك من خلال العرض الآتي للسورة:

١. الآيات (١-٥) تضبط العلاقة مع النبي ﷺ فتمنع تجاوز أمره وحتى رفع الصوت أمامه، قال تعالى: ﴿ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ (١)، ﴿ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ ﴾ (٢).

٢. الآية (٦) منع التجاوز في الحكم على الآخرين مما قد يؤدي إلى إيذائهم، قال تعالى: ﴿ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴾.

٣. الآية (٩): منع أي فئة من التجاوز والاعتداء في المجتمع على الآخرين، قال تعالى: ﴿ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى ﴾.

٤. الآيات (١٠-١٢): ضبط العلاقات داخل المجتمع، بما يمنع الاعتداء على أعراض وخصوصيات الآخرين، قال تعالى: ﴿ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ ﴾، ﴿ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ﴾، ﴿ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ﴾، ﴿ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ ﴾، ﴿ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ ﴾، ﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ﴾.

٥. الآية (١٣): ضبط القيم، بالتذكير بالأصل، الواحد بما يمنع التكبر على الآخرين، وإعلان أن الكرامة الحقيقية في ميزان الله لأهل لتقوى، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾.

٦. الآيات (١٤-١٥): تضبط مصطلح الإيمان على اعتبار أنه الوازع الحقيقي لينضبط الإنسان ويمتنع عن الاعتداء على الآخرين، قال تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾، ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، ومما يؤكد ذلك كثرة النداء بـــ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ في السورة.

٧. وختمت السورة في الآيات (١٦-١٨) ببيان علم الله الواسع الذي يقتضي أن في تشريعاته ما يصلح البشر والمجتمعات، كما في ذلك إشارة إلى اطلاع الله سبحانه وتعالى على أعمال الناس، وبالتالي مقدار التزامهم بالضوابط التي حددها لهم.

ويُضاف إلى المعنى اللغوي للحجرات **معنى اعتباري** وهو: بيوت النبي ﷺ وفي ذلك تأكيد على خصوصيته ومكانته ﷺ والتشديد على توقيره، بل واعتبار ذلك من أساسيات الإيمان، قال تعالى: ﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (٢)، والإشارة إلى أن توجيهاته عليه السلام وخاصة في ضبط

العلاقات هي مانع من الشرور والمشقة للمجتمع، قال تعالى: ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ ﴾ (٧).

ويخلص **أستاذنا** لدى مراجعته للبحث إلى القول: "إن الحجرات ترمز إلى الخصوصية التي يجب أن تُحفظ وتُحترم، وترمز إلى الحُرُمات التي ينبغي أن تُحفظ ولا تنتهك، وفي حالة مراعاة ذلك كلّه نكون قد أحطنا المجتمع بما يحفظ كيانه".

هداية الاسم:

التزام المجتمع بعدم التجاوز للضوابط الربانية في العلاقات يحفظ كيانه

(٣٦) سورة الذاريات
مكية عدد آياتها ٦٠، ورقمها ٥١

يقول ابن فارس: "الذال والراء والحرف المعتل أصلان: أحدهما الشيءُ يشرف على الشيء ويظلّه، والآخر الشيء يتساقط متفرقاً".[١] والذروة هي المنطقة الأعلى يقول الأصفهاني: "ذروة السنام وذراه أعلاه، ومنه قيل أنا في ذراك: اي في أعلى مكان من جنابك".[٢] ويقول ابن منظور في معنى الذاريات: "وذرت الريح التراب وغيره تذروه وتذريه ذرواً وذرياً وأذرته وذرّته: أطارته وسفته وأذهبته، وقيل: حملته فأثارته وأذرته... ﴿ وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ﴾: يعني الرياح".[٣] وفسر الحلبي قوله تعالى: ﴿ تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ ﴾ (الكهف: ٤٥): "أي أنها ترفعه وتفرقه".[٤]

ولأن الرياح عنوان للمطر والخير والرزق كما ورد في آيات متعددة في القرآن الكريم، يمكن القول إن اسم السورة فيه دلالة على **الرزق والخيرالمنتشر**، والمتدبر للسورة يجد أن موضوع الرزق هو الموضوع الأساس في السورة، ويتضح ذلك من خلال العرض الآتي:

---

(١) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ج١، ٤٤٣)

(٢) المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد الأصفهاني (ص ١٧٨)

(٣) لسان العرب، ابن منظور (١٤، ٣٥٢)

(٤) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، أحمد بن يوسف الحلبي (ج٢، ٤٠)

١. ورد في السورة أبلغ قول في ربط الرزق بالله تعالى وتحقق وصوله للخلق، قال تعالى: ﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ۝٢٢ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ ﴾ (٢٢-٢٣)، ويتضح من الآيتين:

- تقديم ﴿ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ على الرزق للدلالة على الاختصاص، فليس من رزق غير مربوط بالسماء.
- القسم برب السماء والأرض، وهذا قسم عظيم، على موضوع الرزق.
- تشبيه الرزق بالنطق الذي يلمسه كل أحد ولا يشك فيه شاك، وقد ورد في (الآية ٥) قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٞ ﴾، وذلك مباشرة بعد القسم بالرياح وغيرها، والرزق مما وعد الله به عباده.

٢. الحديث في السورة عن الكرم والإنفاق، فالكرم نشر للخير وثقة من صاحبه بصدق وعد الله تعالى، ويظهر ذلك في قصة إبراهيم عليه السلام في الآيات حيث سارع في إكرام ضيوفه وإحضاره العجل الحنيذ وإصراره عليهم بالأكل، قال تعالى: ﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ۝٢٦ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ قَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ﴾(٢٦-٢٧). كما يظهر ذلك في الحديث عن المتقين الذين يبشرهم الله بالجنة حيث وصفهم الله تعالى بالمحسنين: ﴿ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُحۡسِنِينَ ﴾ (١٦)، وفي هذا إشارة إلى عطائهم وكرمهم، كما ذكر أن من صفاتهم: ﴿ وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ﴾ (١٩).

٣. أقسم الله تعالى في السورة بالسماء ذات الحبك التي هي مصدر الرزق، والحبك فيه معنى المتانة والإتقان، قال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ﴾ (٧)، كما تحدثت آيات السورة عن سعة خلق الله، وهو مما سخر الله لعباده، ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (٤٧-٤٩)، فنعمه سبحانه غير محصورة وهي مسهلة للعباد، فلا ييأس من يبتغي عند الله الرزق.

٤. في نهاية السورة كان الإعلان من الله أنه لا يريد من عباده إطعاماً ولا رزقاً، فهو سبحانه الرزاق ذو القوة، وصفة الرزاق صيغة مبالغة، وهو ذو القوة المتين الذي لا يخشى على رزقه من الضياع، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ (٥٦-٥٨).

ويضيف **أستاذنا** لدى مراجعته للبحث تعقيباً على دلالة تسمية السورة بالذاريات فيقول:

"الذاريات من الذرو الذي فيه معنى الرفع والتفريق، والذاريات هي الرياح التي عندما تهب ترفع وتفرق، وعلى وجه الخصوص ذرات الماء، ثم لا تلبث أن تجمع ذلك في سحب مثقلة بالماء تسوقها برفق ويسر إلى حيث قضى الله تعالى أن تنزل.

وكون الريح تجري بيسر؛ يُشعر أن الآيات الكريمة لا تتحدث عن العواصف المدمرة، وإنما عن الريح التي تُبشر بالمطر الذي يترل فيصيب وفق ما هو مقسوم، فمن الأرض ما يمسك الماء ومنها الصلد الذي لا يُنبت، ومنها ما لا يُمسك فيغور الماء ولا ينبت.

وكما تُرسل الرياح فتثير سحاباً يُساق ليُسقط المطر وفق التقدير المقسوم، يُرسل الله تعالى الرسل والدعاة فيحملون الدعوة التي فيها الرحمة إلى الخلق الذين تتفاوت قابليتهم وتفاعلهم مع الرحمة النازلة".

هداية الاسم:

تذكير المؤمن بأن الله هو الرزاق الحقيقي، وأن لا يتكل على الأسباب المادية الظاهرة

(٣٧) سورة الطور

مكية، عدد آياتها ٤٩، ورقمها ٥٢

بدأ الله تعالى السورة الكريمة بالقسم بالطور، وهو الجبل الذي كلم الله تعالى عليه موسى عليه السلام، ونال ذلك الجبل من الأنوار والتجليات والفيوضات الإلهية ما جعله مكاناً وبقعة مشرفة. وقد وردت كلمة الطور في القرآن الكريم في تسعة مواضع أخرى غير هذه السورة، ولم ترد إلا في الجبل المخصوص الذي اختصه الله بتجلّيات، حيث ذكرت الآيات الكريمة أن الطور منبت الشجرة المباركة (الزيتونة) في قوله تعالى: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْأَكِلِينَ﴾ (المؤمنون:٢٠)، وعنده تجلى الله تعالى لموسى عليه السلام وناداه وكلّمه في قوله تعالى: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا﴾ (مريم:٥٢)، وعنده أعطاه الألواح وواعده وواعد قومه كما جاء في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ﴾ (طه:٨٠)، وفي المقابل عنده كان الصعق لموسى عليه السلام ثم لقومه (الأعراف:١٤٣-١٥٥)، وعنده أُخذ الميثاق على قومه بالتهديد والإجبار برفع الجبل فوقهم كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ (البقرة: ٩٣)، كما أقسم الله به مرة أخرى في سورة التين في قوله تعالى: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ﴾ (التين:١-٢).

ويستنتج **أستاذنا** لدى مراجعته للبحث من خلال الآيات التي ورد فيها ذكر الطور أن: "عنده كانت دواعي الإقبال والقبول، وانتفت دواعي الإدبار والنفور، وعنده كان الإنذار الذي لا يرد، وعنده كان الحفظ والرعاية".

وهذه المعاني التي استنتجها **أستاذنا** مبثوثة في السورة على النحو الآتي:

١. الآيات (١-٦) أقسم الله تعالى مع الطور بأمور عظيمة ومقدسة، وكأنه بذلك يلفت الانتباه إلى مواطن إجابة الدعاء ومواطن الحاجة إلى الله تعالى، فالله مترل الكتاب المسطور، وهو رب البيت المعمور في السماء الذي يعمره من يعظمون الله الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض، وهو خالق البحر المسجور، وقد وردت آيات كثيرة تشير إلى دعاء البشر رهم في البحر واستغاثتهم به واستجابة الله لهم، وكان فيه دعاء يونس عليه السلام.

٢. الآيات (٧-١٦) يتجلى فيها الإنذار الذي لا يرد والمقاومة التي لا تفلح، فعذاب الله واقع ليس له دافع، والكفار يُدعُّون إلى نار جهنم دعًّا، ويُبكِّتهم الله تعالى بقوله: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ﴿٧﴾ إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴿٩﴾ قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾ يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٢﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ﴾.

٣. الآيات (١٧-٢٨) فيها بيان جزاء المشفقين من الله تعالى والمقبلين عليه بالدعاء خوفاً وطمعاً، واللاّفت للنظر أن الله تعالى أطال في بيان جزاء المؤمنين وفصّل

فيه أكثر مما فصل في بيان جزاء الكافرين، ويبدو ذلك متناسقاً مع اسم السورة، حيث إن الطور كان ابتداءً مكان القبول والمناجاة لموسى عليه السلام.

٤. الآيات (٢٩-٤٧) فيها التهديد والوعيد، وفيها بيان قدرة الله تعالى وتحكّمه في الخلق، كما أنها تُبين عجز المشركين وضعفهم.

٥. أما ختام السورة، الآيات (٤٨-٤٩)، ففيه طمأنة للرسول الكريم محمد ﷺ، وبيان عناية الله تعالى له، وتوجيه للتسبيح والاستعانة بالله تعالى.

وإذا نظرنا إلى اسم السورة على أن المقصود به **مطلق الجبل**، فيكون من معاني الاسم **الارتفاع**، ويتضح الارتفاع في ذكر ﴿ وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ ﴾ (٥)، كما أن الآيات (١١-٢٨) تذكر نموذجين من البشر نموذج المرتفعين الذين منّ الله عليهم وأكرمهم أيّما إكرام في الجنة، فقد كانوا كما وصفتهم الآيات: ﴿ إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا مُشۡفِقِينَ ﴾ (٢٦)، ﴿ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلُ نَدۡعُوهُۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (٢٨). ونموذج الكفار حيث عرَّضت الآيات بالكفار الذين ابتغوا الرفعة بغير دين الله فوصفتهم بأنهم: ﴿ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي خَوۡضٍ يَلۡعَبُونَ ﴾ (١٢)، كما أنهم: ﴿ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴾ (١٣)، وفي الدع إلقاء إلى الأسفل وهذا مناسب لما اختاروه في الدنيا.

وتتناول الآيات (٢٩-٤٩) مواطن عدة فيها التشريف والعلو كما أن فيها السفول والانحطاط، ويظهر التشريف والعلو بالقَسم: ﴿ بِنِعۡمَتِ رَبِّكَ ﴾،

وقوله: ﴿ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾، وفي ذلك تشريف للنبي عليه السلام، كما نفى عنه ما يُنقص من مكانته من تهم باطلة أشاعها الكفار بأنه شاعر ومجنون، كما يظهر السفول والانحطاط بتعريض الآيات بالكفار كما في قوله تعالى ﴿ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ﴾ (٣٨)، وكذلك قوله: ﴿ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴾ (٤١)، كما وصفت الآية (٤٧) أكثرهم بالجهل وعدم العلم في قوله تعالى: ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾.

هداية السورة:

الشعور بالخضوع لله العظيم طريق الرفعة في الدنيا والآخرة

- عند أهل اللغة لا يسمى الجبل طوراً حتى يكون ذا شجر.
- عند الطور كان الصعق والموت في مقابلة التكذيب، ثم كان البعث رحمة، وقد كان صعق موسى عليه السلام -الذي قدم الموعد مشتاقاً للقاء ربه- بفقدان الوعي لعدم احتماله رؤية الأنوار الربانية، أما قومه فصعقوا لتكذيبهم وتعنتهم فماتوا ثم بعثوا استجابة لدعاء موسى الرسول الهادي.
- من اللطائف في الآيتين الأخيرتين في سورة الطور أن الله تعالى خاطب محمداً ﷺ بقوله: ﴿ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ ، ولقد كان الخطاب لموسى عليه السلام عند الطور ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴾ (طه:٣٩)، فيعلق القاسمي على ذلك بقوله: "ونكتة جمع (العين) هنا وإفرادها في قصة الكليم، هو المبالغة في الحفظ، حتى كأن معه جماعة حفظة له بأعينهم، لأن المقصود تصبير حبيبه على المكايد ومشاق التكاليف والطاعة، فناسب الجمع"،[1] فهذا بيان لمكانة نبينا ﷺ وتشريف له.

---

(١) محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي (ج٨، ٥٠٨)

(٣٨) سورة النجم

مكية عدد آياتها ٦٢، ورقمها ٥٣

يقول المصطفوي: "الأصل الواحد في المادة: هو ظهور إلى جهة علو".[١] وفي النجم إنارة، وكان تسمية السورة بأول كلمة فيها، وأول ما يخطر ببال القارئ عند سماع اسم النجم: **العلو والكشف والتنوير**، إلا أن القسم في بداية السورة كما يقول أستاذنا لدى مراجعته للبحث؛ كان بالنجم إذا هوى، والهويّ يعني: **السقوط والانحدار والهبوط أو المغيب**، ولذلك فإن القسم يحمل معنى آخر يمكن أن يفسر اسم السورة، ويمكن توضيح المعنيين كما يأتي:

المعنى الأول: العلو والكشف والتنوير، فنجد أنه مرتبط مع آيات السورة، وذلك على النحو الآتي:

١. العلو: علو مكانة النبي ﷺ حيث تتحدث الآيات (١-١٨) عن حادثة المعراج التي رأى فيها من آيات ربه الكبرى، وكان في هذه الحادثة ما فيها من التكريم ورفع الشأن له ﷺ.

وكذلك فإن الله يرفع مقام المؤمنين والمحسنين والمتقين حيث يجزيهم بالحسنى، وذلك في الآيتين (٣١، ٣٢)، أما الآية الأخيرة فقد أمرت بالسجود الذي هو أقرب الأحوال إلى الله تعالى، فما يسجد الإنسان سجدة لله إلا رفعه الله بها.

---

(١) التحقيق في كلمات القرآن الكريم، المصطفوي (ج١٢، ٤٤)

٢. الكشف: كشفت السورة زيف معتقدات الكفار ووهنها وذلك في الآيات (١٩-٣٠)، (٣٣-٣٥)، مثل قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ﴾ (٣٠)، ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴾ (٢٨)، ﴿ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴾ (٣٥).

٣. التنوير: إبراهيم وموسى عليهما السلام نجمان في التاريخ، وفي صحفهما من الإضاءة ما أنار دروب البشر كما ذكرت الآيات (٣٧-٥٤).

وأما المعنى الثاني الذي أشار إليه **أستاذنا** فقد أكدت الآيات على سقوط وتهافت الاعتقادات السائدة بين البشر حول كون النجوم والكواكب هي المتحكمة في حياة كل شخص، فقد ساد الاعتقاد بأن مواضع النجوم السماوية يمكن أن يساعد في تفسير أحداث الماضي والحاضر والمستقبل، وأن لا حرية للإنسان أمام الحتميات الفلكية.

وعند استعراض السورة نجد المعنى الذي أشار إليه **أستاذنا** من خلال الحديث عن الوحي المرتبط بالله تعالى في الآيات (٢-١٨)، وكذلك عبر تأكيد سيطرة الله تعالى المطلقة على كل شيء في الكون، وأن مصائر الأمم والأشياء بيده وحده سبحانه وذلك في الآيات (٢٤-٢٦) مثل قوله تعالى: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾ (٢٦)، وكذلك في الآيات (٣٦-٥٦) مثل قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴾ (٤٣)، ومن ضمن الآيات السابقة قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴾ (٤٩)، والشعرى من أشهر

النجوم عند العرب، وقد عبده بعضهم، كما استند المكذبون للرسل بأن لديهم علم الغيب المتعلق بالنجوم – كما فعل فرعون–، وتأتي السورة لتؤكد أن الوحي الإلهي هو الذي يكشف الحقائق ويبين أن المصائر على ضوء الأعمال، وأن الله عز وجل هو مالك كل شيء وواهبه، وأنه رب النجوم التي يُنسب إليها التأثير.

قال البقاعي تعقيباً على السورة: "مقصودها ذم الهوى لإنتاجه الضلال والعمى بالإخلاد إلى الدنيا التي هي دار الكدور والبلاء، والتصرم والفناء، ومدح العلم لإثماره الهدى في الإقبال على الأخرى لأنها دار البقاء في السعادة أو الشقاء، والحث على اتباع النبي ﷺ ".[1]

هداية الاسم:

النجوم والأفلاك ليست مصدراً للعلم،
ولا تؤثر في حياة البشر، والوحي الإلهي هو مصدر الحقيقة والهداية

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي (ج٧، ٣١٢)

(٣٩) سورة الرحمن

مدنية عدد آياتها ٧٨، ورقمها ٥٥

الرحمن اسم من أسماء الله تعالى الخاصة، التي لا يجوز أن يُسمّى بها غيره، وهو مشتق من الرحمة، وهو أشد مبالغة من الرحيم، لأن الرحمن هو ذو الرحمة الشاملة لجميع الخلائق في الدنيا وللمؤمنين في الآخرة، والرحيم ذو الرحمة للمؤمنين يوم القيامة، وعلى هذا أكثر العلماء.

قال الطبري: "التسمية بالرحمن موصوف بعموم الرحمة لجميع خلقه".(١) ويقول المصطفوي: "الرحمن: يدل على ملء وحرارة ووفور مادياً ومعنوياً".(٢)

يقول البقاعي: "ومن مقتضى اسم (الرحمن) انبثّت جميع النعم، ولذا ذكرت في هذه السورة أمّهات النعم في الدارين".(٣)

فتسمية السورة بالرحمن للتعريف برحمته العظيمة سبحانه التي تتجلى **بفيض النعم على العباد في الدنيا والآخرة**، ومن أبرز هذه النعم وأجلها تعليمه القرآن لما فيه من إنقاذ للبشر في الدنيا والآخرة، كما أن تعليم البيان ووضع الميزان العادل هما أساسان للحضارة البشرية.

والملاحظ أن اسم الرحمن لم يرد في سورة الرحمن إلا في الآية الأولى فقط، وكأن تسمية السورة بهذا الاسم فيه تعريف بهذا الاسم العظيم من أسماء الله تعالى،

---

(١) تفسير الطبري (جامع البيان عن تاويل القرآن)، محمد بن جرير الطبري (ج١، ٨٥).

(٢) التحقيق في كلمات القرآن الكريم، المصطفوي (ج٤، ٩٨)

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي (ج٧، ٣٧٢)

وعند دراسة آيات السورة يلاحظ أنها تدور حول معاني: **الهيبة والجلال، والرعاية والإكرام والحفظ، والإحكام والإتقان للخلق**، وكأنه يريد أن يقول لنا إنها لازمة لاسم الرحمن جل جلاله، وبالنظر إلى الآيات التي ورد فيها اسم الرحمن في القرآن الكريم يمكن ملاحظة المعاني السابقة.

ومن آيات السورة الدالة على هذه المعاني للاسم ما يأتي:

١. **معنى الهيبة والجلال:**

- ﴿ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ﴾ (٦).
- ﴿ كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ﴿٢٦﴾ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴾ (٢٦-٢٧).
- ﴿ سَنَفۡرُغُ لَكُمۡ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴾ (٣١).
- ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ﴾ (٣٣).
- ﴿ فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُسۡـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٞ وَلَا جَآنّٞ ﴾ (٣٩).
- ﴿ يُعۡرَفُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ بِسِيمَٰهُمۡ فَيُؤۡخَذُ بِٱلنَّوَٰصِي وَٱلۡأَقۡدَامِ ﴾ (٤١).
- ﴿ وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ (٤٦).
- ﴿ تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴾ (٧٨).

٢. **الرعاية والإكرام والحفظ**: يمكن ملاحظته بشكل واضح في الآيات الأولى التي تتحدث عن نعم الله على الإنسان في الدنيا، من تعليم القرآن، وخلق الإنسان، وتعليم البيان، وتسخير السماء والأرض والبحار وما فيها له، أما

في الآخرة فالفضل والإكرام يتجلى بشكل كبير وهو يتحدث عن ما أعد للمؤمنين في الجنة في الآيات (٤٦-٧٦).

٣. **الإحكام والإتقان للخلق**: فيظهر جلياً في الآيات الآتية:

- ﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴾ (٧).
- ﴿ وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴾ (١٠).
- ﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝١٩ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴾ (١٩-٢٠).

ويضيف **أستاذنا** لدى مراجعته للبحث تعقيباً على دلالات اسم السورة بقوله:

- السورة تُعرِّف بمعنى الرحمن، الذي هو أبلغ من الرحيم.
- النظام الكوني قائم على رحمة الله تعالى بالكائنات.
- من الرحمة إصلاح الخلل ومنع حدوثه في الكون البديع، ومن هنا كانت العقوبة، فالرحمن حيث الرحمة أبلغ تقتضي العدل ومنع الخلل، ومن ذلك قولهم:

فقسا ليزدجروا ومن يك حازماً   فليقس أحياناً على من يرحم

هداية الاسم:

معرفة المؤمن لمعاني اسم الرحمن يدفعه للتخلق بما يناسبها من الشكر والخضوع والعزة وزيادة التقرب إليه سبحانه

- ورد اسم الرحمن في القرآن الكريم في (٥٧) موضعاً اشترك في (٦) مواضع مع اسم الرحيم وذلك في الفاتحة مرتين، وبسملة النمل (آية:٣٠)، وفي البقرة في قوله تعالى: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴾ (البقرة:١٦٣)، وفي سورة الحشر في معرض الحديث عن صفات الله تعالى وأسمائه الحسنى في قوله تعالى: ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴾ (الحشر:٢٢)، وفي سورة فصلت في قوله تعالى عن القرآن الكريم : ﴿ تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ (فصلت:٢)، ولم تشترك مع صفة أواسم آخر غيره، وفي جميع هذه المواضع تقدم اسم الرحمن على الرحيم.

أما اسم الرحمن منفرداً فقد ورد في السور: مريم (١٦) مرة، طه (٤) مرات، الأنبياء (٤) مرات، الفرقان (٥) مرات، يس (٤) مرات، الزخرف (٧) مرات، الملك (٤) مرات، النبأ (٢)، وفي كل من سور الرعد والإسراء والشعراء والرحمن (مرة واحدة).

أما اسم الرحيم فقد اقترن بشكل واضح ومتكرر مع الغفور والتواب، وفي غالبه كان بمعنى الرحمة المعهودة، وهي التلطف والمسامحة.

- تكرار آية ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ (٣١ مرة) تذكير بنعم الله تعالى الرحمن، وفيه استفهام استنكاري يتضمن التهديد.
- يلاحظ في السورة تقسيم لأهل الجنة إلى درجتين للإشارة إلى أن مضاعفة الرحمة ستكون لأصحاب الدرجات العالية، وكذلك التمكين لهم في الآخرة من حيث التقريب لهم.

(٤٠) سورة الحديد

مدنية، عدد آياڤا ٢٩، ورقمها ٥٧

يقول ابن فارس: "الحاء والدال أصلان: الأول المنع، والثاني طرف الشيء".[١] ويقول الأصفهاني: "الحد: الحاجز بين الشيئين.. وحد الزنا والخمر سمي به لكونه مانعاً لمتعاطيه عن معاودة مثله ومانعاً لغيره أن يسلك مسلكه".[٢] والحديد هو العنصر المعروف.

وقد ذُكر اسم السورة في الآية (٢٥) في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾.

وتتحدث الآية عن إنزال الحديد، وهو أمر يتعلق ببداية وجوده على الأرض، وأن فيه بأساً شديداً للدلالة على القوة والمنعة العسكرية، كما تشير إلى أن فيه منافع للناس، وهو ملاحظ في الجانب الاقتصادي حيث يعتبر استهلاك الدول للحديد دالاً على مقدار تطورها.

والملاحظ أن السورة مدنية وهي من أواخر ما نزل، فقد نزلت بعد فتح مكة بدليل قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟﴾ (١٠). بناءً على ما سبق فاسم السورة **هو رمز**

---

(١) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ج١، ٢٦٣)

(٢) المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد الأصفهاني (ص ١٠٩)

لقوة المجتمعات، عبر: تقوية المجتمع بالإنفاق والتكافل، وقوة العقيدة والاستقامة، ويظهر المعنيان السابقان في السورة على النحو الآتي:

١. تقوية المجتمع بالإنفاق والتكافل: فهناك دعوة واضحة متكررة للإنفاق وتعظيم شأن المنفقين، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾ (١٨)، ونجد المعنى في الآيات (٧)، (١٠)، (١١)، وفي المقابل ذم البخل في الآية (٢٤).

والملاحظ أن المجتمعات التي يتكافل أفرادها تكون قوية في مواجهة كل الأخطار، ويصعب كسرها أو إخضاعها حتى ولو هزمت في معركة عسكرية، كما يعينها هذا التكافل على الانتصار والسيادة.

٢. قوة العقيدة والاستقامة: فتظهر من خلال تثبيت حقيقة سيطرة الله تعالى على كل شيء، وأنه رب السموات والأرض وما فيهن. وقد ورد ذلك في الآيات (١-٦)، كما أشارت الآية (٩) إلى أن التزام المؤمنين بما أنزل الله تعالى سيؤدي إلى فوزهم في الآخرة، وقد حثت الآية (١٦) الذين آمنوا إلى أن تخشع قلوبهم إلى ذكر الله تعالى.

إن تعمق المعاني السابقة في قلب المؤمن يجعل إيمانه قوياً راسخاً، ويدفعه إلى نصرة الدين الحق وحمايته.

هداية الاسم:

قوة العقيدة والتكافل الاجتماعي **سبيل المجتمعات لنصرة الدين والانتصار على الأعداء**

(٤١) سورة المجادلة

مدنية عدد آياتها ٢٢، ورقمها ٥٨

اسمها التوقيقي سورة المجادلة بفتح الدال وكسرها، والمجادلة من الجدل، والجدل كما يقول ابن فارس: "الجيم والدال واللام أصل واحد، وهو من باب استحكام الشيء في استرسال يكون فيه، وامتداد الخصومة ومراجعة الكلام".(١) وصيغة المفاعلة تدل على إدامته. ويقول الحلبي: "وقيل: أصله من القوة، فكأن كُلاً من المتجادلين يُقوي ويُضعف قول صاحبه".(٢) فالمجادلة فيها تفاعل ويشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ﴾.

تفتتح السورة بقصة المرأة التي كانت تجادل النبي ﷺ في موضوع الظهار، وذلك في قوله تعالى: ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ (الآية ١)، لذلك فالسورة سُمّيت بناءً على القصة، وفتح الدال في الاسم للدلالة على موضوع الجدل وهو الظهار، كما أن كسر الدال للدلالة على الجدل ذاته، ويرجح **أستاذنا** أن عنوان السورة موضوع المجادلة وهو الظهار، وهذا ما يعززه الاسم الاجتهادي للسورة كما ذكر السيوطي في الإتقان: "المجادلة سميت في مصحف أبي الظهار".(٣)

---

(١) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ج١، ٢٢٢)

(٢) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، أحمد بن يوسف الحلبي (ج١، ٣٥٩)

(٣) الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، (ج١، ١٧٥)

والظهار هو أن يقول الرجل لزوجته "أنتِ عليّ كظهر أمي"، وهذا القول هو تبديل وتحريف في المفاهيم والأحكام، وهذا محادّة لله ورسوله، وكان تشريع الكفارة للدلالة على خطورة الظهار لما فيه من تحريف للمفاهيم.

ويشير **أستاذنا** إلى أن محاور السورة الأساسية تشير إلى هذا الأمر بوضوح وذلك على النحو الآتي:

١. بعد أن تناولت الآيات (١-٤) موضوع الظهار وكفارته خُتمت بقوله تعالى: ﴿ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٤)، تلتها الآية الخامسة فوراً بالحديث عن الذين يحادون الله ورسوله، للدلالة على أن الكافرين يحاربون الدين من خلال **تحريف** المفاهيم.

٢. تُبين الآية السابعة علم الله تعالى بما يكون بين الناس من نجوى، كما تحذر الآيات اللاحقة الذين يتناجون بالإثم والعدوان ومعصية الرسول، وما يصدر عن هذه النجوى من قضايا فيها معنى **التحريف** مثل تحية الرسول ﷺ بما لم يُحيِّه به الله تعالى.

٣. تُركز الآية (١١) على آداب مجالس العلم، لإظهار أهمية وخطورة هذه المجالس في الجدال والحوار المحتدم بين أهل الحق وأهل الباطل، فمجالس الشيطان التي تعمل على **تحريف** المفاهيم يُقابلها مجالس أهل الحق التي تعمل على **تثبيت** مفاهيم الحق وتجليتها وتوضيحها، وفي ذلك إشارة إلى **دور العلماء في معركة الحق مع المحادّين للدين.**

٤. الآيتان (١٢-١٣) تطلبان من المسلمين أن يقدموا بين يدي نجواهم للرسول ﷺ صدقة، وعندما لم يفعلوا بقي الطلب قائماً منهم أن يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وأن يطيعوا الله ورسوله، فكأن في ذلك إشارة إلى أن محاورة النصوص وما فيها من حق وخير للتصدي للباطل وحواره، يحتاج إلى قلوب طاهرة مُخبتة.

٥. يبدو ان من أسباب انحراف الإنسان نحو التحريف في المفاهيم والأحكام موالاة أهل الكفر، التي تعني الجلوس في مجالسهم والجدال عنهم ومناصرتهم، وفي المقابل فإن الآيات تُوكد على أن المؤمنين لا يوادون من حاد الله ورسوله، وهذا ما تناولته الآيات (١٤-٢٢).

أما **الدلالة الثانية** لاسم السورة وهو الجدل والحوار فقد يكون سبب التسمية للسورة نظراً للمحاور الآتية الواردة فيها المرتبطة بالجدال، وذلك على النحو الآتي:

١. في الجدال يسمع الناس الكلام وتبقى النوايا المتعددة في الباطن، فمنها نية الوصول إلى الحق، ومنها نية التشكيك فيه، لذا ركزت السورة على علم الله تعالى، فابتدأت بقوله تعالى: ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ ﴾، وقوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ ﴾ (٧)، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٧)، ﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (١١).

٢. الجدال قد يكون تعبيراً عند البعض عن التآمر في إبعاد الناس عن الخير، أو إرشادهم إلى الحق، فقد ذكرت الآيات (٨-١٠)، (١٢-١٣)، موضوع

النجوى في جانبي الخير والشر، كما تحدثت الآيات (١٤-١٩) عن المنافقين الذين يصدون عن سبيل الله تعالى.

٣. الجدال طريق مهم للعلم، قال الرسول ﷺ : ".. وحسن السؤال نصف العلم"،[1] والتدارس يثري العلم ويقويه، وقد تحدثت الآية (١١) عن العلم ورفع الله تعالى لأصحابه الدرجات.

٤. الجدال من وسائل الصراع، لذا قسمت الآيات (١٩-٢٢) الناس الذين يتصارعون حول الحقيقة إلى قسمين: حزب الشيطان وحزب الله، وبينت أن حزب الله هم الغالبون المفلحون، وأن حزب الشيطان هم الخاسرون الأذلون، وأما الإشارة إلى عدم مودة حزب الله للذين يحادون الله ورسوله فهو أمر متعلق بالمشاعر النفسية، ولا ينفي حصول الجدال بينهم، لأن الأصل في الأفكار المتعارضة الحوار الفكري والمجادلة بالحسنى.

هداية الاسم:

الجدال وسيلة لتثبيت وإظهار الحقائق، **وليس لتبديل وتحريف المفاهيم والأحكام**

• لفظ الجلالة ذكر في كل آيات سورة المجادلة مرة أو مرتين أو ثلاثاً، وجملة ما فيها من لفظ الجلالة خمس وثلاثون.

(١) كشف الخفاء ومزيل الإلباس، إسماعيل العجلوني (١/١٤٤)، له شواهد تقتضي حسنه.

(٤٢) سورة الممتحنة

مدنية عدد آياتها ١٣، ورقمها ٦٠

يقول ابن فارس: "المِحْن: الاختبار، ومحنه وامتحنه".[١] ويقول الأصفهاني: "المحن والامتحان: الابتلاء"،[٢] ويقول عن الابتلاء: "وإذا قيل ابتلى فلان كذا وأبلاه فذلك يتضمن أمرين: أحدهما تعرّف حاله والوقوف على ما يُجهل من أمره، والثاني ظهور جودته ورداءته، وربما قُصد به الأمران، وربما يُقصد به أحدهما".[٣] فالامتحان يهدف إلى الاختبار والكشف عن المخبوء في النفوس.

ورد اسم السورة في الآية (١٠) في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٖ فَٱمۡتَحِنُوهُنَّۖ ﴾، والناظر إلى السورة يجد أن آياتها تتمحور حول فكرة الامتحان، وبالذات في موضوع **الولاء للمجتمع الإيماني والبراء من الكافرين**، والاستعداد للتضحية من أجل هذا الولاء، وذلك على النحو الآتي:

- الآيات (١-٣): تنبه على ضرورة الحذر من موالاة الكافرين الذين يعادون الله ورسوله والمؤمنين، والتذكير أن يوم القيامة لن تنفع فيه الأرحام والأنساب، ولكن ينفع إخلاص الإنسان لله ومناصرته لدينه.

---

(١) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ج٢، ٥٠١)

(٢) المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد الأصفهاني (ص ٤٦٤)

(٣) المصدر السابق (ص ٦١)

- الآيات (٤-٦): تجعل من إبراهيم عليه السلام ومن معه من المؤمنين المخلصين مثلاً أعلى في الموالاة من أجل الله تعالى، وإعلان العداء للمشركين، مهما تكن درجة القرطكابة بينهم.
- الآيات (٧-٩): تؤسس معالم العلاقة مع الآخر، وفيها التأكيد على أن المعاداة يجب أن تقتصر على المعادين من الكفار، وفي ذلك ابتلاء لبعض المتشددين أو المتساهلين.
- الآيات (١٠-١٢): الدعوة إلى اختبار المؤمنات اللواتي قدمن المدينة من مكة، ثم الدعوة إلى قبول العهد منهن، وفي ذلك إعلان الولاء للتجمع الإيماني.
- الآية (١٣): ختمت السورة بالنهي عن تولي الكفار، وذلك للتأكيد على محور السورة (الولاء والبراء)، وأن هذا أعظم الامتحانات.

وقد أشار قطب إلى موضوع الولاء في تعقيبه على السورة بقوله: "كان يعالج مشكلة الأواصر القريبة، والعصبيات الصغيرة، وحرص الناس على مألوفاتها الموروثة ليخرج بها من هذا الضيق المحلي إلى الأفق العالمي الإنساني".[1]

ويلخص **أستاذنا** لدى مراجعته للبحث دلالة اسم السورة بقوله: "تدور معاني السورة على قضية الولاء، وهذا يعني أن الامتحان الحقيقي الذي يكشف عن حقيقة الإيمان وقوته هو امتحان الولاء لله وللمؤمنين وللقيم الإسلامية".

هداية الاسم:

تظهر حقيقة الإيمان بتقديم الولاء لله ودينه على كل الولاءات الأخرى

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن (ج٦، ٣٥٣٩)

(٤٣) سورة الصف

مدنية عدد آياتها ١٤، ورقمها ٦١

الصّف كما يقول الأصفهاني: "أن تجعل الشيء على خط مستو كالناس والأشجار ونحو ذلك"،[١] ويقول ابن منظور: "وصففت القوم فاصطفوا إذا أقمتهم في الحرب صفاً"،[٢] وجاء في التحقيق للمصطفوي: "الاصطفاف: إنما هو شعار الخدمة والاستسلام والطاعة الصرفة والخضوع التام، وهذا المعنى في الماديات إنما يتحقق بالوقوع على خط واحد ظاهري...".[٣]

وقد ورد اسم السورة في الآية (٤) من السورة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ﴾.

وقد جاءت تسمية السورة بالصف في الآية الواردة كتعبير عن القتال، ولم تُسمّ السورة بالقتال للإشارة إلى **الوضع الأمثل** في القتال الذي يقوم على الانضباط والوحدة القوية والتماسك والترابط، وهذا مهم جداً لأي جماعة تريد تحقيق أهدافها، وبسط السيادة وقيادة الآخرين.

ويمكن ملاحظة **أهمية الاصطفاف في السيادة والغلبة** من خلال العرض الآتي:

---

(١) المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد الأصفهاني (ص ٢٨٢)

(٢) لسان العرب، ابن منظور (ج٩، ٢٣٢).

(٣) التحقيق في كلمات القرآن الكريم، المصطفوي (ج٦، ٣٠٨)

١. الآيات (٢-٤) فيهما دلالة على أن نصرة الدين لا تقتصر على مجرد الادعاء والتلفظ بألفاظ معينة، بل يتطلب الأمر القتال والاصطفاف للمحافظة على هذا الدين، ويعقب **أستاذنا** على الآية الرابعة بقوله: "إن الآية تدل على معاني الوحدة والتجمع على الحق كطريق للسيادة ومحبة الله وتأييده".

٢. الآيات (٥-٧) تذكر اختلاف بني إسرائيل على موسى عليه السلام، وكذلك اختلافهم على عيسى عليه السلام، وهي بذلك تعرض نموذجين من الأمم السابقة تقاعست عن حماية دينها ونصرة أنبيائها، وهذا قد يشير إلى اختيار الأمة الإسلامية لقيادة العالم بعد الأمم السابقة التي لم تفلح في المحافظة على الاختيار الرباني، وتذكر الآيات أن من الأمراض التي منعت الأمم السابقة من السيادة الظلم والفسق، انظر قوله تعالى بعد ذكر قوم موسى عليه السلام: ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ (٥)، وقوله تعالى بعد ذكر قوم عيسى عليه السلام: ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (٧)، فالظلم والفسق يجعلان في الصف ثغرات تُسهّل على الأعداء اختراقه، كما قد يُستنتج من الآيات أن المنحرفين من أتباع الديانتين سيكون لهم وضع خاص في عداء الأمة الإسلامية.

٣. الآيتان (٨-٩) فيهما إشارة إلى السيادة التي قررها الله تعالى لدينه وأتباعه، ووعدهم بإظهار هذا الدين وعلوه وإتمام نوره، رغم كره المشركين والكافرين وعملهم الدؤوب ضده.

٤. الآيات (١٠-١٣) فيها بيان أجر المجاهدين في سبيل الله تعالى، وبيان النتائج الإيجابية والفضل العظيم الذي يحصل عليه المجاهدون في الدنيا والآخرة، وأن الفلاح يكون بالاجتماع على الإيمان والجهاد في سبيل الله تعالى.

٥. الآية (١٤) وهي الأخيرة في السورة تؤكد تأييد الله تعالى لأوليائه والمناصرين لدينه والمتجمعين على الحق، وتكون آخر كلمة هي ﴿ ظَٰهِرِينَ ﴾، وكأنها تقول أنتم بالصف تغلبون عدوكم.

ويقول **أستاذنا** لدى مراجعته للبحث تعقيباً على هذه الآية أنها: " تتحدث عن افتراق بني إسرائيل فرقتين، وفلاح الفرقة التي اصطفت تحت قيادة عيسى عليه السلام، وقد تكرر هذا عندما اصطفت جماعات وراء قيادة الرسول ﷺ".

هداية الاسم:

الاصطفاف لنصرة الدين طريق السيادة والغلبة في الدنيا، والنجاة والفلاح في الآخرة

(٤٤) سورة المنافقون

مدنية عدد آياتها ١١، وترتيبها ٦٣

المنافقون هم الذين يبطنون الكفر ويظهرون الإسلام، وأصل النفاق في اللغة كما يقول الأصفهاني: "نفق الشيء: مضى ونَفد، يَنفُق إما بالبيع نحو نفق البيع نفاقاً، ومنه نفاق الأيّم، ونفق القوم إذا نفق سوقهم. وإما بالموت نحو نفقت الدابة نفوقاً، وإما بالفناء نحو نفقت الدراهم تُنفق وأنفقتها... ومنه النفاق وهو الدخول في الشرع من باب والخروج عنه من باب، وعلى ذلك نبّه بقوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ (التوبة:٦٧)، أي الخارجون من الشرع".[١]

فوصْفُ النفاق يتضمن الخروج من الدين، وموت القلب ونفاد الخير منه، وفناء الحسنات، وبيع الآخرة بالدنيا، وهذه المعاني تتضمنها سورة المنافقون.

وتتضمن السورة كما يقول قطب: "حملة عنيفة على أخلاق المنافقين وأكاذيبهم ودسائسهم ومناوراتهم وما في نفوسهم من البغض والكيد للمسلمين، ومن اللؤم والجبن وانطماس البصائر والقلوب. وليس في السورة عدا هذا إلا لفتة في نهايتها إلى الذين آمنوا لتحذيرهم من كل ما يُلصق بهم صفة من صفات المنافقين، ولو من بعيد، وأدنى درجات النفاق عدم التجرد لله، والغفلة عن ذكره اشتغالاً

---

(١) المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد الأصفهاني (ص ٥٠٢)

بالأموال والأولاد، والتقاعس عن البذل في سبيل الله حتى يأتي اليوم الذي لا ينفع فيه البذل والصدقات".[1]

وقد ورد ذكر المنافقين في كثير من سور القرآن الكريم، ولكن هذه السورة سُمّيت باسمهم، فهي وصف لهم، وتعداد لصفاتهم الرئيسة، ويمكن استخلاص هذه الصفات كما يأتي:

١. الكذب: ﴿ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾ (١).

٢. الخداع: ﴿ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ﴾ (١)، ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً ﴾ (٢).

٣. الصد عن سبيل الله: ﴿ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ (٢)، ﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ ﴾ (٧).

٤. القلب المطبوع: ﴿ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ (٣).

٥. الجهالة: ﴿ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ (٣)، ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ (٧)، ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٨).

٦. العداء للمؤمنين: ﴿ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ﴾ (٤)، ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ﴾ (٨).

٧. الاستكبار: ﴿ لَوَّوْاْ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴾ (٥).

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب (ج٦، ٣٥٧٢)

إذاً فالسورة ترسم شخصية المنافقين وتحدد معالمها، كما تكشف عن طبيعة نفسياهم، وهذا للتنبيه والتحذير في قوله تعالى: ﴿ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ﴾ (٤)، وعدم الانخداع ببعض المظاهر سواء كانت في الشكل، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ﴾ (٤)، أو القيام ببعض المظاهر الدينية، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ﴾ (١).

أما الآيات الأخيرة في السورة (٩-١١) وعلاقتها باسم السورة، فهي وإن كانت تتوجه بالخطاب للمؤمنين، لكنها تحذر من مرض خطير قد يؤدي إلى النفاق، وهذا المرض يتمثل في الالتهاء بالمال والولد عن ذكر الله تعالى، كما تدعو الآيات إلى الإنفاق في سبيل الله تعالى والمسارعة في ذلك قبل فوات الأوان، للابتعاد عن كل ما يوصل إلى النفاق.

هداية السورة:

النفاق مرض خطير لا بد من كشف عوارضه والطرق المؤدية إليه

(٤٥) سورة التغابن

مدنية عدد آياتها ١٨، ورقمها ٦٤

سمى الله تعالى عدة سور بأسماء يوم القيامة، والتغابن من أسماء يوم القيامة، فما علاقة هذا الاسم بالسورة؟

معنى التغابن في اللغة كما ذكر ابن منظور: "النسيان... ضعف الرأي... والغبن في البيع والشراء: الوكس، غبنه يغبنه هذا الأكثر أي خدعه... وغبنت في البيع غبناً إذا غفلت عنه، بيعاً كان او شراءً".[١] ويقول السمين الحلبي: "التغابن هو تفاعل من الغبن...وقال بعضهم: معناه أن الأشياء تبدو لهم بخلاف ما قدّروها... وهو في معنى قول الله تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ ﴾ (الزمر: ٤٧)... وأصل الغبن الإخفاء... ومغابن الإنسان ما تثنّى من أعضائه كالفخذين والمرافق... وقيل أصل الغبن النقص".[٢] وقال الرازي في الصحاح: "غبنه في البيع خدعه".[٣] وقال البقاعي: "مادة غبن تدور على الخفاء من مغابن الجسد، وهي ما يخفى عن العين، وسُمّي الغبن في البيع لخفائه عن صاحبه".[٤] ويقول الأصفهاني: "الغَبن أن تبخس صاحبك في معاملة بينك وبينه بضرب من الإخفاء".[٥]

(١) لسان العرب، ابن منظور (ج١٣، ٣٧٨)

(٢) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، أحمد بن يوسف الحلبي (ج٣، ١٨١)

(٣) مختار الصحاح، محمد الرازي (٢٤٧)

(٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي (ج٨، ١٣)

(٥) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني (ص ٣٥٧)

ويقول المصطفوي: "والقيامة يقال لها يوم التغابن: لأن كل فرد من المحشورين فيها يرى نفسه في مغبونيّة، ويشاهد أنه قصر في العمل وسامح في السلوك إلى الكمال، ولم يجتهد سعيها في الوصول إلى المقام الأسنى، ولم يبلغ في سيره ومجاهدته إلى النهاية الممكنة له".[١]

ويضيف **أستاذنا** تعقيباً على المعاني اللغوية للغبن: "فالانخداع والخسارة التي يتضمنها معنى الغبن هي نتيجة الخفاء والجهالة، والكافر والعاصي يكتشف يوم القيامة عظم الخسارة التي تحل به نتيجة عدم تقديره لما تؤول إليه أعماله، فيكتشف أنه باع النعيم الأخروي الدائم بنعيم الدنيا الزائل، واشترى عذاب جهنم.

ولكن معنى التغابن يتحقق يوم القيامة عندما يستوفي الناس حقوقهم بعضهم من بعض، فيأخذ هذا من حسنات هذا، وتُلقى سيئات هذا على هذا، والشاهد على ذلك قوله ﷺ : "أتدرون ما المفلس؟ قالوا : يا رسول الله المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، قال: إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطي هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أُخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار"،[٢] فيكون

---

(١) التحقيق في كلمات القرآن الكريم، المصطفوي (ج٧، ٢٣٣)

(٢) صحيح الجامع الصغير وزيادته،الألباني (٨٧).

أوضح تفسير للتغابن هو ما جاء في هذا الحديث الشريف، فالتغابن فيه تفاعل مثل التقاتل والتخاصم، وبالتالي لم يُسمّ يوم الغَبن بل يوم التغابن".

وبصياغة أخرى لمعنى الغبن هو أن تبيع غالياً برخيص، أو أن تشتري رخيصاً بغال، أي أن تبيع الشيء بأقل من ثمنه، أو أن تشتري الشيء بأكثر من قيمته، وقد يكون المغبون هو الذي يُضيع فرصة ثمينة، أو يعمل عند من لا يقدر جهده وكفاءته، أو من يبذل جهده في طريق لا يحقق مراده (المنهج الخاطئ).

والمتأمل للسورة يجد هذه المعاني واضحة، وكأنها تنبيه لأولي الألباب ليتجنبوا الغبن، ومن ذلك:

١. تنبيه الإنسان إلى الله تعالى المالك والعليم والقادر على الإجزاء ليتوجه إليه بعمله، وبالتالي لا يقع في الغبن، ومن الآيات الدالة على ذلك:

- ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١).

- ﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (٢).

- ﴿ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ (٣).

- ﴿ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ (٤).

- ﴿ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ (٧).

- ﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴾ (٨).

- ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ (١٣).

- ﴿ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴾ (١٧).

- ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ (١٨).

٢. بيان أن الفوز بالجنة أمر عظيم، وأن خسارة ذلك والخلود في النار غبن كبير، بل هو الغبن الحقيقي الذي يجب العمل من أجل تلافيه، وذلك من خلال ذكر مصير كل من المؤمنين والكافرين الذين اختاروا طريقهم بعد أن بين الله لهم أسباب الهداية والضلال، وقد تجلى ذلك في الآيتين (٩-١٠)، فذكر بعد بيان نتيجة أهل الهداية ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾، وبعد بيان مصير الكافرين ﴿وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾.

يقول **أستاذنا**: "إن التغابن الحقيقي يكون يوم الجمع، أما ما يحصل من تغابن في الدنيا فهو الغبن الحقيقي للغابن لمصلحة المغبون أخروياً، لذا حذرت الآيات من أن يستعجل المغبون بالانتقام لنفسه، فهو في الحقيقة غابن، وعلى وجه الخصوص عندما يعفو ويصفح ويغفر".

وقال البقاعي: "فالكافر والظالم يظن أنه غبن المؤمن بنعيم الدنيا الذي استأثر به الكافر، وبالنقص الذي أدخله الظالم على المظلوم، وقد غبنهما المؤمن والمظلوم على الحقيقة بنعيم الآخرة وكمال جزائها العظيم الدائم، فالغبن فيه لا يشبهه غبن، فقد بعث ذكر هذا اليوم على هذا الوجه على

التقوى أتم بعث، وهي الحاملة على اتباع الأوامر واجتناب النواهي لئلا يحصل الغبن بفوات النعيم ونقصانه، ويحصل بعده للكافر العذاب الأليم".[1]

٣. التنبيه على أن الأزواج والأولاد فتنة في الآيات (١٤-١٧)، وفي ذلك تذكير بما حصل لبعض المؤمنين الذين منعهم أزواجهم وأولادهم من اللحاق بالنبي عليه السلام إلى المدينة، ورأوا بعد فتح مكة أن من هاجر قد سبقهم في الفقه والجهاد، فشعروا بالغبن، ثم أكدت الآيات على ضرورة الإنفاق والابتعاد عن الشح ليصل الإنسان إلى الفلاح وإلى مغفرة الله تعالى.

ويعقب **أستاذنا** على هذه الآيات بقوله: "ذكرت آيات السورة صورة من أجلى صور الغبن الدنيوي، وهي عندما يجد الأب أو الأم أو الزوج أو الزوجة أن تضحيتهم تُقابَل بالعداوة، وذلك في قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَـٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١٤)".

٤. سمى الله تعالى القرآن بالنُّور في الآية (٨)، وفي ذلك إرشاد إلى اتباع المنهج السليم للابتعاد عن أن يُغبن الإنسان نتيجة اتباعه المنهج الخاطئ، فالقرآن وما فيه من توجيهات وقيم هو المنهج السليم الذي يحقق السعادة في الدنيا والآخرة.

---

[1] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي (ج٨، ١٣)

٥. قد يكون في المصائب أحياناً الخير بعكس ما قد يظن بعض الناس أن فيها غبناً وذلك في الآية (١١)، ويؤكد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ﴾ (النساء:١٩).

ويضيف **أستاذنا** لدى مراجعته للبحث على معنى اسم التغابن بقوله: "واقع الحياة الدنيا أنها حالة من التغابن المستمر، ويرجع سبب التغابن الدنيوي إلى:

- عدم وعي الإنسان لحقيقة بناء الكون القائم على العدل والتوازن.
- الأمن من العقاب يجعل الإنسان أحرص على مصالحه الذاتية وإن كان ذلك على حساب الآخرين.
- حب الذات المركب في النفس البشرية، مما يجعل الإنسان في حالة من الرغبة في الحيازة على حساب الآخرين.

وهذا يعني أن التصور الخاطئ للوجود الكوني والإنساني ينتج عنه حالة من الغبن المستمر، وبالتالي لا بد من علاج هذا التصور الخاطئ من خلال:

- التصور الصحيح القائم على الإيمان الديني (الإيمان الأخروي).
- تعزيز مبدأ ﴿ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ﴾ على أساس دنيوي وديني (أخروي).
- توجيه حب الذات لمصلحة المجموع الإنساني.

هداية الاسم:

الخاسر الأكبر هو الذي يبيع آخرته بدنياه، ويأتي يوم القيامة محملاً بمظالم الآخرين

(٤٦) سورة الطلاق

مدنية عدد آياتها ١٢، ورقمها ٦٥

يقول ابن فارس: "الطاء واللام والقاف أصل صحيح مطرد واحد، وهو يدل على التخلية والإرسال".[١] ويقول ابن منظور: "طلاق المرأة: بينونتها عن زوجها... وطلقت البلاد: فارقتها، وطلقت القوم: تركتهم"،[٢] ويقول الفيروزآبادي عن الطالقة من الإبل: "ناقة تُرسل في الحي ترعى من جنابهم حيث شاءت".[٣]

فالطلاق في اللغة فيه معنى المفارقة والترك والإرسال دون قيود، والطلاق الذي تتحدث عنه السورة هو الطلاق المعروف في الفقه الإسلامي وهو: إنهاء عقد الزواج بلفظ يدل عليه من قبل الرجل.

يبين الله تعالى في هذه السورة أحكام الطلاق، ويفصل فيها الحالات التي لم تفصل في سورة البقرة، فقد تضمنت سورة الطلاق الوقت الذي يمكن فيه الطلاق، وحق المطلقة وواجبها في البقاء في بيتها فترة العدة، وحقها في الخروج بعد انقضاء العدة ما لم يكن الزوج قد راجعها، كما بينت عدة الحامل والنفقة والرضاعة، فلم تدع شيئاً من الأحكام المتعلقة بالطلاق إلا بينت حكمه في دقة ووضوح، مع حشد هائل من التذكير بالتقوى.

---

(١) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ج٢، ٧٧)

(٢) لسان العرب، ابن منظور (ج١٠، ٢٧١)

(٣) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني (٩١٨).

يقول قطب معلقاً على السورة: "ويقف الإنسان مدهوشاً أمام هذه السورة وهي تتناول أحكام هذه الحالة ومتخلفاها. وهي تحشد للأمر هذا الحشد العجيب من الترغيب والترهيب، والتعقيب على كل حكم، ووصل هذا الأمر بقدر الله في السموات والأرضين، وسنن الله في هلاك العاتين عن أمره، وفي الفرج والسعة لمن يتقونه. وتكرار الأمر بالمعروف والسماحة والتراضي، وإيثار الجميل. والإطماع في الخير. والتذكير بقدر الله في الخلق وفي الرزق، وفي اليسر والعسر".[1]

والسورة تتكون من (١٢) آية، سبع منها تتناول أحكام الطلاق، أي بما يعادل ثلاثة أرباع السورة، ولذلك فإن تسمية السورة بالطلاق أمر منطقي، ولكن يبقى ربط موضوع الطلاق مع آيات السورة الأخرى، وقد تكون العلاقة على النحو الآتي:

- الآيات (٨-١٠): تتحدث حول القرى التي رفضت تعاليم الله تعالى وعقاب الله لها،، وارتباط هذه الآيات بالسورة لأن الطلاق من القضايا التي قد يُظن أن من الأفضل عدم وجودها في المجتمع (مثل المجتمعات المسيحية)، أو قد يُظن أنه من الضروري تعديلها (مثل بعض الدعوات المعاصرة)، وبالتالي فقد تحاول المجتمعات تجاوزها وهو الأخطر، وتنتهي الآيات بتحذير العقلاء من مصير كمصيرهم، ولعل في هذا إشارة إلى أهمية تشريع الطلاق، وأن المجتمعات التي تضيق بتشريع الطلاق أو تمنعه، أو لا تمارسه كما شرع الله

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب (ج٦، ٣٥٩٤)

تعالى، كل هذه المجتمعات ستكون عرضة لأن تعذب عذاباً نكراً، وأن تكون عاقبة أمرها في الدنيا خسراً، وفي الآخرة عذاب شديد.

ويقول **أستاذنا** لدى مراجعته للبحث تعقيباً على إيراد الأمم التي عتت عن أمر الله في هذه السورة: "إن عتو المجتمعات يبدأ من الخلل في البناء الأساسي للمجتمعات، فعدم الالتزام بالأسس الشرعية والتقوى للتشريعات الربانية في أحكام الأسرة ومنها الطلاق يؤدي إلى العتو والانحراف".

- الآيتان (١٠-١١): تدعو الآيتان إلى اتباع النور الذي أُنزل للرسول ﷺ الهادي للخروج من الظلمات إلى النور في تعليماته وأحكامه التي من ضمنها الطلاق.

- الآية (١٢): تفيد أن علم الله محيط ليس فقط بما يجري على الأرض التي يعيش عليها الإنسان، بل الأراضي الأخرى كلها يتنزل الأمر بينها، والسموات السبع وما فيهن، كما تؤكد قدرته على كل شيء، وبالتالي فهذا يجعل موضوع الطلاق موضوعاً صادراً عن العالِم القدير سبحانه، فهو الأعلم والأحكم فيما يناسب الناس في كل شيء، ولعل في الآية طمأنة للمؤمنين الذين قد تفتنهم دعوات الآخرين حول تشريع الطلاق فيظنّون النقص في تشريع الله حول هذا الأمر، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

ولعل سائلاً يسأل عن تسمية سورة في القرآن بالطلاق مع أن فيه فضّاً للعلاقة الزوجية التي جعلها الإسلام مقدسة، وجعل الميثاق بين الزوجين غليظاً كما قال الله تعالى: ﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ (النساء:٢١)، فيجيب قطب عن

ذلك بقوله: "ولكن الحياة الواقعية للبشر تثبت أن هناك حالات تتهدم وتتحطم على الرغم من جميع الضمانات والتوجيهات. وهي حالات لا بد أن تواجه مواجهة عملية، اعترافاً بمنطق الواقع الذي لا يجدي إنكاره حين تتعذر الحياة الزوجية، ويصبح الإمساك بالزوجية عبثاً لا يقوم على أساس!".[(١)]

فاسم السورة يوجه إلى أن تشريعات الإسلام واقعية، ودليل على شمولية هذه التشريعات حيث لكل مشكلة تشخيص وحل، كما أن تخصيص سورة للطلاق فيه إشارة واضحة إلى أن الطلاق في الإسلام هو مجموعة تشريعات مترابطة محفوفة بالتقوى، الإخلال بإحداها أو التلاعب والتحايل في تطبيقه يُخلّ بالصورة النافعة لهذا التشريع ويجعل له آثاراً سلبية.

هداية السورة:

تشريعات الإسلام من لدن عليم قدير، ولذلك فهي واقعية تُصلحُ المجتمعات، والتعالي عليها والإدبار عنها يؤدي إلى دمار المجتمعات وهلاكها

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب (٦، ٣٥٩٧)

(٤٧) سورة الملك

مكية عدد آياها ٣٠، وترتيبها ٦٧

يقول الأصفهاني: "والمِلك ضربان: مِلك هو التملّك والتولّي، ومِلك هو القوة على ذلك تولّى أو لم يتولّ... فالمُلك ضبط الشيء المتصرَّف به بالحكم".[١]

ويقول ابن فارس: "الميم واللام والكاف أصل صحيح يدل على قوة في الشيء وصحة".[٢]

ويقول المصطفوي: "والتحقيق أن الأصل الواحد: هو التسلط على شيء، بحيث يكون اختياره بيده، وهذا التسلط إما بالنسبة إلى ذات الشيء أصلاً وفرعاً، كما في مالكيّة الله لخلقه. أو بالنسبة إلى الذات اعتباراً، كما في المملوك والمبيع. أو بالنسبة إلى ما يستفاد منه، كما في الإجارة والنكاح. وإما بالنسبة إلى أمورهم ووظائفهم الاجتماعية، كما في تسلط الحاكم والسلطان. وإما تسلطٌ على النفس وهواه، كما في النفوس المهذبة المرتاضة. وغيرها من أنحاء التسلط".[٣]

ورد اسم السورة في أول آية فيها، وهذا الافتتاح يدل على منتهى كمال الله تعالى لأنه افتتاح "يؤذن بأن ما حوته يحوم حول تتريه الله تعالى عن النقص الذي

---

(١) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني (٤٧٢)

(٢) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ج٢، ٥٢٣)

(٣) التحقيق في كلمات القرآن الكريم، المصطفوي (ج١١، ١٧٧)

افتراه المشركون لّما نسبوا إليه شركاء في الربوبية والتصرف معه والتعطيل لبعض مراده". [1]

وبناءً على ذلك يمكن القول إن اسم السورة يوحي بأن السورة تدور حول **الملك المطلق**، أو **الملك الكامل**، وهو الملك الذي يليق بجلال الله تعالى، أي أن السورة هي تعريف لملك الله سبحانه وتعالى الذي يختلف عن ملك البشر، فالله عز وجل بيده الملك، فهو المالك له، المهيمن عليه، المتصرف فيه، قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (آل عمران:٢٦).

يقول القاسمي نقلاً عن المهايمي: "سميت به لاشتمالها على كثير مما ينبغي أن يكون عليه الملك من كثرة الخيرات، وعموم القدرة، والإحياء والإماتة، واختبار أعمال الناس، والغلبة والغفران، ورفع الأبنية لخدامه وعدم التفاوت في رعاياه، وتزيين بلاده، والقهر على الأعداء، والترحم على الأولياء، والأمن ورخص الأسعار، وأن لا يقدر أحد على نصر من عاداه، وعلى رزق من منعه". [2]

ويقول البقاعي: "مقصودها الخضوع لله لاتصافه بكمال الملك الدال عليه كمال القدرة الدال عليه قطعاً إحكام المكونات، الدال عليه تمام العلم، الدال عليه مع إحكام المصنوعات علم ما في الصدور، لينتج ذلك العلم بتحتم البعث لدينونة العباد على ما هم عليه من الصلاح والعناد، كما هي عادة الملوك في دينونة

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور (م١٢، ج٢٩، ٩)

(٢) محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي (ج٩، ١٨٧)

رعاياهم لتكمل الحكمة وتتم النعمة.. واسمها الملك واضح في ذلك لأن الملك محل الخضوع من كل من يرى الملك".[1]

وعند تدقيق النظر في السورة يمكن ملاحظة تناول السورة لعناصر الملك الكامل التي يتصف به الله تعالى، من خلال العرض الآتي:

١. يقترن الملك التام الكامل **بالقدرة المطلقة**، وهو ما تصرح به الآية الأولى في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، وتشير إليه آيات أخرى من السورة بطريقة غير مباشرة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (٢٨)، وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴾ (٣٠)، وقوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴾ (٢٠).

٢. يتميز الملك التام والمعتبر **بالهدفية وعدم العبثية**، فمن المهم أن تكون أفعال الملك وقوانينه فيها الحكمة وتحقيق المصلحة والنفع، وهذا ما بينه قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾ (٢).

٣. إن من علامات الملك الكامل المهمة أن يكون الملك قادراً على **تغيير معالم ما يملك**، أو جزء منه، بالإيجاد أو التغيير أو الإفناء، وهذا الأمر واضح في السورة، فالله عز وجل هو الذي يملك قانون الموت والحياة الساري على

---

[1] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي (ج٨، ٦٢)

كل الأحياء في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ ﴾ (٢)، وهو الذي أوجد السموات وما فيها في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴾ (٣)، وهو الذي ذلّل الأرض للإنسان في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا ﴾ (١٥)، وهو الذي هيّأ الحياة للإنسان في قوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (٢٣-٢٤).

٤. ومن أهم علامات الملك التام السيطرة على كل ما يقع في ملكه، وهذا يحتاج إلى علم كامل، ونفاذ الأمر دون تخلف، وهذا ما تحدثت عنه آيات كثيرة في السورة، فالآيتان (١٣-١٤) تظهران بوضوح علم الله الكامل في قوله تعالى: ﴿ وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ (٢٦).

وتُظهر آيات عديدة أن الله تعالى مسيطر عل كل المخلوقات، ومنها قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴾ (١٩)، وأنه وحده الذي يرزق: ﴿ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴾ (٢١)، وأن استمرار وجود البشر في الأرض إنما هو بمشيئة الله تعالى، وهذا ما تظهره الآيات (١٦-١٧) في قوله تعالى:

﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ ﴾.

٥. ومن علامات الملك التام أن يكون الملك قادراً على معاقبة من يخالف الأمر ومكافأة من يطيعه، وهو ما تظهره آيات كثيرة في السورة، ومنها قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلۡنَٰهَا رُجُومٗا لِّلشَّيَٰطِينِۖ وَأَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ (٥-٦)، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴾ (١٢)، وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾ (١٨)، وقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَأَوۡهُ زُلۡفَةٗ سِيٓـَٔتۡ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴾ (٢٧).

ويلخص **أستاذنا** لدى مراجعته للبحث تعقيباً على اسم السورة بقوله: "الأصل أن من بيده الملك يتعاظم ويتزايد خيره، وهذا ما يفهم من قوله ﴿ تَبَٰرَكَ ﴾، ومن هنا ينبغي أن يكون الملك مصدر فيض الخير. ومن معاني البركة التي هي الخير الإلهي الثابت في الشيء عدم السماح بالخلل على المستوى الكوني ﴿ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ﴾ (٣) كما جاءت العقوبات الدنيوية والأخروية".

هداية السورة:

الله تعالى صاحب الملك الكامل وهو وحده المستعان وعليه التكلان

(٤٨) سورة المعارج

مكية، عدد آياتها ٤٤، ورقمها ٧٠

يقول الأصفهاني: "العروج: ذهاب في صعود".[١] ويقول الرازي: "عرج في السلم: ارتقى وعرج... والمعراج: السلم، ومنه ليلة المعراج، والجمع معارج ومعاريج".[٢] ويقول المصطفوي: "الأصل الواحد في المادة: انتهاء في صعود، فتطلق على المرتبة الأخيرة من الصعود".[٣] فالمعارج بمعنى المراقي، وفيها معنى السّمو والصّعود والارتقاء.

وقد وُصف الله تعالى في هذه السورة بأنه ﴿ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾(٣)، حيث تعرج الملائكة والروح إليه (الآيات:٣-٤)، وهذا الوصف كما قال المصطفوي: "إشارة إلى مقام العظمة والكبرياء له تعالى"،[٤] ويقول الطاهر بن عاشور: "وإجراء وصف ذي المعارج على اسم الجلالة، لاستحضار عظمة جلالِهِ، ولإدماج الإشعار بكثرة مراتب القرب من رضاه وثوابه".[٥]

ويمكن ملاحظة معنى الصعود من خلال العرض الآتي:

١. يبدو أن **الصلاة** أمر مركزي في العروج إلى الله تعالى، فقد ابتدأت الآيات التي تحدثت عن صفات أهل الجنة المكرمين: بالديمومة على الصلاة، وأنهتها

---

(١) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني (ص ٣٢٩)

(٢) مختار الصحاح، محمد الرازي (ص ٢٢٥)

(٣) التحقيق في كلمات القرآن الكريم، المصطفوي (ج٨، ٩١)

(٤) المصدر السابق (ج٨، ٩٢)

(٥) التحرير والتنوير، ابن عاشور (م١٢، ج٢٩، ١٥٦)

بالمحافظة على الصلاة، ومما يقوي هذا المعنى أن الصلاة فرضت بشكلها النهائي في ليلة المعراج، وإضافة إلى الصلاة فقد ذكرت السورة صفات أخرى ترتقي بأصحابها عن باقي البشر والمخلوقات، ويعرجون إلى ربهم بهذه الممارسات (الآيات ٢٢-٣٥)، وتظهر مقدمة السورة أن الارتقاء يوم القيامة والنجاة من النار لا يكون بنسب أو قرابة أو صحبة أو مال (الآيات ٦-١٨).

٢. وفي مقابل أهل العروج إلى الله فقد ذكرت السورة في (الآيات ٣٧-٤٤) قسماً آخر من البشر شأنهم تافه حقير، فهم في الدنيا قضوا أعمارهم ﴿ يَخُوضُواْ وَيَلْعَبُواْ ﴾ (٤٢)، وفي الآخرة ﴿ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۚ ﴾ (٤٤)، وليس لهم أمل في دخول الجنة التي هي درجات عالية لا تليق بأمثالهم، وأيضاً وصفت (الآيات ١٩-٢١) الإنسان غير المصلي بالهلوع، وهذا وصف مهين.

ويضيف **أستاذنا** لدى مراجعته للبحث في توجيه اسم السورة بقوله: "العذاب الواقع غير المندفع هو ممن له العظمة والكبرياء، فمقام العظمة والكبرياء يشير إلى أن الإنسان أصغر من أن يعبث مع من له المقام، وحتى الملائكة المقربة تتدرج في الصعود والارتقاء إلى مقام الجلالة، ويحتاج ذلك إلى سنوات ألوف متطاولة حتى يكون القبول والإدناء، وحتى أهل الإيمان والعمل الذين يتسلحون بمتطلبات الارتقاء هم على خطر، فالعجب كل العجب ممن كفروا ثم هم يطمعون في جنة الكبير المتعال".

هداية الاسم:

العروج إلى الله تعالى يقتضي من المسلم الالتزام بصفات أهمها إقامة الصلاة

(٤٩) سورة نوح (عليه السلام)

مكية عدد آياتها ٢٨، وورقمها ٧١

سميت هذه السورة باسم نوح النبي عليه السلام، مثل أخواتها التي سميت بأسماء أنبياء، وهذه السورة واضحة في ارتباط اسمها مع بنية السورة، فقد استغرق الحديث عن نوح عليه السلام كل السورة، فلا يحتاج هذا الاسم إلى ربط مدروس، ولكن ماذا يستفاد من اسم السورة، وما هي الإشارات في سياق السورة إلى تسميتها بهذا الاسم؟

من المعروف أن قصة نوح عليه السلام نقطة تحول في التاريخ الإنساني، وهي تشبه في أهميتها قصة يوسف عليه السلام، ولكن قصة نوح تضمنت التكذيب والإهلاك، بينما كانت قصة يوسف عليه السلام تصويراً لبناء حضاري.

ورد اسم النبي نوح عليه السلام في القرآن الكريم في (٤٣) موضعاً، وقد وردت قصته في مواضع متعددة، إضافة إلى سورة نوح، هي: سورة الأعراف في الآيات (٥٩-٦٤)، سورة يونس عليه السلام في الآيات (٧١-٧٣)، سورة هود عليه السلام (٢٥-٤٩)، سورة الأنبياء في الآيتين (٧٦-٧٧)، سورة المؤمنون في الآيات (٢٣-٣٠)، سورة الفرقان في الآية (٣٧)، سورة الشعراء في الآيات (١٠٥-١٢٢)، سورة العنكبوت في الآيتين (١٤-١٥)، سورة الصافات في الآيات (٧٥-٨٢)، سورة القمر في الآيات (٩-١٧).

ولكن الملاحظ أن التفاصيل التي وردت في سورة نوح لم تتحدث عن الإهلاك والطوفان كما كان في المواضع المذكورة، وإنما ركزت السورة على المحاولات المكثفة من نوح عليه السلام لإنقاذ قومه.

يقول قطب: "هذه التجربة المريرة تعرض على رسول الله ﷺ وهو الذي انتهت إليه أمانة دعوة الله في الأرض كلها في آخر الزمان، واضطلع بأكبر عبء كُلفه رسول. يرى فيها صورة الكفاح النبيل الطويل لأخ له من قبل، لإقرار حقيقة الإيمان في الأرض. ويطّلع منها على عناد البشرية أمام دعوة الحق؛ وفساد القيادة الضالة وغلبتها على القيادة الراشدة. ثم إرادة الله في إرسال الرسل تترى بعد هذا العناد والضلال منذ فجر البشرية على يدي جدها نوح عليه السلام.

وتعرض على الجماعة المسلمة في مكة، وعلى الأمة المسلمة بعامة، وهي الوارثة لدعوة الله في الأرض، وللمنهج الإلهي المنبثق من هذه الدعوة، القائمة عليه في وسط الجاهلية المشتركة يومذاك، وفي وسط كل جاهلية تالية ... ترى فيها صورة الكفاح والإصرار والثبات هذا المدى الطويل من أب البشرية الثاني. كما ترى فيها عناية الله بالقلة المؤمنة، وإنجاءها من الهلاك الشامل في ذلك الحين".[(١)]

وعند تدبر سورة نوح عليه السلام نجدها تبين المعالم الرئيسة لدعوته عليه السلام، وهي الدعوة التي استمرت قرابة الألف عام، وهذه المعالم يحتاجها كل داعية إلى الله تعالى على مر التاريخ، وتتلخص هذه المعالم بالآتي:

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب (ج٦، ٣٧٠٧)

١. الوضوح: ﴿ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ (٢)، ﴿ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴾ (٣).

٢. الحرص على المدعوين: ﴿ يَا قَوْمِ ﴾ (٢)، ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴾ (٥)، ﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ ﴾ (٧)، ﴿ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴾ (٨-٩).

٣. المثابرة والعزم: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴾ (٥)، ﴿ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴾ (٨-٩).

٤. تنويع الأساليب: ﴿ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ (٤)، ﴿ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴾ (٨-٩)، ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴾ (١٠-١٢)، ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾ (١٣-١٤). يقول قطب: "ونوح عليه السلام وجه قومه إلى هذه الحقيقة لتستشعر قلوبهم يد الله وهي تنبتهم من هذه الأرض نباتاً، وهي تعيدهم فيها مرة أخرى. ثم تتوقع النشأة الأخرى وتحسب حسابها، وهي كائنة بهذا اليسر وبهذه البساطة. بساطة البداهة التي لا تقبل جدلاً! وأخيراً وجه نوح قلوب قومه إلى نعمة الله عليهم في تيسير الحياة لهم على هذه الأرض وتذليلها لسيرهم ومعاشهم وانتقالهم وطرائق حياتهم: ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴾ (١٩-٢٠). وهذه الحقيقة القريبة من

مشاهدهم وإدراكهم تواجههم مواجهة كاملة، ولا يملكون الفرار منها كما كانوا يفرون من صوت نوح وإنذاره".[1]

٥. التحذير من الانحرافات العقدية: ﴿ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّواْ كَثِيرًا ﴾ (٢٣-٢٤).

من خلال ما سبق يتضح أن السورة تجعل من نوح عليه السلام قدوة مثالية لكلّ الدعاة إلى الله على مرّ العصور، في صبره ومثابرته، وتنويعه في أساليب الدعوة، وحرصه على هداية قومه، وتركيزه على القضايا الجوهرية والأساسية.

هداية السورة:

الداعية إلى الله تعالى

يتخذ من نوح عليه السلام منارة له يهتدي بها، وقدوة يسير على خطاها

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب (ج٦، ٣٧١٥)

(٥٠) سورة الجن
مكية عدد آياتها ٢٨ ورقمها ٧٢

يقول الرازي: "الجن ضد الإنس الواحد جنّي، قيل: سميت بذلك لأنها تُتّقى ولا تُرى"،[١] ويقول الطناحي: "مادة جنن ترجع إلى أصل واحد في اللغة وهو الستر والتستر والتغطية".[٢]

والجن أمة مستترة عن حواس البشر وإدراكهم كما قال الله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾ (الأعراف: ٢٧)، فكان القسم الأول من السورة (الآيات ١-١٩) يصف أحوال الجن وتفاعلهم مع القرآن الكريم، فما علاقة الجزء الثاني من السورة (الآيات ٢٠-٢٨) مع اسم الجن؟

يمكن أن تتضح العلاقة من خلال التفصيل الآتي:

١. الآية (٢٠) فيها الأمر بإعلان الرسول ﷺ لعبوديته لله تعالى، وهذا تعريض بعبادة بعض البشر للجن كما ذكرت آيات القسم الأول.

٢. الآيات (٢١-٢٤) فيها بيان أن الضر والنفع بيد الله وحده، وهذا أيضاً تعريض ببعض البشر الذين كانوا يستجيرون بالجن ويطلبون حمايتهم فزادوهم رهقاً.

---

(١) مختار الصحاح، محمد الرازي (ص ٧٠)

(٢) من أسرار اللغة في الكتاب والسنة، محمود الطناحي (ج١، ٢٧٤)

٣. الآيات (٢٥-٢٨) تؤكد على اختصاص الله وحده بعلم الغيب، وأنه لا يطلع على هذا الغيب إلا من ارتضى الله من الرسل عليهم السلام، فيطلعهم سبحانه على بعض هذا الغيب، ويسلك من بين أيديهم ومن خلفهم رصداً لكي لا يستطيع أحد من البشر أو الجن أن يصلوا إلى ما علموه، وفي ذلك إشارة إلى أن الجن لا يعلمون الغيب كما يعتقد بعض البشر.

٤. الحديث عن الشرك في القسم الثاني من السورة مناسب لأن بعض الناس يشركون الجن مع الله تعالى، وقد ورد ذلك في عدة آيات في القرآن الكريم؛ في قوله تعالى: ﴿ **وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ** ﴾ (الأنعام:١٠٠)، وقوله تعالى: ﴿ **وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا** ﴾ (الأنعام:١١٢)، وقوله تعالى: ﴿ **وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ** ﴾ (الأنعام: ١٢٨)، وقوله تعالى: ﴿ **بَلْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ** ﴾ (سبأ:٤١)، وقوله تعالى: ﴿ **وَجَعَلُواْ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا** ﴾ (الصافات:١٥٨).

وبعبارة موجزة قد يكون تسمية السورة باسم الجن في القرآن الكريم ليقول الله للمؤمنين: **هؤلاء هم الجن الذين سترهم عن رؤيتكم، فلا تسألوا عنهم أحداً غيري.**

ويخلص **أستاذنا** لدى مراجعته للبحث إلى أن "السورة تعريفٌ بالجن من قبل الجن أنفسهم وعلى لساهم، وتُشعر أهم كالإنس، ومن هنا تبطل الادعاءات حولهم".

هداية الاسم:

الوحي هو المصدر الوحيد للتعريف بالغيبيات، ودون مبالغات البشر وإضافاهم

(٥١) سورة المزمل
مكية عدد آياتها ٢٠، ورقمها ٧٣

يقول ابن فارس: "الزاء والميم واللام أصلان: أحدهما يدل على حمل ثقل من الأثقال، والآخر صوت".[١] ويقول المصطفوي: "المزمّل: أصله المتزمل، وتزمل فلان: إذا تلفف بثيابه، وكل شيء لُفف فقد زُمل... والأصل الواحد في هذه المادة: هو التحمل على صورة التلفف، أي ما بين حمل ولف".[٢] ويقول ابن منظور: "والزاملة: بعير يَستظهر به الرجل يحمل عليه متاعه وطعامه".[٣]

وقد يستغرب القارئ هذا الوصف من الله تعالى لحبيبه محمد ﷺ في بدايات مخاطباته له، ولكن هذا الوصف ليس ذمّاً، بل هو **تعريف وتذكير بحقيقة شخصيته البشرية أمام رسالة الله تعالى وثقل الأمانة**، يتلوه وصفه سبحانه **الدواء المعين على حمل هذه الأمانة العظيمة**، كما أن هذا الدواء يصلح للتقوِّي به لكل الأشخاص في أي مرحلة، ويقوم هذا الدواء على عدة عناصر هي: قيام الليل والصلوات المفروضة، ترتيل القرآن، الذكر، الصبر، كثرة العبادة، الإخلاص، إيتاء الزكاة، الاستغفار، وهذا قد يكون جواباً عن سبب تزمل النبي ﷺ ، فإنه قد شعر بثقل ما أهمه وأخافه.

---

(١) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ج١، ٥٣٣)

(٢) التحقيق في كلمات القرآن الكريم، المصطفوي (ج٤، ٣٦٨)

(٣) لسان العرب، ابن منظور (ج١١، ٣٧١)

ومن خلال استعراض آيات السورة يتضح ارتباطها بالدواء الموصوف:

١. ﴿ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ (٥): فالقرآن الكريم قول ثقيل، وبدون التقوّي لا يستطيع الإنسان حمل أمانة تبليغه وتطبيقه.

٢. ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴾ (٦): فمن تعود القيام في الليل يقوى على حمل أمانة الرسالة.

٣. ذكرت الآيات (١١، ١٥-١٦) فرعون ومن سبقه من المكذبين أولي النَّعمة للإشارة إلى أن الإنسان لا يتقوَّى بالمال أو الجاه كما يظن البعض، ولكن ذلك قد يؤدي إلى الوبال والأنكال والغُصّة في العيش.

٤. الآية الأخيرة فيها تخفيف عن المؤمنين في موضوع قيام الليل بسبب ظروف ومشاغل مختلفة، ومع ذلك ينبغي المحافظة على الحد الأدنى من دواء التقوي، قال تعالى: ﴿ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ ﴾ (٢٠).

ويذكر البقاعي عبارة جميلة في بيان مقصود السورة يرتبط بالمعاني المذكورة فيقول: "مقصودها الإعلام بأن محاسن الأعمال تدفع الأخطار والأوجال، وتخفف الأحمال الثقال، لا سيما الوقوف بين يدي الملك المتعال، والتجرد في خدمته في ظلمات الليال، فإنه نعم الإله لقبول الأفعال والأقوال، ومحو ظلل

الضلال، والمعين الأعظم على الصبر والاحتمال، لما يرد من الكدورات في دار الزوال، والقلعة والارتحال، واسمها المزمل أدل ما فيها على هذا المقال".[(1)]

ويضيف دلالة أخرى للاسم: "فيه مع ذلك إشارة إلى البشارة بالقوة على حمل أعباء ما يراد به، من قولهم: زمَّل الشيء، إذا رفعه وحمله... ويقال للرجل العالم بالأمر: هو ابن زوملتها".[(2)]

ويقول المصطفوي تعقيباً على اسم السورة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (١-٢) يراد تلففه بأمور ظاهرية وتعلقه بعلائق وأفكار قلبية، وتحمله بأحمال باطنية ثقيلة، فيؤمر بالقيام لله والتوجه الخالص إليه، وطرح قاطبة العلائق المحيطة، ثم ترتيل القرآن أي جعله أمام مشيه وسلوكه والاتباع عما يوحى إليه بالقاطعية والانقطاع الكامل عن العلل الظاهرية والأفكار الشخصية".[(3)]

هداية الاسم:

قيام الليل والتوجه الخالص لله
من أعظم ما يعين المرء على حمل أمانة الدين الثقيلة

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي (ج٨، ٢٠٢)

(٢) المصدر السابق (ج٨، ٢٠٣)

(٣) التحقيق في كلمات القرآن الكريم، المصطفوي (ج٤، ٣٦٧)

(٥٢) سورة المدثر
مكية عدد آياتها ٥٦، ورقمها ٧٤

المدثر كما يقول الأصفهاني: "أصله المتدثر فأدغم وهو المتدرع دثاره... ورجل دثور: خامل مستتر، وسيف داثر: بعيد العهد بالصقال، ومنه قيل للمترل الدارس داثر لزوال معالمه".[١] ويقول المصطفوي: "المتدثر بما يُحيط به والمتغطي بما يحجبه عن الاجتهاد والفعالية، من خمول وسكون وكسل وتلفف بما يمنعه عن الحركة والعمل وتعلقات زائدة. فهذه الكلمة لا تختص بلبس الدثار ونحوه".[٢] ويقول ابن فارس: "والدثور: الرجل النؤوم، وسمي لأنه يتدثر وينام. فأما قولهم رسم داثر، فهو من هذا، وذلك انه يكون ظاهراً حتى تهب عليه الرياح وتأتيه الروامس فتصير له كالدثار فتغطيه".[٣]

فالتدثر يعني **التغطية والخمول والسكون والبعد عن الحركة**، وابتداء السورة بنداء النبي عليه السلام بـــ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ (١) ودعوته للقيام ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾ (٢)، فيه إشارة إلى وضع النبي ﷺ قبل النبوة حيث خمول الذكر وعدم معرفة الناس بشأنه، لذا كان كفار مكة يقولون: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ (الزخرف:٣١)، فأُمر بالقيام وحمل الدين ليصل إلى المكانة العالية التي تليق به ﷺ .

---

(١) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني (١٦٥)

(٢) التحقيق في كلمات القرآن الكريم، المصطفوي (ج٣، ١٩٦)

(٣) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ج١، ٤٣٢)

يقول البقاعي: "ولما كان في حال تدثره قد لزم موضعاً واحداً فلزم من ذلك إخفاء نفسه الشريفة، أمره ﷺ بالقيام، وسبب عنه الإنذار إشارة إلى أن ما يراد به من أنه سيكون أشهر الخلق بالرسالة العامة، مقتضى لتشمير الذيل بكل اعتبار والحمل على النفس بغاية الجد والاجتهاد اللازم عنه كثرة الانتشار، فهو مناف للتدثر".[1]

كما قد يكون في الاسم إشارة إلى وضع الأمة قبل الرسالة من حيث الخمول والاستتار وقلة الشأن بين الأمم، فجاءت هذه الرسالة لترفع شأنها، وتقيم لها حضارة وترتقي بها حتى تصبح قائدة الأمم، كما قال الله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾ (الزخرف:٤٤).

ومن خلال استعراض آيات السورة نلاحظ ارتباطها بمعاني اسمها على النحو الآتي:

١. تحدثت الآيات الأولى (٢-٧) عن الأساسيات التي يجب الاعتناء بها لقيام الشأن وقد تمثلت بـــ (تكبير الله، الطهارة، هجر الأوثان، الصبر).

٢. تحدثت الآيات (١١-٢٦) عن نموذج بشري آتاه الله الملك والجاه والسلطان، لكنه لم يسلك السلوك الأمثل ليكون حاله قائماً وحسناً، فاندثر ماله، وكان مآله الويل والهلاك والعذاب الشديد.

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي (ج٨، ٢٢١)

٣. تناولت الآيات (٣٠-٣٧) موضوع الإعجاز العددي في الرقم **١٩**، الذي قد يكون له شأن عظيم في نصرة الدين ورفع شأن أصحاب هذه الرسالة.

٤. تصور الآيات (٤١-٥٣) حال الكفار والمعرضين عن الدين بعد قيام النبي عليه السلام بالإنذار، حيث إنهم لم يأخذوا بما يرفع شأنهم، فهم لا يصلون ولا يطعمون المسكين ويكذبون بيوم الدين، وهم كالحمر المستنفرة التي فرت من قسورة.

٥. وتختتم السورة ببيان أن موضوع الآخرة مهم جداً في حياة الفرد لإصلاح شأنه وقيام حياته، والتأكيد على أن القرآن الكريم تذكرة يهدي للتي هي أقوم.

ويعقب **أستاذنا** لدى مراجعته للبحث على دلالة معنى السورة بقوله: "السورة فيها خطاب لكل من سكن وركن إلى الخمول أن يقوم بواجب الإنذار ويستعين على ذلك بما أرشده خالقه، وليعلم أن الخلق في قبضة الخالق في الدنيا والآخرة، وأنه ينصر الحق ويخذل الباطل، وأن رسالته تستبطن عوامل نصرها فما عليه إلا أن يقوم بواجب التبليغ، فالدعاة الذين تركوا القعود يفوزون في الدنيا والآخرة، فمصيرهم إلى زيادة فلاح، أما المعاندون والمعرضون فمصيرهم إلى تراجع وزيادة خسران".

ويضيف: "قد يكون من معاني التدثر الهرب من البرد أو كردة فعل لما يخيف كما حصل مع النبي صى الله عليه وسلم في حادثة نزول الوحي، ولكنه هرب ساذج فالأولى عدم الهرب مما يخيف، بل العمل على ما يؤدي إلى الأمن الحقيقي في

الدنيا والاخرة، ونلاحظ معاني الخوف في السورة، والتذكير بمصدر الأمن وهو القرآن الكريم وما فيه من عجائب ومعانٍ وتذكير بالحقائق".

كما يذكر **أستاذنا** فرقاً بين سورتي المزّمل والمدثر: "في المزمل طلب القيام لبناء النفس، وفي المدثر طلب القيام بواجب الدعوة إلى الله تعالى".

هداية الاسم:

التشمير وحمل النفس على غاية الجد في القيام بواجب الدعوة إلى الله تعالى طريق الرفعة وعلو الشأن

(٥٣) سورة القيامة

مكية عدد آياتها ٤٠، ورقمها ٧٥

لقد سمّيت سور متعددة بأسماء اليوم الآخر أو ببعض أحداثه، كما ذُكرت أحداث الآخرة في سور كثيرة وأحياناً بتوسع أكثر من المذكور في سورة القيامة، فلماذا كان الاختيار لاسم القيامة ليكون لهذه السورة؟

وللإجابة عن هذا التساؤل نذكر أولاً معنى القيام لغة، فقد ذكر ابن منظور [(١)] أن القيام يأتي بعدة معان منها:

١. الوقوف عن السير، فنقول قامت الدابة إذا وقفت عن المسير.

٢. الثبات والاستقرار، أقام في المكان: أي استقر فيه.

٣. الأمر المهم للحياة، ومنه قول الله تعالى عن الأموال: ﴿ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ قِيَٰمٗا﴾ (النساء: ٥)، أي جعل الله تعالى المال قوام الحياة وعصبها، فلا تقوم الحياة إلا به.

٤. البعث، حيث يقوم الناس من قبورهم.

٥. الوقوف والمثول بين يدي الله تعالى.

وترتبط آيات السورة بهذه المعاني بشكل واضح على النحو الآتي:

---

(١) لسان العرب، ابن منظور (ج١٢، ٥٨٥-٥٧٩)

١. المعنى الأول: يتضح بخسف القمر وجمع الشمس والقمر وتوقفهما عن المسير، وذلك في الآيتين (٨-٩)، كما أن الآية (١٦) تطلب من الرسول ﷺ التوقف عن تحريك اللسان تعجلاً بالقرآن الكريم، وكذلك تتحدث الآيات (٢٦-٣٠) عن توقف الإنسان عن الحياة بانقضاء أجله ليكون المساق إلى الله تعالى.

٢. المعنى الثاني: واضح في الآية (١٢) حيث تبين أن المستقر إلى الله تعالى، وفي الآية (٢٠) وصف الله تعالى الدنيا بأنها العاجلة أي التي تمشي بسرعة، وقد يكون في ذلك إشارة إلى استقرار الآخرة، أما الآية (١٧) فهي تؤكد على أن القرآن الكريم محفوظ من الله تعالى ومستقر في الصدور والسطور.

٣. المعنى الثالث: تتضمنه الآيات (١٦-١٩) حيث تتحدث عن القرآن الكريم الذي هو أساس كل خير للبشرية إلى يوم القيامة، وقد تعهد الله بحفظه وبيانه للناس، ويلاحظ في القرآن الكريم الإكثار من الحديث عن اليوم الآخر الذي يعتبر من الأمور المهمة لاستقامة الحياة البشرية.

٤. المعنى الرابع: واضح في نقاش الله للمنكرين للبعث في الآيات (٣-٤)، (٣٦-٤٠)، وتؤكد الآيات المذكورة قدرة الله تعالى على إحياء الموتى وبعثهم من قبورهم.

٥. المعنى الخامس: مذكور في الآيات (٢٢-٢٥)، حيث يقف الناس جميعاً برهم وفاجرهم أمام الله تعالى، منهم من هو مسرور وينظر إلى الله تعالى، ومنهم من غشيه العذاب والهوان حتى إنه ينتظر داهية عظيمة تقصم فقار ظهره.

ويضيف **أستاذنا** بالقول إن السورة تحمل عدة دلالات ترتبط باسمها:

- الآخرة هي قوام الدنيا، ولا تصلح الآخرة إلا بصلاح الدنيا، ولا تصلح أمور الدنيا إلا بالإيمان بفكرة الآخرة.
- الآخرة هي في حقيقتها قيام العدل.
- القرآن الكريم قوام الدنيا والآخرة.
- الآخرة هي تأويل القرآن الكريم وتحقق وعد ووعيد الله تعالى، حيث ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ (الأعراف:٥٢-٥٣).

ويقول المصطفوي تعقيباً على اسم القيامة: "وأما القيامة فباعتبار قيام الخلق فيها لرب العالمين، وتدل الآيات التي وردت فيها كلمة القيامة أن العالم المادي يختل نظمه يومئذ، فبقيام القيامة يتبدل العالم المادي وأجزاؤه ونظمه، ويتظاهر عالم آخر ألطف متناسباً بالحياة الأخروية ولذاتها وآلامها".[١]

هداية الاسم:

الإيمان بالآخرة على أساس التصور القرآني قوام متين للحياة الدنيا

(١) التحقيق في كلمات القرآن الكريم، المصطفوي (ج٩، ٣٧٨)

(٥٤) سورة الإنسان

مدنية عدد آياتها ٣١، ورقمها ٧٦

من خلال استعراض السورة نجد أن الآيات الثلاث الآولى فقط تتحدث بشكل مباشر عن الإنسان، فلماذا سميت السورة بـــ (الإنسان)؟ وما علاقة مواضيعها بالاسم؟

يمكن الإجابة عن هذا السؤال من خلال العرض الاتي:

١. الآيات الثلاث الاولى تعرف بالإنسان حيث تبدأ بسؤال نصه: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴾(١) ؟، و لم تجب السورة عن السؤال بوضوح، ولكن سياق السورة يتجه في الإجابة إلى أن الإنسان لم يكن شيئاً مذكوراً قبل أن تتوجه إليه نعمة الله تعالى فتجعله شيئاً ذا قيمة، وقد يكون هذا الأمر في بداية الخلق البشري كما أوضحته سورة السجدة في قوله تعالى: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَـٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٨ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ﴾ (السجدة: ٧-٩)، وقد يكون في بداية خلق كل إنسان، كما يقول **أستاذنا:** "إن الناس جميعاً يبدأ خلقهم بنطفة مختلطة، جعلها الله تعالى في تحول مستمر، وهذا معنى كلمة الابتلاء في أصلها اللغوي، حتى يصبح الإنسان كامل الخلق، ويظهر كمال خلقه بكمال السمع والبصر".

كما تتحدث الآية الثالثة في السورة عن الإنسان فتقرر أنه مفطور على معرفة الحق: ﴿ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ ﴾، كما أنه مختار للطريق الذي يريد ﴿ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾، ولكن الوصف بالشكر أو الكفر لا يكـــون إلا مـــع اكتمال الإرادة التي تجعله مسؤولاً أمام ربه، وذلك عند بلوغه وتمام وعيه.

٢. تتناول الآيات (٤-٢٢) مصير الكافرين والأبرار، فتمرعلى مصير الكافرين مروراً سريعاً في آية واحدة فقط (٤)، أما جزاء الأبرار فتفصل فيه كثيراً في الآيات (٥-٢٢)، وبشكل يكاد يكون من أبرز المواقع في وصف الجنة في القرآن، حيث تختتم هذه الآيات ببيان أن سعي الشاكرين مشكور فالجزاء من جنس العمل.

ولعل تركيز السورة على مصير الإنسان الشاكر الذي وضع نعم الله تعالى في موضعها، يُشعر أن الحكمة من الخلق ما يؤول إليه أهل الشكر، أي أن الله خلق الإنسان ليرحمه، ويجعل نهايته الجنة، لا ليكون معذباً في النار.

٣. والآيات في ختام السورة (٢٣-٣١) خطاب مباشر لسيدنا محمد ﷺ الذي شرفه الله بنزول القرآن عليه، للإشارة إلى عظمة هذا الإنسان الرسول واختياره ومحبة الله له، وفي ذلك حض للإنسان أن يكون من أهل الشكر، الذين يجعلون القرآن تذكرة لهم، ويحسبون الحساب لليوم الثقيل ويقدمون له، لينالوا التكريم الرباني المفصل في السورة.

والملاحظ أن الآيات الأخيرة في السورة ركزت على تذكير الإنسان بأنه محكوم بسلطة الخالق، ومضبوط بتقادير الخلق، ووجوده وذهابه مرهون بإرادته سبحانه

وتعالى، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ﴾ (٢٨)، وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾(٣٠).

وبالمجمل كأن السورة بعرضها وباسمها اللافتين تشير إلى أن **الإنسان الحقيقي** هو الذي ينجح في الامتحان، وهو الذي يستحق التكريم والمكانة بل ويستحق اسم الإنسان، أما الكفور فليس له اعتبار ولا قيمة، فهو يشبه الإنسان شكلاً ولكنه ليس (الإنسان) الحقيقي الكامل الراشد.

هداية الاسم:

من أراد أن يكون شيئاً مذكوراً فليكن شاكراً لا كفوراً

(٥٥) سورة المطففين

مكية عدد آياتها ٣٦، ورقمها ٨٣

يقول ابن فارس: "الطاء والفاء يدل على قلة الشيء. يقال: هذا شيء طفيف، ويقال إناء طفّان، أي ملآن، والتطفيف: نقص المكيال والميزان، قال بعض أهل العلم: إنما سُمي بذلك لأن الذي ينقصه منه يكون طفيفاً".(١)

تبدأ السورة بالتهديد للمطففين، ثم توضح الآيتان الثانية والثالثة من هم المطففون، قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ (١-٣)، فهم الذين يُخسرون الميزان عند بيعهم للآخرين ويوفون لأنفسهم عند الشراء منهم.

والمعلوم أن السورة مكية، والمعهود في السور المكية عدم تناول الأحكام والتركيز بشكل أساسي على العقيدة، وقد كانت التشريعات في السور المدنية حتى لأركان الإسلام الزكاة والصيام والحج، كما لم يكتمل شكل الصلاة وأحكامها إلا في أواخر الفترة المكية، ولكن يبدو أن موضوع التطفيف من الأمور المركزية في الدين ولذلك تمّ تناولها مبكّراً، لأنه يرتبط بحقوق الآخرين، كما أن التركيز عليه يعالج مرضاً خطيراً في النفس وهو الأنانية والشح، حيث إن المطفف يمارس الظلم تجاه الآخرين، فهو من جهة يستوفي حقوقه، ومن جهة يسلب حقوق الآخرين، ويبدو أن السورة وإن كانت تتحدث عن تطفيف الميزان وغُبن

---

(١) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ج٢، ٦٩)

الاخرين في التعامل المادي، ولكنها تسعى لتعزيز مفهوم قيمي هام، في العدل والتعامل مع الآخرين بموضوعية، يقول المصطفوي: "الذين لا يُوفون ما عليهم ويُنقصون في تأديته، من أي شيء **مادي أو معنوي**".[1]

ويبدو أن التطفيف مرتبط بالتكذيب باليوم الآخر، حيث ينتج عن هذا التكذيب ممارسة العدوان والانغماس في الإثم، وفي المقابل فمن علامات الإيمان باليوم الآخر تقوى الله تعالى في حقوق الناس التي ليس فيها مغفرة وقبول توبة إلا برد الحقوق إلى أصحابها، وقد ورد في الشهيد قوله ﷺ : "يغفر للشهيد كل ذنب، إلا الدَّيْن" ،[2] فالتطفيف وإن كان بالشيء اليسير ولكنه يعبر عن نفسية مريضة، كما يعبر عن عدم اكتراث بالحساب يوم القيامة الذي يحاسب الإنسان فيه على مقدار الذرة وكل صغيرة وكبيرة، لذا جاءت الآيات (٤-٦) التالية لتعريف المطففين بسؤال استنكاري: ﴿ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿٥﴾ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ ﴾.

والسؤال المهم ما علاقة هذا الموضوع ببقية آيات السورة؟

قد تظهر العلاقة من خلال العرض الآتي:

١. تتناول الآيات اللاحقة لموضوع التطفيف ذكر أهل النار وأهل الجنة، حيث يأخذ كل واحد حقه بعد الميزان الرباني العادل لأعمال العباد من غير

---

(١) التحقيق في كلمات القرآن الكريم، المصطفوي (ج٧، ١٠٤)

(٢) صحيح مسلم، مسلم النيسابوري (حديث:١٨٨٦، كتاب الإمارة، باب من قتل في سبيل الله كفرت خطاياه إلا الدين).

تطفيف، وسيكون الجزاء بناءً على كتابة الأعمال لكل فريق (كتاب الفجار، كتاب الأبرار).

٢. تشير الآيات التي تتحدث عن الفجار إلى أوصافهم التي أوصلتهم إلى الجحيم، فهم معتدون ويمارسون الإثم ومنه التطفيف، وأن ما أوصلهم إلى التكذيب بيوم الدين هو الإكثار من هذه الممارسات، ويظهر ذلك من خلال قوله تعالى: ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (١٤).

٣. وقد يظن المطففون أهم بفعلهم هذا يكسبون، ولكنه مكسب حقيقته الخسارة، والمكسب الحقيقي يكون بالحرص والتنافس على ما عند الله تعالى من النعيم والأجر والقرب منه سبحانه، كما أشار إليه قوله تعالى: ﴿ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾ (٢٦).

٤. ويأتي ختام السورة في الآيات (٢٩-٣٦) ليعرض صورة من صور التطفيف المعنوي، وذلك في استهزاء الكفار بالمؤمنين واتهامهم بالضلال والانحراف، وكأهم الآلهة المسؤولة عن البشر، كما تعرض اغتباط الكفار بما هم فيه من واقع مادي وعلاقات، ولكن تتجلى حقيقة المفارقة يوم الدين حيث الميزان الحق، فيكون ضحك المؤمنين المنعّمين من الكفار وما آل إليه حالهم.

ويبدو أن السورة تريد أن **تبني النفوس بناءً داخلياً قبل البناء القانوني لمنع التطفيف**، وهذا البناء مرتبط بالآخرة، فمهما تجتهد الأمم والدول في وضع القوانين لضبط التطفيف، إلا أن الملاحظ أن الأغنياء يجتهدون أن تميل الأمور لصالحهم، وقد قال الله تعالى عن طبيعة الإنسان دون التربية الإيمانية:

﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴾ (المعارج:١٩-٢٢).

هداية الاسم:

بناء النفس على العدل والتعامل مع الآخرين بموضوعية مادياً ومعنوياً

- من أبرز صفات المطففين الفجور ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴾ (٧)، والإجرام ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ﴾ (٢٩).
- من الأمراض المتعلقة بالتطفيف بخس الناس حقوقهم وحسناهم والتركيز على سيئاهم، ولقد فسر النبي ﷺ الكبر بقوله: "الكبر بطر الحق، وغمط الناس".[1]

(١) صحيح الجامع، الألباني (حديث ٧٦٧٤).

(٥٦) سورة البروج

مكية عدد آياتها ٢٢، ورقمها٨٥

البروج من البَرَج وهو كما قال الزبيدي: "تباعد بين الحاجبين. وكل ظاهر مرتفع فقد برج، وإنما قيل للبروج: بروج لظهورها وبيانها وارتفاعها، والبارجة: السفينة الكبيرة".[١] وقال ابن فارس: "الباء والراء والجيم لها أصلان أحدهما البروز والظهور، والآخر الوزَرُ والملجأ".[٢] والبروج كما قال الأصفهاني: "البروج: القصور، والواحد برج، وبه سُمّيت بروج النجوم لمنازلها المختصة بها".[٣] وقال الرازي: "برج الحصن ركنه، وجمعه بروج".[٤]

وبناءً على ما سبق فإن البَرَج يدور على معاني الظهور والبروز والارتفاع والملجأ، وتتضح المعاني السابقة في السورة من خلال العرض الآتي:

١. تبدأ السورة بالقسم: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴾(١): أي ذات البناء العالي الحصين الذي يشد الأبصار.

٢. تبرز السورة المؤمنين الذين وقفوا ضد الطغاة حيث أرادوا فتنتهم بسبب إيمانهم بالله العزيز الحميد، فتبوؤوا مكاناً عالياً عند ربهم: ﴿ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن

---

(١) تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي (ج٣، ٢٩٢)

(٢) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ج١، ١٢٥)

(٣) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ج١، ١٢٥)

(٤) مختار الصحاح، محمد الرازي (٣٥)

﴿تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾، كما أصبحوا أعلاماً في تاريخ الصراع ضد الكفر والطغيان، تُشدّ أبصار المؤمنين إليهم على مر العصور، فكما أن الناس تسترشد بالبروج في السماء، فإن المؤمنين الذين قدّموا أرواحهم في سبيل الله قد تحولوا إلى بروج عالية بين الناس عظيمة يُسترشد بهم، وكما أن هناك بروجاً في السماء فالمؤمنون الصادقون بروج في التاريخ.

٣. تُذكر الآيات بأن الله تعالى أكبر وأعظم، وأنه مهما كبر وعظم مكر الماكرين فالله أكبر، فتذكر الآيات أن عرش الله مجيد، وأن بطشه شديد، وأنه فعّال (بصيغة المبالغة) لما يريد، وأنه محيط بالكافرين، وبالتالي فهو الملجأ الحقيقي للمؤمنين.

٤. البروج في السماء تشد الأبصار بجمالها وعظمتها، وهي تدل على الرب العظيم الخالق، وكذلك فإن القرآن المجيد يشد الأبصار والعقول ببيانه المعجز العظيم، ويدل على الله تعالى، وهو في لوح محفوظ إشارة إلى عظمته وعلوه، قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾ (٢١-٢٢).

٥. وكما أن نجوم السماء تهدي إلى السبيل في ظلمات البر والبحر كما قال الله تعالى: ﴿وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ (النحل:١٦)، فإن كتاب الله تعالى يهدي المؤمنين ويخرجهم من الظلمات إلى النور.

٦. إن الكفار ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾ (٤)، وكذلك من ذكر في السورة ﴿فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾ (١٨) أرادوا أن يتعالوا ويبرزوا بالباطل، وظنوا أن لهم ملجأً من الله

تعالى، فدمرهم الله تدميراً، وغدوا أسماء بارزة وظاهرة في تاريخ الكفر والطغيان.

هداية الاسم:

الملجأ الحقيقي هو الله تعالى، **والعلو النهائي لحزب الله، والآخرة التي هي دار القرار ومقياس العلو الحقيقي**

(٥٧) سورة الفجر

مكية عدد آياها ٣٠، ورقمها ٨٩

يقول ابن فارس: "الفاء والجيم والراء أصل واحد، وهو التفتح في الشيء. من ذلك الفجر: انفجار الظلمة عن الصبح".[١] ويقول الأصفهاني: "الفجر: شق الشيء شقاً واسعاً... ومنه قيل للصبح فجرٌ لكونه فَجَرَ الليل، قال تعالى: ﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ (الإسراء:٧٨)".[٢] ويقول الحلبي: "وأصل الفجور الميل عن القصد".[٣] ويقول الرازي: "وفجر: فسق، وفجر: كذب، وباهما دخل وأصله الميل والفاجر: المائل".[٤] ويقول المصطفوي: "الأصل الواحد في المادة: هو انشقاق مع ظهور شيء، ومن مصاديقه انشقاق الظلمة وطلوع نور وضياء، وانشقاق في الجبل ونبوع الماء".[٥]

إذاً الفجر هو وقت بزوغ الضياء وانتشاره على الكون بعد ليل بهيم، وهو الوقت الذى يبدأ فيه النهار فى الظهور، بعد ظلام الليل، فالفجر إذن هو نهاية الليل وبداية النهار، والليل موطن الظلام والظلام فيه معنى الخوف، والظلام يعمي الإنسان عن رؤية الحقائق، **وكما أن الفجر إذا جاء ظهرت حقائق الأشياء،**

(١) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ج٢، ٤٤١)

(٢) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني (٣٧٣)

(٣) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، أحمد بن يوسف الحلبي (ج٣، ٢٤٤)

(٤) مختار الصحاح، محمد الرازي (ص ٢٥٨)

(٥) التحقيق في كلمات القرآن الكريم، المصطفوي (ج٩، ٣٢)

كذلك البشر دون الوحي والتوجيه الإلهي يعيشون في ظلمات تُذهلهم عن الحق والحقائق، فإذا جاء الوحي انكشفت حقائق الأشياء وقيمها.

ومما يدل على ما سبق الأمم التي ذُكرت في بداية السورة (٧-١٤)، حيث ذكرت كل أمة بما تميزت به من المدنية والتقدم، فإرم "ذات العماد"، وقد وصلت في التقدم أنها ﴿ لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَـٰدِ ﴾ (٨)، وأما ثمود فهم الذين وصلت قوتهم المدنية أنهم ﴿ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴾ (٩)، وفرعون هو ﴿ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴾ (١٠) ، وكلها إشارات لمدنيات علت وارتقت حتى جاوزت الأمم الأخرى رقياً ومدنية وتقدماً، ولكن غاب عن هذا الرقي الجانب الإيماني الهادي، فكان أن طغوا في البلاد ومالوا عن الحق فأكثروا فيها الفساد.

وتؤكد الآيتان (١٥-١٦) على قوة تأثير المدنية مما يؤدي إلى حصول خلل في المقاييس يذهل الإنسان عن سنن الله تعالى في الرفع والخفض، فيظن أن اتساع الرزق دليل على إكرام الله تعالى، وأن ضيق الرزق وقلته دليل على الإهانة والتحقير من الله تعالى.

وأمام هذا الانحراف المفاهيمي والسلوكي المتمثل في الإعلاء من قيمة المدنية والمال، مما يؤدي إلى الطغيان والفساد، تأتي الآيات (١٧-٢٠) توجه إلى الخلل والحل، حيث تذكر أن الخلل يتمثل في عدم إنصاف الفئات الضعيفة (اليتيم، المسكين)، وتهافت الإنسان في المجتمع على جمع المال من غير أن يكون ثمرة كده وجهده، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾ (١٩-٢٠)، والتراث: هو كل ما يحصل الإنسان عليه من غير كد

وتعب مثل الميراث، ولعل هذا يفسر سبب اندفاع هذه المجتمعات إلى الربا والقمار من أجل كسب المال الكثير بسرعة من غير تعب.

وعليه فإن الحل يكمن في مراعاة الضعفاء في المجتمع، من حيث وجوب إكرام الناس لبشريتهم وإنسانيتهم لا لمكانتهم وعزوهم، وكذلك في الحض على إطعام الناس الذين انكسروا من داخلهم أمام ضغط الحياة، مما يساعدهم على إعادة إحساسهم بالكرامة الداخلية وسد حاجاتهم الأساسية، كما ينبغي وضع المال في مكانه الصحيح، وأن لا يتحول إلى قيمة للتفاضل بين الناس.

وتأتي الآيات في ختام السورة (٢١-٣٠) لتبين أن كل من لا يدرك هذه المعاني في الدنيا، فهو في ظلام، وستبهره حقائق الآخرة بأهوالها فيدرك أن الحياة الحقيقية هي الحياة الآخرة، ويتمنى أنه لو أعد لها، أما النفوس التي أدركت هذه الحقائق فهي في نور ووضوح، وستكون في الآخرة راضية مرضية، تنعم في جنة الله تعالى.

هداية الاسم:

الرقي المادي دون نور الوحي الرباني **يؤدي بالمجتمعات إلى الفساد الداخلي والخارجي**

- الظلم يشبه الظلام كما قال ﷺ : "اتقوا الظلم فإنه ظلمات يوم القيامة"، ونهايته فيها انتهاء الظلام، وقد استخدمت الآيات بعض الألفاظ الدالة على الظلم مثل "طغوا، فأكثروا فيها الفساد"، وفي المقابل كان الإهلاك بطريقة تشبه الفجر (الانفجار والشق الواسع)، فقال تعالى: ﴿ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴾ (الفجر: ١٣).

(٥٨) سورة البلد

مكية عدد آياتها ٢٠، ورقمها ٩٠

البلد قطعة محدودة من الأرض عامرة أو غيرها، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ (الأعراف:٥٧)، يقول الأصفهاني: "البلد: المكان المختط المحدود المُتأنس باجتماع قطانه وإقامتهم فيه".[1] وهو المكان المناسب أو الأكثر مناسبة لغالبية الناس، والتجمع عادة إما أن يكون على خير وصلاح، أو على شر وفساد وانحراف.

ولكي يحصل التجمع الذي يُكَوِّن البلد فلا بد من أن يحل الإنسان بالبلد والتي يستقر فيها، ثم يكون التناسل والعلاقات بين الأفراد، وهذه الأمور لا تتأتى بسهولة ويسر فلا بد من التعب والمكابدة لبناء الحضارة والمجتمع، وهذا ما تشير إليه الآيتان(٣-٤).

وقد جاء القسم في بداية السورة بهذا البلد، وهو مكة البلد الحرام، كما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا﴾ (النمل:٩١)، والقسم بالبلد الحرام لا يتعارض مع الاسم المطلق لكل بلد، فمكة هي أول بلد على الراجح، وهي أم القرى، وفيها أول بيت وضع للناس، وبالتالي فهي النموذج الأول للبلاد.

---

(١) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني (ص ٥٩)

ويتضح من سياق السورة أنها تعالج موضوع التجمع البشري (**البلد**)، وكيف ينشأ هذا التجمع (التناسل)، وما يحتاجه لينمو ويتطور (الكبد)، ثم تعرض **لنموذج** (البلد) المؤمن الذي يتذكر أن أصل الإنسانية والبلاد، مكة المكرمة المحرمة، ويعلم أنه مسؤول أمام الله تعالى، ويُقلّل من شأن المال ولا يجعل الاستهلاك دليلاً على القوة والعظمة والعلو، ويسود فيه الإطعام والرعاية للضعفاء خاصة الأقارب، وبالتالي يتحرر أفراده من ضغط الحاجات الملحة التي تجعلهم في وضع قريب من وضع العبيد، وتكتمل صورة المجتمع الناجي، فيسود فيه التواصي بالصبر على الطاعة وعن المعصية وعلى الابتلاءات، والتواصي بالمرحمة حيث لا تكون الرحمة فقط على اليتيم والمسكين، بل تتحول إلى ظاهرة عامة بين أفراد المجتمع جميعاً.

ولعل تسمية السورة بـــ (البلد) فيها إشارتان:

١. البلد الذي يقسم الله به هو أم القرى مكة المكرمة ،التي كانت أول بلد للعالمين ومنها خرجت جموع البشرية تعمر البلدان في العالم، وفيها حلّ محمد ﷺ خير البشرية الرحمة المهداة للعالمين، الذي سيُصْلح دينه البلدان التي تتبعه وتسير على هداه.

٢. اكتمال دين الفرد لا يكون فقط عبر التفكير بالنجاة الذاتية في الآخرة، بل لا بد من التجمع الإيماني والتآزر الاجتماعي كما يُفهم من قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾، والرقي الاجتماعي في الدنيا ليس أمراً فردياً أبداً، بل من خلال الكينونة الاجتماعية المتكافلة والمتعاونة.

ويلخص **أستاذنا** لدى مراجعته للبحث دلالة تسمية السورة فيقول: "السورة ترسم صورة البلد (**المدينة الفاضلة**) ومعالم هذه الصورة:

- البلد الذي تُحترم فيه الحريات وتُطاع فيه الرسالات.
- البلد الذي يُدرك أن الكد والمكابدة قانون الفلاح الدنيوي.
- البلد الذي يستشعر المسؤولية أمام خالقه.
- البلد الذي يسود فيه الصبر والتكافل والتراحم.

هداية الاسم:

النهوض الاجتماعي لا بد له من تكافلٍ وتراحم وحرية واجتهاد، وإذا ارتبط بالخالق كان نهوضاً مثالياً (نموذجياً)

(٥٩) سورة الضحى

مكية عدد آياتها ١١، ورقمها ٩٣

الضحى كما يقول ابن عاشور: "وقت ارتفاع الشمس عن أفق مشرقها وظهور شعاعها، وهو الوقت الذي ترتفع فيه الشمس متجاوزة مشرقها مقدار ما يُخيّل للناظر أنه طول رمح".[١] يقول ابن فارس: "الضاد والحاء والحرف المعتل أصل صحيح واحد يدل على بروز الشيء، فالضحاء: امتداد النهار، وذلك الوقت البارز المنكشف".[٢] وقال الفيروزآبادي: "أضحى الشيء: أظهره".[٣] فالضحى فيه معنى الوضوح والظهور، والضحى هو بداية النهار، وبداية الحركة والنشاط.

وبناءً على ما سبق يمكن وضع القضايا الآتية لتكون بمجموعها تفسيراً لتسمية السورة بالضحى:

١. إن السورة تسلية للرسول ﷺ ، وهي كما يقول قطب: "كلها أنسام وأنداء من الود، وألطاف من القربى، وهدهدة للروح المتعب، والخاطر القلق، والقلب الموجوع".[٤]

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور (م١٢، ج٣٠، ٣٦٦)

(٢) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ج٢، ٦٣)

(٣) القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ص ١٣١١)

(٤) في ظلال القرآن، سيد قطب (ج٦، ٣٩٢٥)

وهي كما يقول البقاعي: "فذكر ما هو أشرف النهار وألطفه وهو زهرته، وأضوأه وهو صدره، وذلك وقت ارتفاع الشمس، لأن المقسَم لأجله أشرف الخلائق، وذلك يدل على أنه يبلغ من الشرف ما لا يبلغه أحد من الخلق".[1]

أي بعبارة أخرى: كما أن الضحى أول النهار الموصل إلى علوّه، فالسورة إشارة إلى أنه ﷺ في ضحى نهاره وعلوه، وبالتالي فهي بشارة باستمرار الأمر وارتفاعه وعلوه مع تقدم الوقت والزمن.

٢. بما أن الضحى فيه معنى الوضوح والظهور، فكذلك سيُظهر الله دينه الذي أرسل به محمداً ﷺ ، وسيتضح أمره.

٣. تذكير الله تعالى للنبي ﷺ بما كان من حاله قبل النبوة من اليتم والفقر وعدم الهداية، وكمال نعمته عليه في كل هذه الأمور فيه بشرى له بأن دين الله تعالى سيظهر وستستقر الأمور.

٤. من يريد أن يعلو عند الله تعالى فعليه أن لا يقهر اليتيم وأن لا ينهر السائل، أي أن يمتلئ قلبه رحمة وعطفاً على الضعفاء.

٥. دوام النعمة واستمرارها إنما يكون بالشكر للمنعم، ووضع النعمة في موضعها، والتحدث بنعمة الخالق وعزوها له سبحانه، وهذا ما كانت تتضمنه الوصية الأخيرة في السورة للنبي ﷺ ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾(١١).

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي (ج٨، ٤٥٢)

٦. إن ربط الضحى بالليل إذا سجى هو تذكير للرسول ﷺ في أكثر ساعاته ظلاماً بأن الفجر آت ثم الضحى، فكذلك أنت بعد أشد ساعات البشرية ظلمة كنت فجراً للبشرية، وحالك الآن كالضحى، وقادم أيامك فيها العلو الأكبر والوضوح الأعظم.

ويُضيف **أستاذنا** لدى مراجعته للبحث تعقيباً على اسم السورة بقوله: "إن هذه السورة هي بشارة واضحة للنبي ﷺ بكمال انتشار وعلو شأن الدين، ويتضح ذلك من خلال قوله تعالى: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾ (٥)، فما كان يتمناه النبي ﷺ وما يُرضيه هو علو شأن الدين ورفعته، أما الآيات الأخيرة من السورة فهي تُشير إلى أن المجتمع الذي يقوم على هذا الدين سيبلغ أعلى مستوى من الرقي، عندما لا يبقى فيه ضعيف وتتم مراعاة حاجاهم، وبذلك تكتمل صورة المجتمع الفاضل".

هداية الاسم:

الاعتصام بالله وشكر نعمه ومراعاة الضعفاء طريق العلو والظهور

(٦٠) سورة العلق

مكية عدد آياتها ١٩، وترتيبها ٩٦

العلق كما يقول الأصفهاني: "التشبّث بالشيء... عَلَق البكرة: آلاتها التي تتعلق بها... والعلق: الدم الجامد ومنه العلقة التي يكون منها الولد كما قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً ﴾ (المؤمنون:١٤)، والعِلْق: الشيء النفيس الذي يتعلق به صاحبه فلا يُفْرج عنه".[١] ويقول المصطفوي: "إن الأصل الواحد في المادة: هو تعلقٌ بشيء بحيث لا يكون للمتعلِّق تقوّمٌ في نفسه".[٢] وعليه فإن **أصل العلق التعلّق، أي الارتباط والملازمة.**

ورد اسم السورة في الآية الثانية وهي قوله تعالى: ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴾، ويبدو أن الآية لا تتحدث عن مراحل الخلق كما هو شائع، فهي تتحدث عن حقيقة الوجود الإنساني المرتبط بما حوله دائماً وحاجته للتعلق بالغير، ومرحلة العلقة هي مظهر لبداية هذا التعلق والحاجة، وهذا التوجيه للمعنى يشبه قوله تعالى: ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ (الأنبياء: ٣٧).

فما علاقة اسم السورة بآياتها؟

يمكن تقسيم سورة العلق إلى المقاطع الآتية:

---

(١) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني (ص ٣٤٣)

(٢) التحقيق في كلمات القرآن الكريم، المصطفوي (ج٨، ٢٤٧)

١. الآيات (١-٥) فيها الحث على القراءة، والتذكير بنعمة الله الذي علم الناس ما لم يعلموا، وهداهم إلى تسجيل خبراتهم عبر الكتابة مما أتاح لهم المراكمة في العلم والاستفادة من خبرات السابقين.

٢. تتحدث الآيات (٩-١٩) عن الذي يحارب الصلاة، وعقوبته إن استمر في ذلك، وتختم بالدعوة إلى السجود والاقتراب من الله تعالى ورفض دعوات الناهين عن الصلاة.

٣. بين المقطعين قوله تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ ﴾ (٦-٨).

وكأن هذا الترتيب يشير إلى أن تطور الإنسان في العلم وسيطرته على محيطه، يؤدي شيئاً فشيئاً إلى شعوره بالاستغناء عن الله تعالى فيطغى ويتجاوز، ومن أبرز صور طغيانه أنه يحارب المصلين ويجتهد في منعهم عن الصلاة ويستهزئ بهم.

وتشير السورة إلى أن **الصلاة هي الوسيلة المثلى لتعلّق الإنسان بخالقه،** والسجود من أهم الممارسات التي يعبر فيها الإنسان عن خضوعه وتعلقه بخالقه ورغبته الشديدة في شكره والاقتراب منه، أما الأسباب الأخرى التي توحي للإنسان أنه مستغن عن الله تعالى فهي أصلاً بفضل تعليم الله للإنسان، والأصل في العلم أن يزيد في ارتباط الإنسان بخالقه المتفضل عليه، لذا يُربَط العلمُ في

الآيات بالله تعالى: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ (١-٥).

يقول قطب في التعقيب على امتنان الله تعالى على داود وسليمان عليهما السلام بالعلم: "ولا يذكر هنا نوع العلم وموضوعه لأن جنس العلم هو المقصود بالإبراز والإظهار، وللإيحاء بأن العلم كله هبة من الله، وبأن اللائق بكل ذي علم أن يعرف مصدره، وأن يتوجه إلى الله بالحمد عليه، وأن ينفقه فيما يرضي الله الذي أنعم به وأعطاه، فلا يكون العلم مبعداً لصاحبه عن الله، ولا منسياً له إياه، وهو بعض مننه وعطاياه. والعلم الذي يبعد القلب عن ربه علم فاسد، زائغ عن مصدره وعن هدفه، ولا يثمر سعادة لصاحبه وللناس، إنما يثمر الشقاء والخوف والقلق والدمار، لأنه انقطع عن مصدره، وانحرف عن وجهته، وضل طريقه إلى الله". (١)

وبناءً على ما سبق فاسم السورة **يُذكّر الإنسان ببداياته،** كفرد وجماعات، التي كان مرتبطاً فيها بما حوله بشكل هائل، وأن العلم ساعده على السيطرة والاستقلالية، ولكن هذا فيما يتعلق بالأسباب والماديات، أما بالنسبة للتعلّق مع الله فهو ما لا انفكاك منه، بل ينبغي للإنسان أن يتذكر عبر الصلاة هذا الأمر، وأنه مهما علا وارتفع وشعر بالحرية والاستقلالية فإن مرجعه إلى الله سبحانه وتعالى ﴿ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴾ (٨).

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب (ج٥، ٢٦٣٣)

وخلاصة القول: إن الإنسان خُلق ابتداءً من شيء لا يقوم بنفسه، بل يحتاج إلى أن يقترب ويلازم ويرتبط (يتعلق) بغيره، وعلى الإنسان أن يدرك قانون الخلق حتى ينسجم في سلوكه مع هذه القوانين.

هداية الاسم:

الصلاة هي الوسيلة المثلى **لتعلّق الإنسان بخالقه والحد من طغيانه الناشئ عن شعوره بالاستغناء**

(٦١) سورة القدر

مكية عدد آياتها ٥، وترتيبها ٩٧

يقول الـــرازي: "قدر الشيء مبلغه... قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ (الأنعام:٩١): أي ما عظموه حق تعظيمه".[١] ويقول الفيروزآبادي: "القَدَرُ: القضاء، والحكم، ومبلغ الشيء".[٢]

سمّيت هذه السورة باسم ليلة القدر التي بدأ فيها نزول القرآن الكريم على محمد ﷺ، وفيها نزل القرآن الكريم كاملاً من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا.

يقول قطب: "واسم القدر قد يكون معناه **التقدير والتدبير**. وقد يكون معناه **القيمة والمقام**. وكلاهما يتفق مع هذا الحدث الكوني العظيم. حدث القرآن الكريم والوحي والرسالة.. وليس أعظم منه ولا أقوم في أحداث هذا الوجود. وليس أدل منه كذلك على التقدير والتدبير في حياة العبيد. وهي خير من ألف شهر. والعدد لا يفيد التحديد في مثل هذه المواضع من القرآن. إنما يفيد التكثير. والليلة خير من آلاف الشهور في حياة البشر".[٣] ويقول رحمه الله: "فلقد فرق فيها من كل أمر حكيم، وقد وُضعت فيها من قيم وأسس وموازين، وقد قُررت فيها من أقدار أكبر من أقدار الأفراد. أقدار أمم ودول وشعوب. بل أكثر وأعظم، أقدار حقائق وأوضاع قلوب!".[٤]

---

(١) التفسير الكبير (مفاتح الغيب)، محمد الرازي (٢٧٣)

(٢) القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ص ٤٨٤)

(٣) في ظلال القرآن، سيد قطب (ج٦، ٣٩٤٥)

(٤) المصدر السابق (ج ٦ ، ص ٣٩٤٥)

فالقدر إذاً بمعنى **المكانة العالية والقيمة العظيمة والمقام الرفيع**، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ﴾ (٣)، ولأن لها المكانة السامقة يُقَدَّرُ فيها كلُّ أمر حكيم.

ويقول ابن عاشور: "والقدر: الذي عرفت الليلة بالإضافة إليه هو بمعنى الشرف والفضل كما قال الله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ ﴾ (الدخان: ٢) أي ليلة القدر والشرف عند الله تعالى مما أعطاها من البركة، فتلك ليلة جعل الله لها شرفاً فجعلها مظهراً لما سبق به علمه فجعلها مبدأ الوحي إلى النبي ﷺ ".[١]

ويلخص **أستاذنا** معنى القدر بقوله: "تتعلق المكانة والقيمة بقيمة ومكانة الحدث وانعكاس ذلك في عالم الخير، فقيمة تلك الليلة تتناسب مع ما حصل فيها من حدث جليل، وهذا الحدث الجليل يناسبه أن يكون في تلك الليلة التي يُفْرق فيها كل أمر حكيم".

هداية الاسم:

القرآن الكريم طريق الرفعة والشرف والمكانة العالية

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور (م١٢، ج٣٠، ٤٥٩)

(٦٢) سورة العاديات
مكية عدد آياتها ١١، وترتيبها ١٠٠

يقول ابن فارس: "العين والدال والحرف المعتل أصل واحد صحيح يرجع إليه الفروع كلها، وهو يدل على تجاوز في الشيء وتقدم لما ينبغي أن يقتصر عليه".[١] ويقول الأصفهاني في معنى كلمة (عدا): "العدو: التجاوز ومنافاة الالتئام، فتارة يعتبر بالقلب فيقال العداوة والمعاداة، وتارة بالمشي فيقال له العدو، وتارة في الإخلال بالعدالة في المعاملة فيقال له العدوان والعدو"،[٢] ويضيف الرازي: "ودفعت عنك عادية فلان، أي: ظلمه وشره".[٣]

والعاديات في السورة هي بمعنى الخيل المسرعة، فقوله تعالى في الآية الأولى: ﴿ وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ ضَبْحًا ﴾، قسم بالخيل لحظة عدوها السريع حيث تُخرج صوتاً مسموعاً نتيجة الإسراع الشديد.

ولفهم علاقة مواضيع السورة باسمها لا بد من استعراض هذه المواضيع، حيث يُمكن تقسيم السورة إلى ثلاثة أقسام:

١. يُصور القسم الأول (١-٥) الخيل مسرعة، ومن شدة سرعتها يعلو صوت لهيثها فيكون مسموعاً (الضبح)، كما يتطاير الشرر من تحتها نتيجة سرعتها واحتكاك سنابكها بالحجارة والصخور، ويكتمل المشهد وتفاصيله عندما

---

(١) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ج٢، ٢٣٠)

(٢) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني (ص ٣٢٦)

(٣) مختار الصحاح، محمد الرازي (٢٢٤)

يكون زمان الحدث في الصباح حيث يختلط فيه الظلام بشمس لم تُشرق بعد، فيُرى النقع وهو الغبار الذي يُحدثه العدو السريع الشديد للخيل، أما نهاية المشهد فتكون بتوسط الخيل للجمع خياماً أو بيوتاً أو أشخاصاً.

٢. أما القسم الثاني (٦-٨) فيذكر بعض صفات الإنسان، ومنها حبه الشديد للخير والمال، وجحوده لنعم الله عليه (كنود)، مع أنه لو طُلب للشهادة بكل تجرد لشهد بنعم الله تعالى، وبقلة شكره بل وجحوده.

٣. وتختم السورة في القسم الثالث (٩-١١) بالتذكير بيوم القيامة الذي تتبعثر فيه القبور، ومشهد البعثرة فيه الخروج السريع المثير للغبار، وبعد هذا المشهد يتولى من ولاه الله تعالى تحصيل ما في الصدور مما عمل المكلفون في حياتهم السابقة، وهذا التحصيل ليس إلا شهادة إضافية على الإنسان لا تزيد شيئاً على ما يعلمه الخبير العليم.

من خلال العرض السابق قد يكون اسم السورة رسالة تحمل معنى **السرعة**، فالعاديات هي الخيل المسرعة، والإنسان يسرع في الجحود كإسراعه في الخير، والدنيا سريع انقضاؤها، والقيامة سريع قيامها، وسريع، مهما طال، حسابها، وسريع فيها دخول الجنة والنار، وكما أن الخيل سريعة ما تلبث أن تمر، كذلك الناس في الدنيا يمرون فيها بسرعة وإذا هم بين يدي الله تعالى.

وقد يكون اسم السورة للإشارة إلى **المفاجأة** التي تكون للبشر بقيام الساعة التي تاتي مسرعة بغتة، كما يُفاجأ القوم النائمون في الصباح بالعدو المقتحم لتجمعهم بسرعة شديدة مباغتة حيث لا يملكون شيئاً من المقاومة والدفع، وهذا حال

الناس عند قيام الساعة تأتيهم بغتة فلا يملكون ردها ولا دفعها، قال الله تعالى: ﴿ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (يس:٤٩-٥٠)، ولعل ورودها بين سورتي الزلزلة والقارعة ما يؤكد هذا المعنى والله أعلم.

هداية الاسم:

الدنيا تمر سريعاً، والآخرة تأتي بغتة، والعاقل من يستعد للحساب بين يدي العليم الخبير

(٦٣) سورة القارعة

مكية عدد آياها ١١، ورقمها ١٠١

القرع، كما يقول الأصفهاني: "ضرب شيء على شيء"،[١] ويقول ابن منظور: "هو الضرب بشدة بحيث يحصل منه صوت شديد، ثم سميت الحادثة العظيمة من حوادث الدهر بالقارعة أو الشديدة من شدائد الدهر، كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوۡ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمۡ ﴾ (الرعد: ٣١)".[٢] ويقول الرازي: "والأقرع الذي ذهب شعر رأسه ... والقَرَع أيضاً مصدر قولك قَرَع الفناء، أي: خلا من الغاشية".[٣]

وسميت القيامة بالقارعة لأنها **تقرع القلوب والأسماع بفنون الأفزاع والأهوال،** وقد جاء هذا الاسم في الآية الأولى من السورة في كلمة واحدة، تلا ذلك الاستفهام مرتين عن هذا الاسم، وذلك في قوله تعالى: ﴿ ٱلۡقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ﴾ (الآيات: ١-٣)، ولم ترد هذه الكلمة في القرآن الكريم إلا في هذه السورة وفي آية الرعد السابقة، وفي سورة الحاقة في قوله تعالى: ﴿ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ وَعَادُۢ بِٱلۡقَارِعَةِ ﴾ (الحاقة: ٤).

وقد يكون هذا الاسم إشارة إلى ما يصيب البشر والخلائق جميعاً من أثر الهول والصيحة التي تصيبهم جميعاً، فالقارعة هي المقدمة التي ينتج عنها الأثر، ومن

(١) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني (ص ٤٠١)

(٢) لسان العرب، ابن منظور (ج٨: ٢٦٥)

(٣) مختار الصحاح، محمد الرازي (٢٧٧)

آثارها الخلو والذهاب، فالقارعة ينتج عنها ذهاب الجبال وذهاب البشر بحيث تصبح الأرض خالية من الناس وما عليها من جبال، فهي من شدتها تقرع الناس وتقرع الأرض، وقد كان من عذاب الله تعالى لقوم ثمود قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴾ (القمر: ٣١)، يقول القاسمي في تفسير هذه الآية: "كالشجر اليابس المتكسر، الذي يتخذه من يعمل الحظيرة للغنم ونحوها، وكالحشيش اليابس الذي يجمعه صاحب الحظيرة لماشيته في الشتاء... وهو تشبيه لإهلاكهم وإفنائهم، وأنهم بادوا عن آخرهم، ولم يبق منهم باقية، وخمدوا وهمدوا، كما يهمد وييبس الزرع والنبات بعد خضرة ورقة، وحسن نباته".[1]

وقد عرضت السورة أحداث يوم القيامة بما يشير إلى الحال يومئذ من أثر القرع، فيكون الناس كالفراش المبثوث، والجبال كالصوف المصبوغ بدون وزن وذلك في الآيات (٤-٥)، ثم تعرضت السورة إلى موضوع الميزان يوم القيامة في قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴾ (٦)، ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴾ (٨)، وتكون نتيجة البشر بناءً على هذه الموازين، حيث يسعد المستعدون لذلك اليوم سعادة كبيرة، ويشقى المكذبون شقاءً عظيماً.

هداية الاسم:

ضرورة الاستعداد والإكثار من الصالحات لهذا اليوم العظيم الذي يقرع القلوب والأسماع، فالفوز للعاملين عظيم، والخسارة للمقصرين والمعرضين كبيرة

---

(١) محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي (ج٨، ٥٥٠)

(٦٤) سورة التكاثر

مكية عدد آياها ٨، ورقمها ١٠٢

يقول ابن فارس: "الكاف والثاء والراء أصل صحيح يدل على خلاف القلة".[١]
ويقول الأصفهاني: "والمكاثرة والتكاثر: التباري في كثرة المال والعز".[٢]

فالتكاثر هو الرغبة في الزيادة من المال والأولاد والجاه والأقرباء والأنصار والجيش، وبالجملة يدخل في رغبة التكاثر كل ما يكون من الدنيا ولذاها وشهواها، وهذه الرغبة تعني أننا نعطي قيمة كبيرة لهذه الأشياء، وهذا الاندفاع نحو التكاثر يشغل الإنسان حتى يجعل حاجزاً بينه وبين العلم الأهم وهو العلم المتعلق بالآخرة، ولكن سرعان ما يزول هذا الحاجز بزيارة القبور أي بالموت. ولو تمكن الإنسان من الحصول على العلم اليقيني عن الآخرة لما غرق في التكاثر، ولكان أكثر ما يضع نصب عينيه أهوال يوم القيامة.

وفي ذلك اليوم سوف يُسأل الإنسان عن النعيم الذي كان فيه، قال ﷺ: "لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع خصال: عن عمره فيما أفناه، وعن ماله من أين اكتسبه، وفيما أنفقه، وعن علمه ماذا عمل فيه". [٣] فإذا انشغل الإنسان بهذا النعيم عن الآخرة وتلّهى به عن الاستعداد لها، فسيكون ندمه عظيماً.

---

(١) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ج٢، ٤٣٥)

(٢) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني (٤٢٦)

(٣) صحيح الجامع الصغير، الألباني (٧٢٩٩)

ويضيف **أستاذنا لدى مراجعته للبحث** تعقيباً على دلالة اسم السورة بقوله: "إن رغبة الإنسان في التكاثر تستمر معه حتى الممات، ولا بد من التنبه إلى هذه الحقيقة حتى لا يؤدي التكاثر إلى الغفلة عن حقائق الوجود الدنيوي والأخروي، ولإيجاد التوازن بين رغبة الإنسان الشديدة في التكاثر وعدم غفلته، **لا بد من استخدام الترهيب والتذكير بالآخرة**".

هداية الاسم:

العلم بأهوال يوم القيامة يمنع الالتهاء بالتكاثر

- تعبير ﴿ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ ﴾ فيه دلالة على أن القبر مرحلة مؤقتة توصل الإنسان إلى الآخرة، فهو مكان للزيارة فقط ينتقل بعده الإنسان إلى دار القرار.

(٦٥) سورة العصر
مكية، عدد آياتها ٣، ورقمها ١٠٣

يقول ابن فارس: "العين والصاد والراء أصول ثلاثة صحيحة: فالأول دهر وحين، والثاني ضغط شيء حتى يتحلب، والثالث تعلق بشيء وامتساك به".[١]
ويقول المصطفوي في معنى العصر: "زمان مخصوص منتخب قد اعتصر من سابقه وهو خلاصة مما مضى وعصارة منه، ففيه عصر وامتياز خاص، ولا يطلق على مطلق الزمان والحين والدهر وغيرها. فزمان العصر وهو آخر النهار، وهو وقت محدود مضيق باق من امتداد النهار، فيسرع إلى إتمام الأعمال اليومية وتكميلها فيه، ليتحصل المطلوب من جريان الحركات اليومية... وإذا أطلق على زمان من دون لحاظ قيود الأصل: فهو تجوُّز".[٢]

إذن معنى العصر هو أحد أمرين: **الزمن** سواءً كان مخصوصاً أو مطلقاً، أو **صلاة العصر**، ولعل تسمية السورة بهذا الاسم يعود إلى الأمرين، مع أن الأول أظهر وهذا لأن **الزمن** هو توالي اللحظات، وتوالي اللحظات هو الإنسان في الحقيقة، لأن الظرف أو المحتوى الذي يمكن للإنسان أن يعبر فيه عن نفسه هو الوقت والزمن، وتوالي اللحظات يؤدي إلى خسارة الإنسان لجزء من عمره، لذلك هو في خسارة مستمرة بسبب فقدانه للفرصة المتاحة له.

---

(١) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ج٢، ٢٧٧)

(٢) التحقيق في كلمات القرآن الكريم، المصطفوي (ج٨، ١٧٨)

ومن هنا نفهم العلاقة الواضحة بين اسم السورة وكلماها، فاسم السورة الزمان، والزمان نهر جار لا يملك أحد أن يبقي منه شيئاً يمكن الاستفادة منه لاحقاً، أي أنه غير قابل للتحويل أو التخزين أو التجميد، ولكن مجموعة من الناس وعبر التزامها بمبادئ أساسية ستة تُحوّل العصر إلى عملة قابلة للصرف فيما بعد، أي ذات قيمة خارج عصرها، وهو عصر الآخرة أو زمان الآخرة، فيستغل هذه الفترة القصيرة المتاحة ليحولها إلى حسنات.

والمبادئ الستة هي: الإيمان، عمل الصالحات، الالتزام بالحق، التواصي بالحق، الصبر، التواصي بالصبر، أما الإيمان فهو أساس قبول الأعمال والدافع لها، وخاصة الإيمان باليوم الآخر، فمن فقد الإيمان فهو على غير هدى، يمشي مكباً على وجهه، ويوم القيامة: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ (الفرقان:٢٣).

والعمل الصالح هو نتيجة الإيمان الصحيح وهو دال عليه، وحتى يكون العمل صالحاً لا بد أن يتوافر فيه شرطان: الاتباع والإخلاص كما جاء في قوله تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ (الكهف: ١١٠).

والتواصي بالحق لأن كل الأعمال قد تتعرض للخطأ والابتعاد عن الصواب، أو قد يظن الإنسان صلاحها وهي غير ذلك، أو قد يظن صاحبها أنها الأحسن وهي الحسن، لذا لا بد من المراجعة من مجموع المؤمنين، والتواصي فيما بينهم للوصول إلى الأحسن والأكثر فعالية في الدنيا والآخرة.

أما التواصي بالصبر فلأن الإنسان مع مرور الأيام قد تضعف همته، وقد يتعرض للضغوط والفتن بسبب التزامه وحرصه على الأحسن، فلا بد من التواصي بالصبر، فالنصر صبر ساعة، فقد ينكسر الإنسان وليس بينه وبين النصر غير هذه الساعة فيضيع ما عمل، والعياذ بالله تعالى.

وهكذا فإن السورة في كل معانيها التي تتضمنها، تدور حول الزمان، وبالتالي فإنها منسجمة مع اسمها (العصر)، ويتضح قول الشافعي رحمه الله تعالى الذي نقله ابن كثير رحمه الله: "لو تدبر الناس هذه السورة لوسعتهم".[1]

أما المعنى الثاني للعصر، وهو **صلاة العصر** فلعل في التركيز عليه وتسمية السورة به، لأن المحافظة على الصلاة تعبير عن الإيمان وهي عمل صالح، وهي من الأمور التي تحتاج إلى الصبر، وقد ذكر كثير من العلماء أنها الصلاة الوسطى في قوله تعالى: ﴿ حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ ﴾ (البقرة:٢٣٨)، وقد خُصّت بمزيد من التأكيد والأمر بالمحافظة عليها، والتغليظ لمن يُضيّعها، ومنها قوله ﷺ : "من فاتته العصر فكأنما وتر أهله وماله"،[2] أي ليكن حذره من فوات صلاة العصر كحذره من ذهاب أهله وماله.

ويضيف المصطفوي معنى جميلاً لاسم العصر فيقول: "الأصل الواحد في المادة: هو ضغط في شيء لتحصيل نتيجة منظورة. كما في عصر العنب لاستحصال مائه... ومنه المعصرات: السحب... وهذه السورة المباركة نزلت في مكة حين

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (١٨٧٣)

(٢) صحيح مسلم، مسلم النيسابوري (حديث ٦٢٦)

شدة الابتلاء وبتعرض الأعداء من قريش، وفي زمن اشتدت العداوة والبغضاء والضغطة منهم على النبي ﷺ والمسلمين، وذلك لتوغلهم في الحياة الدنيا والشهوات والانحرافات الفكرية والعملية، ويشار إلى هذا في السورة التي قبلها ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾، وفيما بعدها ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾. فكان المسلمون يطلبون الحق ويسلكون إلى الحقيقة ويعملون الصالحات ويتواصون بالحق ويتواصون بالصبر كما في السورة. فهم فيما بين هؤلاء الكفار يتحملون الشدائد والأذى والتعدي، وكانوا في اعتصار في المعيشة الظاهرية وفي ضغط منهم... ولا يخفى أن العصر منشأ كل خير وسبب كل صلاح وفلاح، ولا ينال أحد مرتبة رفيعة إلا بالعصر، فإن الاعتصار هو الموجب لاتخاذ العصارة والخالص الصافي من كل شيء في أمور مادية أو معنوية".[1]

وكما أن العصر آخر النهار وختامه يركز الدين على **خواتيم الأمور** ويجعل العبرة بها، ويوصي المسلمين باغتنام الأوقات قبل انقضائها، فكأن السورة تنبيه للمسلم على الاهتمام بالمبادرة بإصلاح الشأن للابتعاد عن الخسران والله أعلم.

هداية الاسم:

المؤمن يحرص على أن لا تفوت الأوقات دون عمل واستعداد للحظة الموت

(١) التحقيق في كلمات القرآن الكريم، المصطفوي (ج٨، ١٧٦-١٧٩)

(٦٦) سورة الهمزة

مكية، عدد آياتها ٩، ورقمها ١٠٤

يقول ابن فارس: "والهماز: العياب، وكذا الهمزة".[١] ويقول الأصفهاني: "يقال رجل هامز وهماز وهمزة، وهمز الإنسان اغتيابه"،[٢] ويقول عن اللمزة: "رجل لمّاز ولُمزة: كثير اللمز".[٣]

إذاً **الهُمزة:** الشخص الذي يكثر من الهمز على الآخرين، ويكون الهمز **بالإشارة** باليد أو الرأس أو بالعين بقصد السخرية من الآخرين والاستهزاء بهم والتقليل من مكانتهم.

ورد اسم السورة في الآية الأولى من السورة في قوله تعالى: ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾، والملاحظ أن السورة بدأت بالتهديد، ولم تشترك معها سورة في هذا الاستهلال عدا سورة المطففين في قوله تعالى: ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴾ ، **فلماذا سُمّيت السورة بالهُمَزَة؟**

قد يكون الجواب على ذلك أن السورة **تُحلّل الدافع إلى هذا السلوك، كما أنها تُظهر خطورته،** أما من ناحية التحليل للدافع فإن السورة تُشير إلى أن المشكلة تكمن في اعتقاد الشخص بأهمية المال، وأن ما يملكه من مال دليل على مكانته

(١) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ج٢، ٦١٣)

(٢) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني (ص ٥٤٦)

(٣) المصدر السابق (٤٥٤)

الرفيعة عند الله، حيث يظن أن المال الكثير المتنوع الذي جمعه يعطيه قيمة ذاتية ترفعه عن بقية البشر في الدنيا والآخرة (أخلده)، وما دام يشعر أنه فوق العباد فلا حرج عنده أن يحتقر الآخرين ويزدريهم.

ولكي تكتمل الصورة تعمد السورة إلى بيان نتيجة هذا العمل، حيث إن الإنسان الهُمزة (رجلاً أو امرأة) سيُنبذ في الحطمة، والنبذ هو الإلقاء بازدراء وإهمال، فالجزاء من جنس العمل، لأنه قد تعالى على الناس فتكون نتيجته النبذ في الحطمة، وهي أيضاً على وزن الهمزة نفسه، فما دام الإنسان قد تكبر على البشر فإن النار ستُعيده إلى قيمته الحقيقية، فتُدمّره وتُحطّمه تحطيماً.

وهذه النار تطلّع على الأفئدة، والاطلاع أحد أمرين: إما أنها تحرق الجلد واللحم وصولاً إلى الأفئدة، كما نقل ابن كثير عن محمد بن كعب: "تأكل كل شيء من جسده، حتى إذا بلغت فؤاده حذو حلقه ترجع على جسده"،[1] وهذا دليل على شدتها وخطورة الذنب، أو أنها مطلعة على القلوب وبالتالي تصب من لهيبها على الناس بمقدار ما كان في قلوبهم من خلل.

كما أن هذه النار مغلقة ﴿مُّؤْصَدَةٌ﴾ بإحكام ﴿فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾ ، وهذا للإشارة إلى خطورة هذا الفعل الذي قد يوصل صاحبه إلى الكفر فيخلد في النار.

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (ص ١٨٧٤)

وقد يتساءل الإنسان عن سبب تسمية السورة بالهمزة وليس اللمزة، مع أن اللمز أشد لأنه **كلام أو فعل مباشر** يقصد به السخرية من الآخرين والاستهزاء بهم والتقليل من مكانتهم؟

قد يكون السبب **للتنبيه والتحذير مما يُبدأ به عادة**، أو ما يتجاسر عليه الإنسان بداية، حيث يصل إلى الممارسة الأكبر بعد حين، فكأنها تنبيه إلى أن الوصول إلى الأكبر خطير جداً.

ويضيف **أستاذنا** لدى مراجعته للبحث تعقيباً على هذه السورة: "لا بد من التنبه إلى ما يُورثه الغنى والثراء من استخفاف بالآخرين والغض من مكانتهم وإنسانيتهم، وهذا مرض في القلب يُعبَّر عنه بطرق مختلفة، وهذا واقع غالبية المترفين الذين أطغاهم ثراؤهم، كما قال الله تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾ (العلق:٦-٧)، ولعلاج هذا المرض الخطير لا بد أولاً من إدراك الغني لضعفه وشعوره بالافتقار إلى الله تعالى وإيقانه بالموت".

هداية الاسم:

إدراك الإنسان
لضعفه وشعوره بالافتقار إلى الله تعالى مانع من احتقاره للآخرين

- معنى (**عدّده**): كثّره واهتم بعدده، أو نوّع مصادره وطرق استثماره

(٦٧) سورة الفيل

مكية، عدد آياڤا ٥، ورقمها ١٠٥

تتحدث سورة الفيل عن الحادثة المعروفة عند العرب، التي حصلت قبل البعثة بأربعين سنة في العام الذي ولد فيه الرسول ﷺ ، وملخص الحادثة أن أبرهة الأشرم أحد زعماء الحبشة قرر هدم الكعبة، واستقدم لذلك جيشاً عظيماً ومعهم الأفيال، ولما وصل مكة المكرمة أرسل الله تعالى ﴿طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ ترمي جيش أبرهة ﴿بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾، فأصبح الجيش ﴿كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾. ولا ندري هل سمّى العرب العام الذي حدثت فيه هذه الحادثة بعام الفيل، أم أن هذه التسمية كانت متأثرة بسورة الفيل، ولكن يمكن القول إن التأريخ بميلاد النبي ﷺ كان مرتبطاً بها، وهذا يدل على أثرها بين العرب على الأقل وشيوعها بينهم.

والقارئ للسورة على خلفية القصة يمكن أن يلاحظ بسهولة أن الفيل ليس هو الأبرز في القصة، أو كما يُقال ليس "بطل القصة"، فلماذا سميت السورة باسم "الفيل" ولم تُسمّ مثلاً "الأبابيل" أو "السجيل" أو "العصف المأكول"؟ فالطير مثلاً هي التي غيرت اتجاه الحدث، والحجارة سلاح جديد بارز.

يمكن أن يكون لتسمية السورة بالفيل إشارة إلى **العِظَم والضخامة**، ويبدو أن الحدث بتفصيلاته المختلفة فيه ضخامة من خلال ملاحظة الآتي:

١. إن الكيد الذي كاده أصحاب الفيل كان كيداً عظيماً متمثلاً في رغبتهم وتخطيطهم المحكم لتحقيق هدفهم، كما أن وجود الفيل ضمن هذا الجيش يدل على قدرات متميزة عند أصحابه، حيث استطاعوا أن يسخروا الفيل في

أعمالهم الحربية، واستطاعوا أن يعبروا به الصحراء، فالكيد كان عظيماً لإيصال جيش عظيم إلى نقطة في أعماق الصحراء، فلم تكن مجرد نزوة أو شهوة عابرة، بل إن الأمر قد احتاج إلى إعداد عظيم.

٢. إن هدف الغزاة كان ضخماً، حيث إنهم يهدفون إلى تدمير أول بيت وضع للناس، أو نقله إلى مكان آخر، وهو أمر عظيم، لأن تغيير مكان البيت يعني أن تفقد البشرية مقوماً مهماً من مقومات حياتها كما ورد في قوله تعالى: ﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ ﴾ (المائدة:٩٧).

٣. لقد كان الجند الذين أرسلهم الله عليهم جنداً عظيماً بسلاح عظيم، فالطير المتتابعة وهي ترمي بحجارة نارية من السماء أمر يلقي الخوف والرعب والرهبة، وخاصة عندما يرى الإنسان ما يحصل للجنود على الأرض.

٤. ما حصل لأصحاب الفيل كان أمراً عظيماً، فقد تحول الجند بعد أن تفتّت لحمهم من الحجارة إلى عصف مأكول، أي كورق الزرع الذي أكلته الدواب وداسته بأرجلها.

بناءً على ما سبق يمكن القول إن تسمية السورة بالفيل للدلالة على **الضخامة:** ضخامة الحشد، وضخامة الكيد، ضخامة العقوبة، فقد كان يوماً من أيام الله تعالى تجلت فيه قدرته وعقابه للباغين والمعتدين على بيته الحرام، وفي الأمر امتنان على قريش بحماية البيت المعظم، وتهديد لهم بقوة الله المنتقم، وتنبيه قريش أو تذكيرهم بما ظهر من كرامة النبي ﷺ عند الله إذ أهلك أصحاب الفيل في عام ولادته.

هداية الاسم:

مهما عظم كيد الكفار فإن كيد الله أكبر وأعظم

- يظن الباحثان أنه قد يكون لهلاك جيش أبرهة الغازي للكعبة آثار عظيمة في التاريخ، وهذا استنتاج يحتاج إلى مراجعات تاريخية علمية لتأكيد صحته أو تفنيده.

(٦٨) سورة قريش

مكية عدد آياتها ٤، وترتيبها ١٠٦

يقول ابن فارس: "القاف والراء والشين أصل صحيح يدل على الجمع والتجمع، فالقرش: الجمع، يقال: تقرشوا إذا تجمعوا، ويقولون إن قريشاً سميت بذلك".[١] ويضيف المصطفوي: "وقيل لقرشهم عن حاجة المحتاج وسد خلته. وقيل من التقاريش وهو التجارة".[٢]

سميت هذه السورة باسم قبيلة قريش التي كانت تسكن مكة المكرمة، وينتسب إليها النبي ﷺ ، وهي القبيلة الزعيمة بين العرب، ولها السيادة، ولقوافلها الأمان عبر أحلافها مع العرب، كما كانت لغة قريش أكثر لغات العرب تطوراً، وقد نزل القرآن بها، وعندما تم الجمع الثاني في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه أمر اللجنة المكلفة بالأمر فقال: "إذا اختلفتم أنتم وزيد في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنه إنما نزل بلسانهم".[٣]

والسورة تتحدث عن قريش، وتُحلل العناصر التي أدت إلى أن تكون قريش في المكانة السابقة، ومن المنطقي والطبيعي أن يكون اسم السورة (قريش)، لأن السورة تتحدث عن قريش، ولكن تسمية السورة يمكن أن يكون **رمزاً للقبيلة السائدة**، وبالتالي يمكن الاستفادة من عوامل قوتها لكل أمة تريد أن تسود ويعلو

---

(١) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ج٢، ٣٩٢)

(٢) التحقيق في كلمات القرآن الكريم، المصطفوي (ج٩، ٢٦٣)

(٣) مباحث في علوم القرآن، مناع القطان (١٢٩)

شأنها. ومن أهم مظاهر سيادتها أنها لم تتعرض إلى هزّات من الجوع والخوف، بل هي تُطعم الحجيج، وهي آمنة بل تعطي الأمن لمن يأتيها ويدخل بلدها، ولم يبق الإطعام والأمن مقتصراً على قريش، بل أصبح ينعم به كل من يدخل أرضها، مكة، وهذا ساعد على تثبيت سيادتها.

فما العناصر التي جعلت من قريش: القبيلة القائدة؟

١. **الإيلاف**: وهي ما قامت به قريش من معاهدات مع القبائل على طول طرق رحلاتها، وتقضي بعدم الاعتداء على قوافلها التي تسير على هذه الطرق، والمُتصوّر أن وجود البيت العتيق في مكة، سهّل وساعد على عقد هذه المعاهدات، وهذا كان مفتاحاً لما بعده، فما كان للقوافل أن تستمر بالسير، والإطعام أن يحصل – وهما أهم مظهرين لاستقرار هذا المجتمع وسيادته- لولا هذه المعاهدات والعهود.

٢. **الجد والاجتهاد**: بناءً على العهود مع القبائل كان إيلافهم، أي اعتيادهم، على رحلة الشتاء والصيف، فهم يسافرون في الصيف والشتاء، وهذا يدل على إدراكهم لطبيعة موقعهم واستفادتهم من هذا الموقع، وهو يدل على حكمة، حيث يتجهون بالتجارة مع عوامل الطبيعة لتعينهم، هو باختصار يدل على طبيعة حكيمة ونشيطة لقريش، إذ لو كانوا يميلون إلى الدعة والخمول، والاكتفاء بما يأتي به الحجيج ما استطاعوا أن يبلغوا هذه المترلة.

٣. **السفر**: والمقصود به رحلة الشتاء والصيف، حيث إن هذه الرحلات أفادتهم فوائد منها:

- اطلاعهم على الحضارات الأخرى، وبالتالي كانوا على وعي بما يجري حولهم في العالم، ولم يكونوا منعزلين عما يحدث، فعزلتهم كانت عزلة جغرافية، ولكنها لم تمنعهم من الاطلاع على الحضارات الأخرى، وبالتالي النمو العقلي.
- مكنتهم أيضاً من أن يكونوا على اطلاع على جغرافية البلدان المختلفة، وهذا يفسر سبب كون معظم القيادات العسكرية للجيوش الإسلامية كانت قرشية، حيث إنها كانت على خبرة بالطرق والأماكن، وبالظروف الدولية، وخبرة بالأعداء، ولعل هذا الإعداد كان من العناصر التي مكنت هذه القيادات من تحقيق نجاحات عسكرية باهرة.

٤. **البيت الحرام:** إن وجود الكعبة في مكة قد سهل لهم الإيلاف، ولعلّ سبب تأخير ذكره في السورة، مع أنه الأهم، لأنه ما كان يمكن لهم أن يستفيدوا من هذا الوجود لولا صفاتهم الاجتماعية التي ذكرناها. ولكن يبقى هذا البيت محور وجودهم، ولولا ذلك ما قامت لقريش قائمة، ولذلك فهو يدعوهم إلى عبادة الله، الذي هو رب البيت، أي هو الراعي لهذا البيت، والمدبر لأمره، وبالتالي فهو الراعي والمدبر لأمور قريش، وهو الذي يسر لهم كل ما هم فيه. إن رب البيت، وتبعاً له البيت، هو الذي جعل لقريش مكانتها وقيمتها، وإن السبب الأساس لمكانة قريش هو تعظيم العرب، كل العرب، لهذا البيت، وبالتالي فهو ينبههم إلى عبادة رب البيت الحرام.

ويُلخص **أستاذنا** لدى مراجعته للبحث دلالة الاسم بقوله: "إن قريشاً مثال للقبائل والأمم، فرغم ظروفها من حيث المكان بواد غير ذي زرع، فالجوع فيه هو القاعدة، والمحيط في حالة صراع وحروب ثأرية، وغزو، وسبي وصعلكة، فعلى الرغم من ذلك كله فقد كانت قريش آمنة تأتيها أرزاقها وتزدهر تجارتها، وكل ذلك بسبب الدين الذي كانت تعلن الاعتقاد به، وبسبب وجود البيت الحرام الذي تُعظّمه وتُكرم حجيجه، ومثل هذه النعمة تقتضي الشكر بعبادة الله وحده لا شريك له".

هداية الاسم:

الالتزام بالدين مع الجد والعمل من أهم أسباب الرفعة والسيادة للأمم

- جاءت سورة الفيل في ترتيب المصحف قبل سورة قريش للتأكيد على فضل الله تعالى على قريش، وتذكيرهم بمثال عظيم لرعاية الله لهم، وتنبيههم على مكانة البيت الحرام.

(٦٩) سورة الماعون
مكية عدد آياتها ٧، ورقمها ١٠٧

الماعون لغة كما يقول الرازي: "اسم جامع لمنافع البيت كالقدر والفأس ونحوهما"،[١] ويقول المصطفوي في معنى الماعون: "مما هو من أساقط لوازم البيت ومن محقرات الوسائل".[٢]

ويعرف **أستاذنا** الماعون بكلمات معاصرة فيقول: "هو ما تواطأ عليه المجتمع من معروف يبذله كل أحد، ومن أمثلته العارية التي يُنتفع بها وتُرد، ويُنسب مانعه إلى سوء الخلق ولؤم الطبيعة".

تبدأ السورة بالسؤال عن الذي يُكذب بالدين، حيث تُعرّفه بأنه:

١. الذي يدع اليتيم، والدع لليتيم أبلغ صور الجلافة لأنه صغير فاقد للنصير، وهو في مقام يستجلب اللين والرحمة والعطف.

٢. عدم الحض على طعام المسكين، فهو لا يمارس أدنى عاطفة تجاه المسكين بالدعوة إلى إطعامه.

والذي يبدو لأول وهلة أن اسم السورة الذي جاء في آخر كلمة فيها، ليس هو محورها الواضح، فالسورة ذكرت عدة ممارسات سلبية، ومنع الماعون هو أقلها سلبية، فهو أقل من دع اليتيم وإهانته دون رحمة، وهو أقل من عدم الاهتمام

---

(١) مختار الصحاح، محمد الرازي (٣٢٤)

(٢) التحقيق في كلمات القرآن الكريم، المصطفوي (ج١١، ١٤٧)

بالمساكين الذين يحتاجون للمساعدة بشكل جدي، فلماذا سُمِّيت السورة بهذا الاسم؟

قد يكون في ذلك إشارة أو دلالة على أن **منع الماعون أمر مركزي** في تعريف الذي يكذب بالدين، وإعطائه أهمية خاصة للابتعاد عنه، فقد يكون هو **البداية** التي توصل إلى التكذيب بالدين، كما قد يكون **نتيجة** دالة عليه، ولتوضيح ذلك:

- إما أن يكون **بداية**، وفي ذلك توجيه للمؤمن حول كيفية تكوّن المرض الخبيث (التكذيب بالدين)، فالأمر يبدأ بمنع الخير القليل عن الناس، أو منع إعارتهم الأدوات التي هي قليلة القيمة نسبياً، ولا يُسبب استخدامها من قبل الآخرين نقصاً ذا قيمة، وعندما تصل الدناءة بإنسان فيحبس أقل المعروف عن الناس، فإنه يكون عرضة، إن لم يتدارك نفسه، للانحدار وصولاً إلى دع اليتيم وعدم الحض على طعام المسكين، وبالتالي التكذيب بالدين.

إذاً اسم السورة دلالة على خطورة ترك السلوك الاجتماعي المفيد، وأن الإنسان الذي يمنع الخير عن الناس ولو بأقله (الماعون)، أو بالكلمة (الحض على طعام المسكين)، كما أن الذي يعتدي على الضعفاء مثل (اليتيم)، فإنه في الحقيقة هو المكذب بالدين، لذلك كان اسم السورة بأقل هذه الأمور ليُعدّل الإنسان من سلوكه نحو مجتمعه، ويقدم الخير للآخرين، صيانة لقلبه، ومنعاً من الانزلاق إلى الجرائم الكبرى المتمثلة بدع اليتيم وعدم الحض على طعام المسكين وبالتالي يصبح من المكذبين بالدين.

- والاحتمال الثاني أن تكون هذه الممارسة **نتيجة** للتكذيب بالدين دالة عليه، حيث إن المكذب بالدين يتصف بهذه الصفة حتى تصبح سمتاً له، حيث لا يدفعه إيمان ولا احتساب للأجر في الآخرة إلى فعل أقل الخيرات كلفة وجهداً.

هداية الاسم:

عدم الاهتمام بالأخلاق الاجتماعية طريق للكفر أو علامة عليه

(٧٠) سورة الكوثر

مكية وعدد آياهًا ٣، ورقمها ١٠٨

الكوثر: هو الخير الكثير الذي أعطاه الله للرسول ﷺ ، روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في الكوثر: هو الخير الذي أعطاه الله إياه، قال أبو بشر: قلت لسعيد بن جبير: فإن ناساً يزعمون أنه نهر في الجنة، فقال سعيد: النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إياه".[١]

يقول ابن فارس: "الكاف والثاء والراء أصل صحيح يدل على خلاف القلة".[٢] ويقول الأصفهاني: "الخير العظيم الذي أُعطاه النبي ﷺ ... ويقال تكوثر الشيء كثر كثرة متناهية".[٣] ويقول ابن منظور: "الكوثر: الكثير من كل شيء... وجميع ما جاء في تفسير الكوثر قد أعطيه النبي ﷺ ، أعطي النبوة وإظهار الدين الذي بعث به على كل دين والنصر على أعدائه والشفاعة لأمته، وما لا يحصى من الخير، وقد أعطي من الجنة على قدر فضله على أهل الجنة".[٤] ويقول القرطبي: "والعرب تُسمي كل شيء كثير في العدد والقدر والخطر كوثراً".[٥] ويقول المصطفوي: "زيدت الواو، وتدل على الزيادة والمبالغة في المعنى، ومعناه

---

(١) صحيح البخاري، محمد اسماعيل البخاري (٤٩٦٦، كتاب تفسير القرآن، تفسير سورة الكوثر).

(٢) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ج٢، ٤٣٥)

(٣) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني (٤٢٦)

(٤) لسان العرب، ابن منظور (ج٥، ١٣٣)

(٥) تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، محمد القرطبي (ج٢٠، ٢١٦)

مطلق، يشمل كل ما يناسب مقامه، من كل خير وصلاح ووسائل للفوز والتعالي مادياً أو معنوياً".[1]

ورد اسم السورة في الآية الأولى، كما تناولت الآية الثالثة (الأخيرة) جانباً من الخير الذي أعطاه الله لنبيه ﷺ بالتأكيد على نصره وتأييده على أعدائه، وتبشيره ببقاء دينه ورفعته.

ولكن ما علاقة الآية الثانية ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ بمحور السورة الأساس واسمها؟

ما دام الكلام عن الخير العظيم فإن المطلوب للوصول إلى تمام هذا الخير وزيادته الشكر العظيم المتمثل بالصلاة والنحر استجابة لأمر الله تعالى، وأن يتوجه الرسول ﷺ والمؤمنون من بعده في كل عبادتهم لله وحده ﴿ لِرَبِّكَ ﴾، **وأن يتجردوا لله في الكبير والصغير**، فالصلاة من الأعمال الكبيرة والمركزية في الدين، وهي مطلوبة على الدوام والاستمرار، أما النحر فهو سنة يمارسها المسلمون مرة في العام، ربما لا يمارسها كثير من المسلمين لقلة ذات اليد، وهذا التجرد لله تعالى ورد في مواضع كثيرة في القرآن الكريم، ومن ذلك قوله تعالى: **﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾** (الأنعام: ١٦٢-١٦٣).

---

(١) التحقيق في كلمات القرآن الكريم، المصطفوي (ج١٠، ٢٩)

والسورة فيها تهديد واضح للذين كانوا يستهزئون بالنبي ﷺ ويقولون عنه إنه أبتر، وجاء التهديد بنفس الصيغة ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴾(٣)، وذلك للتأكيد على أن اتباع النبي ﷺ فيه الخير الكثير والبقاء والاستمرار، أما معاداة دينه والوقوف في وجه الإيمان فسيؤدي إلى الزوال.

والملاحظ أن هذه السورة هي أقصر سورة في القرآن الكريم، وقد سمّيت بهذا الاسم الذي يعني الخير العظيم والذي يشمل النبوة والقرآن والنهر في الجنة والعصمة من الناس والمغفرة وغيرها، وفي ذلك إشارة إلى أن **القرآن الكريم حتى في أقصر سوره يحمل الخير الكثير، فهو كلام الله الحكيم المتفضل على عباده المحب لهم ولنبيهم ﷺ.**

هداية الاسم:

اتباع النبي ﷺ ودينه فيه الخير الكثير والخلود الحقيقي

(٧١) سورة النصر

مدنية عدد آياها ٣ ، رقمها ١١٠

النصر: الغلبة المادية والفكرية المتضمنة علو الدين وهزيمة الأعداء، وبه يتحقق الهدف المراد. يقول ابن فارس: "النون والصاد والراء أصل صحيح يدل على إتيان خير وإيتائه، ونصَر الله المسلمين: آتاهم الظفر على عدوهم".[١] ويقول الفيروزآبادي: "نصر المظلوم نصْراً ونُصوراً: أعانه ... ونصره منه: نجاه وخلّصه".[٢]

وأما الفتح فهو يقابل الإغلاق، فالفتح: "إزالة الإغلاق والإشكال" كما يقول الاصفهاني: "فعندما تُرفع الحواجز المادية والمعنوية وتزول يكون فتحاً".[٣] يقول **أستاذنا** عن الفرق بين الفتح والنصر: "النصر من لوازم الفتح، ويدل النصر على الإعانة والتقوية، والفتح هو صورة من صور النصر الكثيرة، فكل فتح هو نصر، وليس كل نصر فتحاً".

فلماذا سميت السورة بالنصر ولم تُسمّ بالفتح؟ لعل تسمية السورة النصر وليس الفتح لأن هذا النصر كان مقدمة الفتح الواسع ودخول الناس في دين الله أفواجاً، حيث أُزيلت العوائق أمام انتشاره بسبب هذا الانتصار العظيم، كما أنه كان هزيمة ساحقة في قلب معسكر الأعداء.

---

(١) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ج٢، ٥٦٣)

(٢) المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد الأصفهاني (٥٠٦)

(٣) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني (٣٧٠)

والسورة تتحدث عن فتح مكة في العام الثامن الهجري، حيث كان هذا الحدث مفصلياً في تاريخ الدعوة الاسلامية، حيث أزيل أهم عائق أمام دخول العرب في الاسلام وهو سلطة قريش السياسية والدينية، وبعده تحول المسجد الحرام إلى مكان يحج اليه العرب المسلمون يؤدون شعائر الإسلام، وانتفت مظاهر الشرك منه بهدم الاصنام الموجودة فيه، ويمكن التأريخ بهذا الحدث كبداية لانتشار الإسلام في العالم سياسياً وفكرياً ودخول الناس في دين الله أفواجاً، ولعل هذا يفسر تسمية السورة بالنصر (بأل التعريف)، للإشارة إلى حصول هذا الأمر على درجة عالية وعظيمة، وكأنه **نموذج النصر الكامل**، ولعل إضافته في السورة إلى الله تعالى ﴿نَصۡرُ ٱللَّهِ﴾ يُقوّي المعنى الذي قلناه.

أما الآية الثالثة والأخيرة في السورة ففيها الدعوة إلى تسبيح الله وحمده واستغفاره، ولعل في ذلك إشارة إلى أن هذه الأمور كما هي مقدمات مهمة للنصر والتمكين، فهي أيضاً مسلتزمات لما بعد النصر وذلك لأن النصر، كما هو واضح في السورة وفي آيات كثيرة، هو نصر الله تعالى، وهو بمنته سبحانه، مهما كان جهد الإنسان وتقديمه كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ﴾ (الأنفال، ١٠).كما أن الإنسان في مرحلة الجهاد والوصول إلى النصر قد تمر عليه لحظات ضعف: ﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾ (الأحزاب: ١٠)، وهذا يحتاج إلى استغفار، حيث قد ينسى الناس في لحظة النصر ضعفهم السابق وتقصيرهم.

هداية الاسم:

النصر الحقيقي هو الذي يُغلب فيه الطغاة، وتزول به عوائق انتشار الدين بين الناس

- جاءت كلمة الفتح معرفة في السورة للدلالة على إزالة العوائق بشكل شبه كامل وليس بشكل جزئي كما كان في صلح الحديبية في قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا﴾ (الفتح: ١).
- قد يسأل سائل: لماذا في سورة الفتح كان الوعد بالمغفرة: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾، أما في سورة النصر وهي تالية في الترول كان الأمر بالاستغفار بقوله: ﴿وَٱسْتَغْفِرْهُ﴾ ؟ وقد يكون الجواب عن هذا التساؤل: أن ما ورد في سورة الفتح هو وعد من الله بنعم أربع (المغفرة، الهداية، النصر العزيز، إتمام النعمة)، وقد تحققت جميعها بشكل واضح بعد فتح مكة، وبعضها كان في العام العاشر في بعض الروايات عند نزول ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ في حجة الوداع، فلعل طلب الاستغفار مقدمة لتحقق وعد الله السابق بالمغفرة التامة، كما أن الهداية قد اتضحت بعد الفتح كما قال أبو السعود في تفسيره: "وأصل الاستقامة وإن كانت حاصلة قبل الفتح، لكن حصل بعد ذلك من اتضاح سبيل الحق واستقامة مناهجه ما لم يكن حاصلاً قبل".[١]

---

(١) تفسير أبو السعود، أبو السعود (ج ٦، ٩٨)

(٧٢) سورة المسد

السورة مكية، عدد آياتها ٥، رقمها ١١١

المسد في اللغة كما ذكر الأصفهاني: "ليفٌ يُتخذ من جريد النخل أي من غصنه فيُمسد أي يفتل".[١] ومسدت الحبل كما يقول المصطفوي: "أجدت فتله".[٢] ويقول ابن فارس: "الميم والسين والدال أصل صحيح يدل على جدل شيء وطيّه".[٣] ويقول الفيروزآبادي: "المسْد: الفتل وإدآب السير".[٤] وكون الحبل من جريد النخل فيه معنى الخشونة، وكونه ممسوداً فيه معنى الإحكام.

سميت هذه السورة بآخر كلمة فيها في آخر آية في قوله تعالى: ﴿ **فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ** ﴾ (٥)، وهذه الكلمة تصف العذاب الذي سيكون لزوج أبي لهب في النار، والجيد هو العنق، وأن يكون الحبل المحكم الفتل في عنق الإنسان يحمل معنى الإذلال.

ولعل تسمية السورة بالمسد للتركيز على هذه المعاني الثلاثة: **الخشونة، والإحكام والتضييق، والإذلال.**

فالخشونة تقابل الخشونة التي بدت في سلوك أبي لهب وزوجه نحو الرسول ﷺ ودعوته، وقد بدأت السورة بإعلان التباب (الهلاك) لأبي لهب وبالذات يداه

(١) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني (٤٦٨)

(٢) التحقيق في كلمات القرآن الكريم، المصطفوي (ج١١، ١١٣)

(٣) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ج٢، ٥١١)

(٤) القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (٣٤٤)

للإشارة إلى ما كان يدبره ويمارسه ضد الرسول ﷺ من سلوكيات طائشة، وكذلك امرأته في جيدها حبل خشن تُجر به في نار جهنم.

وأما **الإحكام** فإن تسمية (أبي لهب) قد تشير إلى ما كان يقوم به الرجل من إشعال نار الفتنة بين الناس، وفتنة الصد عن سبيل الله تعالى، ويبدو أن هذا كان بمساعدة زوجته التي أطلقت عليها السورة وصف (حمالة الحطب)، فكأنها تسهم في تأجيج الفتنة، وهذا الفهم ليس غريباً عن البيان القرآني، حيث وصف الله تعالى سعي اليهود في الفتنة بقوله: ﴿**كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ**﴾ (المائدة: ٦٤)، قال مجاهد: "تمشي بالنميمة حيث كانت تنم على النبي ﷺ وأصحابه إلى المشركين".[١]

ويقول **أستاذنا** لدى مراجعته للبحث في بيان ارتباط المعنى السابق باسم السورة: "يبدو أن أبا لهب وزوجه أحكما التدبير لإيذاء النبي ﷺ ودعوته، وضيّقا عليه في كثير من المواقف، وليس فقط كما يتصور البعض أن زوجة أبي لهب كانت تضع الشوك في طريق النبي ﷺ ".

وأما **الإذلال** فهو واضح في كون الحبل في رقبة المرأة، وفي الآيات الأولى المهددة لأبي لهب بقوله: ﴿**تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ**﴾ (١-٣).

(١) فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني (ج٨، ٨٣٦).

وأما المعنى الذي أضافه الفيروزآبادي، وهو إدآب السير، فيكون في معنى الاسم إدامة العذاب لأبي لهب وزوجته، جزاءً لمواصلتهم العداء للرسول ﷺ ودعوته.

ويمكن أن نضيف أن تسمية السورة بالمسد وهو الحبل المربوط في جيد زوجة أبي لهب، وليس في جيد أبي لهب نفسه، قد يرجع إلى أمرين:

١. يبدو أن الدور المركزي والنصيب الأكبر في إحكام الكيد للرسول ﷺ كان لزوجة أبي لهب.

٢. الأصل في الجيد أنه المكان الذي تضع فيه المرأة زينتها، بل هو من أكثر ما يميز جمال المرأة، ولعل في ذلك إشارة إلى تابعية أبي لهب لزوجه بسبب جمالها وذهاب شخصيته أمام جمالها.

هداية الاسم:

مصير الذي يحكمون الكيد والعداء لهذا لدين الإذلال والعذاب العظيم

- حبل: لم يرد في القرآن بالمعنى الحقيقي إلا في هذه السورة، ولكن ورد بمعنى مجازي (حبل الله، حبل الوريد).
- حمالة الحطب: قال مجاهد: تمشي بالنميمة. .. وقال محمد بن سيرين: كانت امرأة أبي لهب تنم على النبي ﷺ وأصحابه.إلى المشركين. وقال الفراء: كانت تنم فتحرش فتوقد بينهم العداوة فكنى عن ذلك بحملها للحطب". (١)

---

(١) فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني (ج٨، ٨٣٦).

(٧٣) سورة الإخلاص

السورة مكية وعدد آياتها ٤، ورقمها ١١٢

يقول ابن فارس: "الخاء واللام والصاد أصل واحد مطرد، وهو تنقية الشيء وتهذيبه".[(١)] ويقول الطناحي في بيان معنى الإخلاص: "قال تعالى في قصة يوسف: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ﴾ (يوسف: ٥٤): أي أجعله خالصاً لي دون غيري، لا يشركني فيه أحد. والاستخلاص: طلب خلوص الشيء من شوائب الشركة، قال تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴾ (مريم، ٥١)، مخلَصاً: مختاراً، وقرئ: "مخلِصاً" بكسر اللام، أي: إنه أخلص العبادة والتوحيد لله غير مراءٍ للعباد".[(٢)] ويقول الأصفهاني: "فحقيقة الإخلاص التبري عن كل ما دون الله تعالى".[(٣)]

ولكن ما علاقة السورة بالإخلاص؟ ولماذا لم تسمّ السورة بكلمة من داخلها أو بموضوع واضح في السورة؟

السورة كما هو ملاحظ تتحدث عن الله تعالى، تُعرِّف الخلق بخالقهم، وتُعرِّف العبيد بربهم، وتُعرِّف العابد بمعبوده، فهي تتحدث عن توحيد الله تعالى، وأن

---

(١) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (٣٧٣/١)

(٢) من أسرار اللغة، الطناحي، (ج٢، ٥٤٥)

(٣) المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد الأصفهاني (١٥٤)

المخلوقات جميعاً تحتاجه، وهو لا يحتاج أحداً أو شيئاً أو مخلوقاً، وهو سبحانه الأول والآخر، ولا يمثل امتداداً لأب قبله، وليس له امتداد بابن، فهو لم يلد و لم يولد، وهو الذي ليس له مثيل ولا شبيه، ولم يكن له كفواً أحد، **فهي إذاً تُخلّص التصور عن الله تعالى من كل شائبة**، وهذا قد يكون السبب الأول في تسميتها بالإخلاص.

عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ بعث رجلاً على سرية، وكان يقرأ لأصحابه في صلاته فيختم بـــ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾. فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال: "سلوه لأي شيء يصنع ذلك". فسألوه فقال: لأنها **صفة الرحمن**، وأنا أحب أن أقرأ بها، فقال النبي ﷺ : "أخبروه أن الله يحبه ".[1]

ويبدو أن السورة أحاطت بالصفات التي لا تتم معرفة الله إلا بها لذلك كانت جواباً للمشركين عن الله تعالى، عن أبي بن كعب رضي الله عنه: "أن المشركين قالوا لرسول الله ﷺ انسب لنا ربك، فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾(١-٢) ".[2]

كما قد يكون السبب الثاني في التسمية أن الإنسان إذا عرف خالقه حق المعرفة، فإنه يُخلص له، ويتوجه إليه وحده، لأنه عنده كل ما يحتاجه في دنياه وآخرته، وبالتالي فإن **رسوخ هذه المعاني يؤدي إلى الإخلاص**، فاسم السورة يدل على

---

(١) صحيح البخاري، محمد اسماعيل البخاري (٧٣٧٥، كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى).

(٢) (مسند أحمد، ج٥، ١٣٣).

النتيجة التي يُحدثها رسوخ معانيها في نفس القارئ المتدبر المؤمن، فكلما عرف الإنسان ربه زاد له عبادة وتقرباً.

ويلخص الطناحي سبب التسمية بقوله: "لأنها خالصة في صفة الله تعالى خاصة، أو لأن اللافظ بها قد أخلص التوحيد لله تعالى".[(١)]

يقول ابن حجر العسقلاني: "وقال غيره: تضمنت هذه السورة توجيه الاعتقاد وصدق المعرفة، وما يجب إثباته لله من الأحدية المناف لمطلق الشركة، والصمدية المثبتة له جميع صفات الكمال الذي لا يلحقه نقص، ونفي الولد والوالد المقرر لكمال المعنى، ونفي الكفء المتضمن لنفي التشبيه والنظير، وهذه مجمع التوحيد الاعتقادي، ولذلك عادلت ثلث القرآن، **فأخلصت سورة الإخلاص الخبر عن الله تعالى، وخلصت قارئها من الشرك الاعتقادي**".[(٢)]

فالسورة فيها **تخليص لعقائد الناس** حول الله تعالى مما أدخل عليها البشر من شوائب وتحريف، وفيها توجيه **لإخلاص العبادة** له سبحانه، يقول ابن عاشور: "واشتهر هذا الاسم لاختصاره وجمعه معاني هذه السورة، لأن فيها تعليم الناس إخلاص العبادة لله تعالى، أي سلامة الاعتقاد من الإشراك بالله غيره في الألوهية".[(٣)]

---

(١) من أسرار اللغة في الكتاب والسنة، محمود الطناحي(ج٢، ٥٤٦)

(٢) فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني (ج٨، ٩٢٤)

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور (م١٢، ج٣٠، ٦٠٩)

هداية الاسم:

التصور الصحيح عن الله تعالى يؤدي إلى الإخلاص

- بعد التعرف على الله الواحد يكون للاستعاذة معنى، وهذا شأن دعاء النبي ﷺ بهذه السورة والمعوذتين.

(٧٤) سورة الفلق

السورة مكية وعدد آياتها ٥، ورقمها ١١٣

يقول ابن فارس: "الفاء واللام والقاف أصل واحد يدل على فرجة وبينونة في الشيء، وعلى تعظيم شيء".[١] ويقول الأصفهاني: "الفلق شق الشيء وإبانة بعضه عن بعض".[٢] وقال ابن منظور: "الفلق: ما انفلق من عمود الصبح، أو هو الصبح بعينه. وقيل هو الفجر. وكلٌّ راجع إلى معنى الشق".[٣] وقال الحلبي: "الفلق: الخلق كله، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾ (الأنعام: ٩٥)".[٤]

وبناءً على ذلك يُقال للصبح الفلق لانفصاله عن الليل وظهوره ووضوحه، كما أن الانشقاق والبينونة للأمور تعني نهاية مرحلة أو وضع، وبداية مرحلة جديدة أو وضع جديد، ولعل تسمية السورة بالفلق كما استنتج **أستاذنا**: "لأن الشر هو انبثاق عن المرسل أي الفاعل، والليل إذا حل ﴿غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ سبب لانبثاق شرور، أي انبعاث شر سببه الظلام، والنفاثات في العقد هو انبعاث أو انبثاق عن النفس المظلمة تنفث في العُقد لتولد شراً وسحراً، كما أن الحسد هو انبثاق عن نفس مظلمة".

---

(١) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ج٢، ٣٣٠)

(٢) المفردات في غريب القرآن، (٣٨٥)

(٣) لسان العرب، ابن منظور (ج١٠، ٣٧٣)

(٤) عمدة الحفاظ، الحلبي (ج٣، ٢٩٧)

كما إن الشرور السابقة فيها معنى الظلام إما حقيقة أو مجازاً: فالحسد أمر في النفوس المستترة، فكأنه من شدة الاستتار في ظلام، وخاصة نفوس الحاسدين، والنفاثات أمر يجري في السر، والشرور بصفة عامة فيها معنى الظلام، فما لا تدرك من الشر أكثر مما تعرف أنه شر في الغالب، وحتى لو عرفته فغالباً لا تستطيع مقاومته، هذا على المجاز، وأما على الحقيقة فالليل مظلم، وظلامه ظرف مناسب للشرور.

وتأتي الاستعاذة برب الفلق من باب الفأل الحسن، فكما يُبدّد الله بالشمس ظلمة الليل فهو المأمول لتبديد ظلام الشرور الأربعة، يقول البيضاوي: "وتخصيصه لما فيه من تغير الحال وتبدد وحشة الليل بسرور النور، ومحاكاة فاتحة يوم القيامة، والإشعار بأن من قدر أن يزيل ظلمة الليل عن هذا العالم قادر أن يزيل عن العائذ ما يخافه".[1] فكان تسمية السورة بالفلق فيه طمأنة للمؤمن أن هذه الاستعاذة لن تضيع.

هداية الاسم:

رب الفلق هو المستعاذ لتبديد ظلمات الشرور جميعها

• من الضروري استخدام الكلمات الجميلة أو المعينة في مواقف الشدة والمعبرة عن النتائج الإيجابية (الفلق)، كما أن الفلق قانون كوني، فهناك قانون يجعل للشرور وقتاً لا تتعداها، فبعد الضيق الفرج.

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي (ج٢، ٦٢٣)

(٧٥) سورة الناس

السورة مكية وعدد آياتها ٦، ورقمها ١١٤

هذه السورة هي آخر سورة في القرآن الكريم، فهي في موضع الخاتمة له، تلخص أهم محاوره، وكأنها بذلك تلخص الفلسفة القرآنية للصراع بين الحق والباطل، فما العلاقة بين هذه الأمور وبين تسمية السورة الناس؟

يمكن أن تظهر هذه العلاقة من خلال عدة محاور في السورة:

المحور الأول- علاقة الناس مع الله تعالى: فهم المقصودون من إنزال القرآن بشكل أساسي، وقد وردت كلمة الناس ٥ مرات في ٦ آيات، وتظهر علاقة الناس بالله تعالى من خلال: (**رب الناس، ملك الناس، إله الناس**)، وهذه الأسماء لها دلالات متكاملة وليست مترادفة، أي أن كل اسم منها له دلالة خاصة تكمل دلالة الاسمين الآخرين، فالرب فيه معنى التربية والتوجيه والتعليم، والملك يملكهم ويسوسهم بما يعود على الناس بالخير في اتباعه، أما الإله فهو المعبود الذي ينبغي أن يتوجه إليه الناس بالعبادة في جميع حياتهم، كما قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الأنعام: ١٦٢).

فهذه الأسماء الثلاثة تشير إلى أن الناس لا يمكن أن يُفلحوا وينجحوا في حياتهم إلا إذا التزموا بتشريعات وقوانين الله تعالى، وتوجهوا إليه بالعبادة التي تقتضي الالتزام والتقيد بما يأمر، وصاغوا نفوسهم (ربّوْها) بناءً على هذه التوجيهات الإلهية.

المحور الثاني– أعداء الناس: فأعداؤهم هم الذين يعملون على إضلالهم عن عبادة الله تعالى، ويصدّوهم عن اتباع تشريعاته وقوانينه، ويُثنوهم عن تزكية نفوسهم بناءً على أوامره، وهؤلاء الأعداء هم من الجن والناس، وبناءً على ذلك فإن صراعاً سيقع بين الملتجئين إلى الله تعالى وبين أعداء الله تعالى، وذلك لاستقطاب أكبر عدد من الأتباع كلٌّ إلى صفه، ولعل انتهاء السورة بكلمة الناس وتسمية السورة بالناس للدلالة على مركزية دور الناس في هذا الصراع سواء من ناحية الخير أو الشر، كما أن نتيجة هذا الصراع سيؤدي إلى انقسام الناس إلى قسمين (أهل الجنة وأهل النار).

المحور الثالث– وهو المحور الذي يتناول مكمن الضعف في الناس، وهو المدخل الذي يلجُ عبره الوسواس الخناس في **صدور** الناس، واستخدام كلمة الصدور وليس العقول للدلالة على موطن الأهواء والميول والشهوات.

ونخلص بالقول: إن الاستمساك بالدين وبرسالة الله تعالى (القرآن الكريم) سيكون عاصماً للناس من قوى الشر الإنسية والجنية ووسوستهما، ولتستقيم حياة الناس لا بد لهم من **دين وقانون وتربية** من مصدر رباني لتضمن الصوابية والموضوعية.

هداية الاسم:

القرآن الكريم **فيه سعادة الناس واستقامة حياهم وانتصارهم على قوى الشر جميعاً**

الــخــاتــمــة

القرآن الكريم معجزة خالدة، وتحدّ للعقول المتدبرة لا ينفد عطاؤه، كلما تدبره المتدبرون ولجوا إلى بعض أسراره وبهرهم مكوناته، وكلما ظنوا أنهم قد فهموه وتعمقوا فيه كلما اكتشفوا ضآلة ما علموه وقلة ما كشفوا عنه الغطاء من أسراره.

وقد بدأ تدبر القرآن مع نزوله، وكان التدبر متعلقاً بفهم كلمة هنا أو هناك، أو استنباط حكم شرعي، وأعلى ذلك فهم الآية كوحدة واحدة.

واستمر ارتفاع المسلمين في تعاطيهم مع كتاب الله العظيم، وحاول العلماء الإجابة عن سؤال عميق: ما هي العلاقة بين الآيات والسور؟ وارتقى منهم الإمام البقاعي رحمه الله فكان كتابه (نظم الدرر في التناسب بين الآي والسور).

وعمل بعض العلماء والمفسرين في العصر الحديث على رفد السابقين بفكرة التفسير الموضوعي، الذي يعني متابعة معالجة القرآن لموضوع ما كالمال مثلاً في كل سور القرآن وآياته، أو الذي يعني القضايا التي تدور حولها السورة وموضوعاتها.

وبناء على جهود السابقين وانتباهاتهم، قصد الباحثان في هذا البحث المتواضع محاولة فهم العلاقة بين اسم السورة وموضوعاتها المختلفة، على اعتبار أن اسم السورة هو الجامع الذي يربط بين أجزاء السورة المختلفة.

وخلال عامين من البحث لاستجلاء العلاقة بين اسم السورة وبنيتها، فقد استطاع الباحثان الوصول إلى إجابات حول عدد من السور، وكانت بعض الإجابات أشد وضوحاً وقوة من غيرها، ولكنها جميعاً تندرج تحت جواب لسؤال مهم:

ماذا يحمل اسم السورة من دلالات وفهوم يمكن ان تُجلّي معاني القرآن وتجعلنا أقرب إلى فهمه؟

وقد تبين للباحثيْن علاقات وثيقة بين اسم السورة وموضوعاتها ومفرداتها، وأن اختيار الاسم كان بحكمة وعناية، واختيار اسم دون غيره استفزاز واضح للتدبر، كما أن لهذا الاسم دلالات وهدايات أراد المنزل الحكيم الانتباه إليها والتركيز عليها.

وارتأى الباحثان أن يقوما بنشر ما وصلا إليه من إجابات، على الرغم من أنها لم تجب عن كل أسماء سور القرآن الكريم، وعلى الرغم من أن بعض الإجابات لم تحمل الرضا الكامل لهما، وكان غرضهما من ذلك أن يضعا بين أيدي أهل القرآن المتدبرين له هذه الدراسة، علّها تكون حافزاً لبعضهم أن يتابع: فيفتح الله على يديه في السور المغلقة، أو يعطي اجتهاداً يكون أكثر دقة في الإجابة على أسرار أسماء السور الأخرى.

إن قيمة هذا البحث، كما يرى الباحثان أنه طرق أرضاً بكراً لم تطرق، وإن طُرقت فعلى استعجال دون تركيز على هذا الموضوع. ولعل ما سبق يجعل لهذا البحث شرف الريادة أو على الأقل التنظيم الأفضل والعناية الأكبر، وهو شرف لأنه يتعلق بكتاب الله. ولكنه أيضاً يحمل ما تحمله الأبحاث الجديدة من إشكالات تحتاج إلى تضافر جهود الباحثين ليقوم على سوقه، يعجب الزراع، ويستروح عنده أهل القرآن الربانيون المتدبرون الممسكون بالكتاب.

نسأل الله تعالى أن ييسر لهذا البحث من أهل التدبر والعلم من يوليه ما يستحق من جهد ومتابعة، وأن ينفع به كاتبيه وقارئيه والمؤمنين جميعاً. اللهم آمين.

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين

ملحق رقم (١): أحاديث وردت في أسماء السور

(بالرجوع إلى دراسة د. منيرة الدوسري، وموقع الدرر السنية، الموسوعة الحديثية)

الرقم	السورة	أحاديث وردت في تسميتها
١.	الفاتحة	عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : "من صلى صلاة لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهي خداج، يقولها ثلاثاً" (مسلم، ٣٩٥).
٢.	البقرة	عن أبي مسعود عقبة بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : "من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه" (البخاري، ٥٠٠٨).
٣.	آل عمران	عن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : "يُؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به، تَقدُمه سورة البقرة وآل عمران، وضرب لهما رسول الله ﷺ ثلاثة أمثال ما نسيتهن بعد، قال: كأنهما غمامتان أو ظلتان سوداوان بينهما شرق أو كأنهما حزقان من طير صواف، تحاجّان عن صاحبهما" (مسلم، ٨٠٥).
٤.	النساء	عن معدان بن أبي طلحة رضي الله عنه قال: " أن عمر بن الخطاب خطب يوم جمعة، فذكر نبي الله ﷺ ، وذكر أبا بكر، ثم قال: إني لا أدع بعدي شيئاً أهم من الكلالة، ما راجعت رسول الله ﷺ في شيء ما راجعته في الكلالة، وما أغلظ لي في شيء ما أغلظ لي فيه، حتى طعن بأصبعه في صدري، وقال: "يا عمر! ألا تكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء؟" وإني إن أعش أقض فيها بقضية، يقضي بها من يقرأ القرآن ومن لا يقرأ القرآن" (مسلم،١٦١٧).
٥.	المائدة	عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: " أُنزلت على رسول الله ﷺ سورة المائدة وهو راكب على راحلته فلم تستطع أن تحمله فترل عنها" (مسند أحمد، ٦٦٤٠).
٦.	الأنعام	عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ : "نزلت عليّ سورة الأنعام جملة واحدة يُشيِّعها سبعون ألف ملك، لهم زجل بالتسبيح

		والتحميد" (الطبراني، المعجم الصغير، ٨١/١).
٧.	الأعراف	عن عائشة رضي الله عنها: "أن رسول الله ﷺ قرأ في صلاة المغرب بسورة الأعراف، فرقها في ركعتين" (النسائي، ٩٩٠).
٨.	الأنفال	قال سعيد بن جبير رحمه الله لابن عباس رضي الله عنهما: "سورة التوبة؟ قال: التوبة هي الفاضحة، ما زالت تنزل، ومنهم ومنهم، حتى ظنّوا أنها لن تبقي أحداً منهم إلا ذُكر فيها، قال: قلت: سورة الأنفال؟ قال: نزلت في بدر، قال: قلت: سورة الحشر؟ قال: نزلت في بني النضير" (البخاري٤٨٨٢).
٩.	التوبة	عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: أرسل إليَّ أبو بكر، فتتبعت القرآن، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري، لم أجدها مع أحد غيره: "لقد جاءكم رسول من أنفسكم" حتى خاتمة براءة" (البخاري، ٧٤٢٥).
١٠.	يونس	عن عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما قال: "نزلت سورة يونس بمكة" (السيوطي، الدر المنثور، ٣٣٩/٤)
١١.	هود	عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: " قال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله! قد شبت قال شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت" (الترمذي،٣٣٠٨).
١٢.	يوسف	عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "كنت بحمص فقال لي بعض القوم: اقرأ علينا. فقرأت عليهم سورة يوسف. قال فقال رجل من القوم: والله ! ما هكذا أنزلت. قال: قلت: ويحك. والله ! لقد قرأتها على رسول الله ﷺ . فقال لي: "أحسنت". فبينما أنا أكلمه إذ وجدت منه ريح الخمر. قال: فقلت: أتشرب الخمر وتكذب بالكتاب؟ لا تبرح حتى أجلدك. قال فجلدته الحد. وفي رواية: وليس فيها: فقال لي "أحسنت" (مسلم، ٨٠١).
١٣.	الرعد	عن ابن عباس رضي الله عنهما: "نزلت سورة الرعد بالمدينة" (السيوطي، الدر المنثور، ٥٩٩/٤).
١٤.	إبراهيم	عن ابن الزبير رضي الله عنهما: "نزلت سورة إبراهيم عليه السلام بمكة" (السيوطي، الدر المنثور، ٣/٥).

١٥.	الحجر	عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "نزلت سورة الحجر بمكة" (السيوطي، الدر المنثور،٥/٦١).
١٦.	النحل	عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: سمعت رجلاً يقرأ في سورة النحل قراءة تخالف قراءتي، ثم سمعت آخر يقرؤها قراءة تخالف ذلك، فانطلقت بهما إلى رسول الله ﷺ، فقلت: إني سمعت هذين يقرآن في سورة النحل، فسألتهما: من أقرأهما؟ فقالا: رسول الله ﷺ، فقلت: لأذهبن بكما إلى رسول الله ﷺ إذ خالفتما ما أقرأني رسول الله ﷺ...." (السيوطي، الدر المنثور، ٥/١٠٨).
١٧.	الإسراء	ليس من حديث أو قول لصحابي في تسمية الإسراء، ولكن وردت باسم بني إسرائيل، عن عبد الرحمن بن يزيد: سمعت ابن مسعود يقول في بني إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء : إنهن من العتاق الأول، وهن من تلادي" (البخاري، ٤٩٩٤).
١٨.	الكهف	عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: " من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف، عُصم من الدجال" (مسلم، ٨٠٩).
١٩.	مريم	عن علقمة ﷺ قال: " كنا جلوساً مع ابن مسعود، فجاء خباب، فقال: يا أبا عبد الرحمن، أيستطيع هؤلاء الشباب أن يقرؤوا كما تقرأ؟ قال: أما إنك لو شئت أمرت بعضهم يقرأ عليك؟ قال: أجل، قال: اقرأ يا علقمة، فقرأت خمسين آية من سورة مريم، فقال عبد الله: كيف ترى؟ قال: قد أحسن، قال عبد الله: ما أقرأ شيئاً إلا وهو يقرؤه" (البخاري، ٤٣٩١).
٢٠.	طه	عن عبد الرحمن بن يزيد سمعت ابن مسعود يقول في بني إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء: "إنهن من العتاق الأول، وهنَّ من تلادي" (البخاري، ٤٩٩٤).
٢١.	الأنبياء	عن عبد الرحمن بن يزيد سمعت ابن مسعود يقول في بني إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء: "إنهن من العتاق الأول، وهنَّ من تلادي" (البخاري، ٤٩٩٤).
٢٢.	الحج	عن عقبة بن عامر الجهني قلت: يا رسول الله، فضلت سورة الحج بأن فيها سجدتين؟ قال: نعم، ومن لم يسجدهما فلا يقرأهما" (الترمذي، ٥٧٧).
٢٣.	المؤمنون	عن عبد الله بن السائب ﷺ قال: "صلى النبي ﷺ بمكة، فاستفتح سورة المؤمنون،

		حتى إذا جاء ذكر موسى وهارون، أو ذكر عيسى أخذت النبي ﷺ سعلة؛ فركع وابن السائب حاضر ذلك" (مسلم، ٤٥٥).
٢٤.	النور	عن الشيباني سألت عبد الله بن أبي أوفى ﷺ : هل رجم رسول الله ﷺ ؟ قال: نعم، قلت : قبل سورة النور أم بعد ؟ قال : لا أدري" (البخاري،٦٨١٣).
٢٥.	الفرقان	عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: " سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ﷺ ، فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله ﷺ ، فكدت أساوره في الصلاة، فتصبرت حتى سلم، فلبّبته بردائه، فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ؟ قال: أقرأنيها رسول الله ﷺ ، فقلت: كذبت، أقرأنيها على غير ما قرأت، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله ﷺ فقلت: إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها، فقال: أرسله، اقرأ يا هشام. فقرأ القراءة التي سمعته، فقال رسول الله ﷺ : كذلك أنزلت. ثم قال رسول الله ﷺ : اقرأ يا عمر. فقرأت التي أقرأني، فقال: كذلك أنزلت، إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرؤوا ما تيسر منه" (البخاري، ٧٥٥٠).
٢٦.	الشعراء	عن ابن الزبير رضي الله عنهما قال: "أُنزلت سورة الشعراء بمكة (السيوطي، الدر المنثور، ٢٨٨/٦).
٢٧.	النمل	عن ابن الزبير رضي الله عنهما قال: "نزلت سورة النمل بمكة" (السيوطي، الدر المنثور، ٣٤٠/٦).
٢٨.	القصص	عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "نزلت سورة القصص بمكة" (السيوطي، الدر المنثور،٣٨٩/٦).
٢٩.	العنكبوت	عن عائشة رضي الله عنها قالت: "إن رسول الله ﷺ كان يصلي في كسوف الشمس والقمر أربع ركعات وأربع سجدات، يقرأ في الركعة الأولى بالعنكبوت، أو الروم، وفي الثانية بيس" (الدارقطني، ٦٤/٢).
٣٠.	الروم	عن الأغر المزني رضي الله عنه: "أن رسول الله ﷺ قرأ في صلاة الصبح بسورة الروم " (السيوطي، الدر المنثور، ٤٧٨/٦).

٣١.	لقمان	عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: "كنا نصلي خلف النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم الظهر فنسمع منه الآية بعد الآيات من سورة لقمان والذاريات" (النسائي، ٩٧٢).
٣٢.	السجدة	عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: " كان النبي ﷺ يقرأ في الجمعة، في صلاة الفجر: "آلم تنزيل" السجدة، و:"هل أتى على الإنسان" (البخاري، ٨٩١).
٣٣.	الأحزاب	عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: " لما نسخنا الصحف في المصاحف، فقدت آية من سورة الأحزاب، كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرؤها، لم أجدها مع أحد إلا مع خزيمة الأنصاري، الذي جعل رسول الله ﷺ شهادته شهادة رجلين: {من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه}" (البخاري، ٤٧٨٤).
٣٤.	سبأ	عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما" نزلت سورة سبأ بمكة" (السيوطي، الدر المنثور، ٦/٦٧٣).
٣٥.	فاطر	عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: "أنزلت سورة فاطر بمكة" (السيوطي، الدر المنثور،٧/٣).
٣٦.	يس	عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : "اقرؤوا يس على موتاكم" (أبو داود، ٣١٢١).
٣٧.	الصافات	عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: "كان رسول الله ﷺ يأمر بالتخفيف، ويؤمّنا بالصافات" (الألباني، صحيح النسائي، ٨٢٥).
٣٨.	ص	عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: "نزلت سورة ص بمكة" (السيوطي، الدر المنثور، ٧/١٤٢).
٣٩.	الزمر	عن عائشة رضي الله عنها قالت: "كان النبي ﷺ لا ينام حتى يقرأ بني إسرائيل، والزمر" (الترمذي، ٢٩٢٠).
٤٠.	غافر	لم يرد اسم (غافر) في الأحاديث، وإنما ورد اسم المؤمن.
٤١.	فصلت	عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: "أرسلت قريش، عتبة بن ربيعة – وهو رجل رزين هادىء – فذهب إلى رسول الله ﷺ يقول: يا ابن أخي، إنك

		منا حيث قد علمت من المكان في النسب، وقد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم، فاسمع مني أعرض عليك أموراً لعلك تقبل بعضها. إن كنت إنما تريد بهذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً. وإن كنت تريد شرفاً سودناك علينا فلا نقطع أمراً دونك. وإن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا. وإن كان هذا الذي يأتيك رئياً تراه لا تستطيع رده عن نفسك، طلبنا لك الطب، وبذلنا فيه أموالنا حتى تبرأ. فلما فرغ قوله تلا رسول الله عليه الصلاة والسلام صدر سورة فصلت: "حم. تنزيل من الرحمن الرحيم. كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون. بشيراً ونذيراً؛ فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون. وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه، وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون. قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه واستغفروه، وويل للمشركين. الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون..." (الألباني، فقه السيرة، ١٠٧).
٤٢.	الشورى	لم يرد فيها شيء.
٤٣.	الزخرف	لم يرد فيها شيء.
٤٤.	الدخان	عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "كان رسول الله ﷺ يقرأ عشرين سورة، الرحمن والنجم، كل سورتين في ركعة وذكر الدخان وعم يتساءلون في ركعة" (الطحاوي، شرح معاني الآثار، ١/٣٤٦).
٤٥.	الجاثية	لم يرد فيها شيء.
٤٦.	الأحقاف	عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: " أقرأني رسول الله ﷺ سورة الأحقاف وأقرأها رجلاً آخر فخالفني في آية فقلت له: من أقرأكها فقال: رسول الله ﷺ فأتيته وهو في نفر فقلت: يا رسول الله ألم تقرئني آية كذا وكذا، فقال: بلى، قال: قلت: فإن هذا يزعم أنك أقرأتها إياه كذا وكذا، فتغير وجه رسول الله ﷺ فقال للرجل الذي عنده: ليقرأ كل رجل منكم كما سمع فإنما هلك من كان قبلكم بالاختلاف، قال: فوالله ما أدري أرسول الله ﷺ أمره بذلك أم هو قاله" (مسند أحمد، ٦/٣٩).

.٤٧	محمد	عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: "نزلت سورة محمد بالمدينة" (السيوطي، الدر المنثور،٧/٤٥٦).
.٤٨	الفتح	عن عبد الله بن مغفل المزني رضي الله عنه قال: "رأيت رسول الله ﷺ يوم فتح مكة على ناقته، وهو يقرأ سورة الفتح يرجع، وقال: لولا أن يجتمع الناس حولي لرجَّعت كما رجَّع" (البخاري،٤٢٨١).
.٤٩	الحجرات	عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: "نزلت سورة الحجرات بالمدينة" (السيوطي، الدر المنثور،٧/٥٤٦).
.٥٠	ق	عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قرأ في المغرب بقاف والذاريات" (ابن شيبة، المصنف، ١/٣٥٦).
.٥١	الذاريات	عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: كنا نصلي خلف النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم الظهر فنسمع منه الآية بعد الآيات من سورة لقمان والذاريات" (الوادعي، الصحيح المسند، ١٤٨، حسن).
.٥٢	الطور	عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: "سمعت الرسول ﷺ قرأ في المغرب بالطور" (البخاري، ٧٦٥).
.٥٣	النجم	عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "قرأ رسول الله ﷺ سورة النجم فسجد بها، فما بقي أحد من القوم إلا سجد، فأخذ رجل من القوم كفاً من حصى، أو تراب، فرفعه إلى وجهه، وقال: يكفيني هذا، فلقد رأيته بعد قتل كافراً" (البخاري، ١٠٧٠).
.٥٤	القمر	عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: "نزلت سورة القمر بمكة" (النحاس، الناسخ والمنسوخ، ٣/٩١).
.٥٥	الرحمن	عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "كان رسول الله ﷺ يقرأ عشرين سورة، الرحمن والنجم، كل سورتين في ركعة وذكر الدخان وعمّ يتساءلون في ركعة" (الطحاوي، شرح معاني الآثار، ١/٣٤٦).
.٥٦	الواقعة	عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله! قد شبت قال: "شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعمّ يتساءلون وإذا

		الشمس كورت" (الترمذي، ٣٢٩٧).
٥٧.	الحديد	عن ابن عباس والزبير رضي الله عنهم أهما قالا: "نزلت سورة الحديد بالمدينة" (السيوطي، الدر المنثور، ٨/٤٥).
٥٨.	المجادلة	عن خويلة بنت مالك بن ثعلبة رضي الله عنها قالت: فيّ وفي أوس بن الصامت نزل صدر سورة المجادلة، قالت: وكان شيخاً كبيراً قد ساء خلقه، فراجعته في شيء فضجر فقال: أنت عليّ كظهر أمي، ثم خرج فجلس في نادي قومه ساعة، ثم دخل عليَّ فإذا هو يريدني عن نفسي، فقلت: كلا والذي نفس خويلة بيده لا تخلص مني إلى شيء وقد قلت ما قلت، حتى يحكم الله ورسوله فينا حكمه، ثم خرجت فجئت رسول الله ﷺ فذكرت له ذلك فترل "قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها" إلى قوله: "وللكافرين عذاب أليم" (ابن حجر العسقلاني، موافقة الخبر الخبر، ١/٥٠١).
٥٩.	الحشر	عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: "نزلت سورة الحشر بالمدينة" (السيوطي، الدرالمنثور،٨/٨٨).
٦٠.	الممتحنة	عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: "نزلت سورة الممتحنة بالمدينة" (السيوطي، الدرالمنثور، ٨/١٤٢).
٦١.	الصف	لم يرد فيها شيء.
٦٢.	الجمعة	عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: " كنا جلوساً عند النبي ﷺ فأنزلت عليه سورة الجمعة: "وآخرين منهم لما يلحقوا بهم". قال: قلت: من هم يا رسول الله؟ فلم يراجعه حتى سأل ثلاثاً، وفينا سلمان الفارسي، وضع رسول الله ﷺ يده على سلمان، ثم قال: "لو كان الإيمان عند الثريا، لناله رجال من هؤلاء" (البخاري، ٤٨٩٧).
٦٣.	المنافقون	عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: "... فلما أصبحنا قرأ رسول الله ﷺ سورة المنافقين" (الترمذي، ٣٣١٣).
٦٤.	التغابن	عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: "أُنزلت سورة التغابن بالمدينة" (السيوطي، الدر المنثور، ٨/١٨١).
٦٥.	الطلاق	عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: "أُنزلت سورة الطلاق بالمدينة"

		(السيوطي، الدر المنثور، ٨/١٨٨).
٦٦.	التحريم	عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: "أُنزلت سورة التحريم بالمدينة" (السيوطي، الدر المنثور، ٨/٢١٣).
٦٧.	الملك	عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: "ضرب بعض أصحاب النبي ﷺ خباءه على قبر وهو لا يحسب أنه قبر فإذا فيه إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فأتى النبي ﷺ فقال يا رسول الله ضربت خبائي على قبر وأنا لا أحسب أنه قبر فإذا فيه إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فقال النبي ﷺ هي المانعة هي المنجية تنجيه من عذاب القبر" (ابن العربي، عارضة الأحوذي، ٦/٣٦).
٦٨.	القلم	لم يرد فيها شيء.
٦٩.	الحاقة	عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: "رحت أتعرض رسول الله ﷺ قبل أن أسلم، فوجدته قد سبقني إلى المسجد، فقمت خلفه، فاستفتح سورة الحاقة، فجعلت أعجب من تأليف القرآن، قال: فقلت: هذا والله شاعر كما قالت قريش، قال: فقرأ "إنه لقول رسول كريم، وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون"، قال: قلت: كاهن قال: "ولا بقول كاهن قليلاً ما تذكرون، تنزيل من رب العالمين، ولو تقول علينا بعض الأقاويل، لأخذنا منه باليمين، ثم لقطعنا منه الوتين، فما منكم من أحد عنه حاجزين" (الحاقة: ٤٠-٤٧) إلى آخر السورة فوقع الإسلام من قلبي كل موقع " (مسند احمد، ١٠٧).
٧٠.	المعارج	لم يرد فيها شيء.
٧١.	نوح	عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: "أُنزلت سورة نوح بمكة" (السيوطي، الدر المنثور، ٨/٢٨٨).
٧٢.	الجن	عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: "أُنزلت سورة الجن بمكة" (السيوطي، الدر المنثور، ٨/٢٩٦).
٧٣.	المزمل	عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: "أُنزلت سورة المزمل بمكة إلا آيتين " (السيوطي، الدر المنثور، ٨/٣١١).
٧٤.	المدثر	عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: "أُنزلت سورة المدثر بمكة"

		(السيوطي، الدر المنثور، ٨/٣٢٤).
٧٥.	القيامة	عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: "أُنزلت سورة القيامة بمكة" (السيوطي، الدر المنثور، ٨/٣٤٢).
٧٦.	الإنسان	عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: "أُنزلت سورة الإنسان بالمدينة" (السيوطي، الدر المنثور، ٨/٣٦٥).
٧٧.	المرسلات	عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: " قال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله! قد شبت قال شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت" (الترمذي، ٣٢٩٧).
٧٨.	النبأ	لم يرد فيها شيء، وورد تسميتها ب"عم يتساءلون" كما في الحديث السابق عن المرسلات.
٧٩.	النازعات	عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: "أُنزلت سورة النازعات بمكة" (السيوطي، الدر المنثور، ٨/٤٠٣).
٨٠.	عبس	عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: "أنزلت سورة عبس بمكة" (السيوطي، الدر المنثور، ٨/٤١٥).
٨١.	التكوير	لم يرد فيها شيء.
٨٢.	الانفطار	لم يرد فيها شيء.
٨٣.	المطففين	عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: "أنزلت سورة المطففين بمكة" (السيوطي، الدر المنثور، ٨/٤١١).
٨٤.	الانشقاق	لم يرد فيها شيء.
٨٥.	البروج	لم يرد فيها شيء.
٨٦.	الطارق	لم يرد فيها شيء.
٨٧.	الأعلى	لم يرد فيها شيء.
٨٨.	الغاشية	عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: "أُنزلت سورة الغاشية بمكة" (السيوطي، الدر المنثور، ٨/٤٩٠).
٨٩.	الفجر	عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: "أُنزلت سورة والفجر بمكة" (السيوطي، الدر المنثور، ٨/٤٩٧).

.٩٠	البلد	لم يرد فيها شيء.
.٩١	الشمس	لم يرد فيها شيء.
.٩٢	الليل	لم يرد فيها شيء.
.٩٣	الضحى	عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه قال: " قام معاذ فصلى العشاء فطوّل، فقال النبي ﷺ : أفتّان أنت يا معاذ؟ أين أنت عن سبح اسم ربك الأعلى والضحى وإذا السماء انفطرت" (الشوكاني، فتح القدير، ٥/٥٦٢).
.٩٤	الشرح	لم يرد فيها شيء.
.٩٥	التين	عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: "أُنزلت سورة والتين بمكة" (السيوطي، الدر المنثور، ٨/٥٥٣).
.٩٦	العلق	لم يرد فيها شيء.
.٩٧	القدر	لم يرد فيها شيء.
.٩٨	البينة	لم يرد فيها شيء.
.٩٩	الزلزلة	لم يرد فيها شيء، وإنما ورد اسم إذا زلزلت كما في الحديث اللاحق في سورة العاديات.
.١٠٠	العاديات	عن الحسن البصري رحمه الله قال: قال رسول الله ﷺ : "إذا زلزلت تعدل نصف القرآن والعاديات تعدل نصف القرآن" (الشوكاني، فتح القدير، ٥/٦٩٥).
.١٠١	القارعة	عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: "أنزلت سورة القارعة بمكة" (السيوطي، الدر المنثور، ٨/٦٠٥).
.١٠٢	التكاثر	لم يرد فيها شيء.
.١٠٣	العصر	عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: "أنزلت سورة والعصر بمكة" (السيوطي، الدر المنثور، ٨/٦٢١).
.١٠٤	الهمزة	لم يرد فيها شيء.
.١٠٥	الفيل	لم يرد فيها شيء.
.١٠٦	قريش	لم يرد فيها شيء.
.١٠٧	الماعون	لم يرد فيها شيء.

١٠٨.	الكوثر	لم يرد فيها شيء.
١٠٩.	الكافرون	عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : "إذا زلزلت تعدل نصف القرآن، والكافرون تعدل ربع القرآن" (ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ٦٧٨/٨).
١١٠.	النصر	لم يرد فيها شيء.
١١١.	المسد	لم يرد فيها شيء.
١١٢.	الإخلاص	عن أبيّ بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : "من قرأ سورة الإخلاص فقد قرأ ثلث القرآن" (العراقي، تخريج الإحياء، ٦٢/٥).
١١٣. ١١٤	الفلق والناس	لم يرد في تسميتهما الموجودة نص، وإنما سمِّيتا بأول آية فيهما، عن عائشة رضي الله عنها قالت: "إن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة، جمع كفيه ثم نفث فيهما، فقرأ فيهما: "قل هو الله أحد". و"قل أعوذ برب الفلق". و"قل أعوذ برب الناس". ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجهه، وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات" (البخاري،٥٠١٧). كما اشتهرت تسميتهما بالمعوذتين، سئلت السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: "بأي شيء كان يوتر رسول الله ﷺ ... وفي الثالثة ب "قل هو الله أحد" و"المعوذتين"." (أبو داود، ١٤٢٤).

ملحق رقم (٢):

أسماء سور القرآن الكريم التوقيفية والاجتهادية

(بناءً على دراسة الدكتورة منيرة الدوسري):

الرقم	الأسماء التوقيفية	الأسماء الاجتهادية
١.	الفاتحة	فاتحة الكتاب، فاتحة القرآن، أمّ الكِتاب، أمّ القرآن، القرآن العظيم، السبع المثاني، الوافية، الكنز، الكافية، الأساس، النّور، الحمد، الشّكر، الرّاقية، الشّفاء، الشّافية، الصّلاة، الّدعاء، السّؤال، تعليم المسألة، المناجاة، التّفويض
٢.	البقرة، الزّهراء	سنام القرآن، فسطاط القرآن
٣.	آل عمران، الزّهراء	طيبة، الكنز، الأمان، المجادلة، الاستغفار، المعينة
٤.	النساء	النساء الطولى أو الكبرى
٥.	المائدة	العقود، المنقذة، الأحبار
٦.	الأنعام	***
٧.	الأعراف	***
٨.	الأنفال	بدر، الجهاد
٩.	التوبة، براءة	الفاضحة، العذاب، المقشقِشة، المُنَقِّرة، البَحوث، الحافرة، المثيرة، المبعثرة، المُخزية، المُنَكّلة، المشرّدة، المدمدمة
١٠.	يونس	***
١١.	هود	***
١٢.	يوسف	***
١٣.	الرعد	***
١٤.	إبراهيم	***
١٥.	الحجر	***
١٦.	النحل	النِّعم

.١٧	الإسراء	سبحان، بني إسرائيل
.١٨	الكهف، أصحاب الكهف	الحائلة
.١٩	مريم	كهيعص
.٢٠	طه	الكليم، موسى
.٢١	الأنبياء	اقترب
.٢٢	الحج	***
.٢٣	المؤمنون	قد أفلح
.٢٤	النور	***
.٢٥	الفرقان	***
.٢٦	الشّعراء	الجامعة، طسم، طسم الشعراء
.٢٧	النَّمل	سليمان، الهدهد، طس
.٢٨	القصص	طسم، موسى
.٢٩	العنكبوت	***
.٣٠	الروم	***
.٣١	لقمان	***
.٣٢	السَّجدة، ألم تنزيل، ألم تنزيل السجدة	المضاجع، سجدة لقمان، المنجية
.٣٣	الأحزاب	***
.٣٤	سبأ	***
.٣٥	فاطر	الملائكة
.٣٦	يس	قلب القرآن، المُعِمّة، المدافِعة، القاضية، العظيمة عند الله، حبيب النجار
.٣٧	الصافات	***
.٣٨	ص	داود
.٣٩	الزُّمَر	الغُرف
.٤٠	غافر، المؤمن، حم المؤمن	الطّول، حم الأولى
.٤١	فصّلت	السّجدة، حم السجدة، المصابيح، الأقوات، سجدة المؤمن
.٤٢	الشورى، حم عسق، عسق	***
.٤٣	الزخرف	حم الزخرف
.٤٤	الدخان، حم الدخان	***
.٤٥	الجاثية	حم الجاثية، الشريعة، الدّهر

٤٦.	الأحقاف	حم الأحقاف
٤٧.	محمد	القتال، الذين كفروا
٤٨.	الفتح	***
٤٩.	الحجرات	***
٥٠.	ق، ق والقرآن المجيد	الباسقات
٥١.	الذاريات	***
٥٢.	الطور	***
٥٣.	النجم	***
٥٤.	القمر	اقتربت الساعة
٥٥.	الرحمن	عروس القرآن
٥٦.	الواقعة	***
٥٧.	الحديد	***
٥٨.	المجادلة	الظّهار، قد سمع
٥٩.	الحشر	بني النّضير
٦٠.	المُمْتحنة	الامتحان، المودة
٦١.	الصَّف	الحواريين، عيسى
٦٢.	الجمعة	***
٦٣.	المنافقون	إذا جاءك المنافقون
٦٤.	التغابن	***
٦٥.	الطّلاق	النّساءالقصرى (الصّغرى)
٦٦.	التّحريم	المتحَرِّم، لِمَ تُحرِّم، النبي
٦٧.	الملك، تبارك، تبارك الذي بيده الملك، المنجية	تبارك الملك، المانعة، المجادِلة، الواقية
٦٨.	القلم	ن، ن والقلم
٦٩.	الحاقة	السلسلة، الواعية
٧٠.	المعارج	سأل سائل أو سأل، الواقع
٧١.	نوح	إنا أرسلنا نوحاً
٧٢.	الجن	قل أوحي
٧٣.	المزمل	***
٧٤.	المدثر	***
٧٥.	القيامة	لا أقسم بيوم القيامة، لا أقسم
٧٦.	الإنسان	هل أتي علي الإنسان، هل أتي، الدهر،

		الأبرار، الأمشاج
٧٧.	المرسلات	والمرسلات عرفاً، العرف
٧٨.	النبأ	عم يتساءلون، التّساؤل، المُعصِرات
٧٩.	النازعات	الساهرة، الطامة
٨٠.	عبس	السفرة، الصاخة، الأعمى
٨١.	التكوير، إذا الشمس كورت	كورت
٨٢.	الانفطار، إذا الشمس انفطرت	انفطرت
٨٣.	المطففين	ويل للمطففين، التطفيف
٨٤.	الانشقاق، إذا السماء انشقت	انشقت
٨٥.	البروج	السماء ذات البروج
٨٦.	الطارق	السماء والطارق
٨٧.	الأعلى، سبح اسم ربك الأعلى	سبح
٨٨.	الغاشية	هل أتاك حديث الغاشية
٨٩.	الفجر	***
٩٠.	البلد	لا أقسم بهذا البلد
٩١.	الشمس، والشمس وضحاها	***
٩٢.	الليل، والليل إذا يغشى	***
٩٣.	الضحى	***
٩٤.	الشرح	ألم نشرح، الانشراح
٩٥.	التين	والتين والزيتون
٩٦.	العلق، إقرأ باسم ربك	إقرأ، القلم
٩٧.	القدر	إنا أنزلناه في ليلة القدر
٩٨.	البينة، لم يكن الذين كفروا أو لم يكن	أهل الكتاب، القيمة، البرية، المنفكين
٩٩.	الزلزلة، إذا زلزلت	الزلزال، زلزلت
١٠٠.	العاديات	***
١٠١.	القارعة	***
١٠٢.	التكاثر، ألهاكم التكاثر	المقبرة
١٠٣.	العصر	***
١٠٤.	الهمزة	ويل لكل همزة، الحطمة
١٠٥.	الفيل	الم تر كيف
١٠٦.	قريش، لإيلاف قريش	الإيلاف

١٠٧.	الماعون	الدين، التكذيب، أرأيت أو أرأيت الذي يكذب، اليتيم
١٠٨.	الكوثر	إنا اعطيناك الكوثر، النحر
١٠٩.	الكافرون، قل يا أيها الكافرون	المُقشقِشة، العبادة، الإخلاص، المنابذة، الدين
١١٠.	النّصر	إذا جاء نصر الله والفتح، التوديع، الفتح
١١١.	المسد	تبت، أبي لهب، اللهب، تبت يدا أبي لهب
١١٢.	الإخلاص، قل هو الله أحد	الأساس، التوحيد، المقشقشة، الصمد
١١٣.	الفلق، قل اعوذ برب الفلق، المعوذتين (مع سورة الناس)	المقشقِشتان، المشقشقتان (مع سورة الناس)
١١٤.	النـــاس، قل أعوذ برب الناس، المعوذتين (مع سورة الفلق)	المقشقِشتان، المشقشقتان (مع سورة الفلق)

- عدد السور التي لها أكثر من اسم توقيفي ٢٥ سورة
- عدد السور التي لها اسم توقيفي واحد ٨٩ سورة
- عدد السور التي لها اسم واحد فقط ٣٥ سورة
- عدد السور التي لها اسم اجتهادي إضافة إلى التوقيفي ٧٦ سورة

ملحق رقم (٣): مواقع الآيات التي وردت فيها أسماء السور

نعرض في الجدول الآتي إلى أرقام الآيات التي ورد فيها اسم السورة:

السورة	عدد الآيات	الآيات التي ورد فيها الاسم	الآيات التي ورد فيها موضوع الاسم
الفاتحة	٧		ليس هناك ما يدل باستثناء الموقع
البقرة	٢٨٦	٦٧ (وردت بدون أل التعريف)	٦٧-٧٣
آل عمران	٢٠٠	٣٣	٣٣-٦٢
النساء	١٧٦	١/٣/٤/٧/١١/١٥/١٩/٢٢/٢٣/ ٢٤/٣٢/٣٤/٤٣/١٢٧/١٢٩/١٧٦ (١٦آية)	١-٥، ١١-١٣، ١٩-٢٥، ٣٢-٣٦، ٧٥، ٩٨، ١٢٤-١٣٠، ١٧٦ (٣٠ آية).
المائدة	١٢٠	١١٢/١١٤ بدون أل التعريف (آيتان)	١١٢-١١٥
الأنعام	١٦٥	١٣٦/١٣٩/١٤٢ بأل التعريف، ١٣٨ بدون أل التعريف	١٤٢-١٤٦
الأعراف	٢٠٦	٤٦/٤٨	٤٦-٤٩
الأنفال	٧٥	١	١/٤١
التوبة	١٢٩	١٠٤	٣/٥/١١/١٥/٢٧/١٠٢/١٠٦ /١١٢/١١٧/١١٨ (١٠ آيات)
يونس	١٠٩	٩٨	
هود	١٢٩	٥٠/٥٣/٥٨/٦٠ (٤ آيات)	٥٠-٦٠

يوسف	١١١	٤/٧/٩/١٠/١١/١٧/٢١/٢٩/٤٦/٥١/٥٦/٦٩/٧٦/٧٧/٨٠/٨٤/٨٥/٨٧/٨٩/٩٠/٩٤/٩٩ (٢٢ آية)	جميع السورة
الرعد	٤٣	١٣	
إبراهيم	٥٢	٣٥	٣٥-٤١
الحجر	٩٩	٨٠	٨٠-٨٤
النحل	١٢٨	٦٨	
الإسراء	١١١	١	
الكهف	١١٠	٩/١٠/١١/١٦/١٧/٢٥ (٦ آيات)	٩-٢٥
مريم	٩٨	١٦-٢٧ (آيتان)	١٦-٣٧
طه	١٣٥	١	
الأنبياء	١١٢		٤٨-٩٢ ذكر مجموعة من الأنبياء
الحج	٧٨	٢٧	٢٥-٣٧
المؤمنون	١١٨	١	١-١١
النور	٦٤	٣٥	
الفرقان	٧٧	١	
الشعراء	٢٢٧	٢٢٤	٢٢٤-٢٢٧
النمل	٩٣	١٨	١٨-١٩
القصص	٨٨	٢٥	
العنكبوت	٦٩	٤١	
الروم	٦٠	٢	٢-٦
لقمان	٣٤	١٢	١٢-١٩

السجدة	٣٠		١٥ ليس بشكل مباشر
الأحزاب	٧٣	٢٠-٢٢ (آيتان)	٩-٢٧
سبأ	٥٤	١٥	١٥-١٩
فاطر	٤٥	١	
يس	٨٣	١	
الصافات	١٨٢	١	الصافون/١٦٥
ص	٨٨	١	
الزمر	٧٥	٧١-٧٣ (آيتان)	
غافر	٨٥	٣	المؤمن/ ٢٨- ٤٥
فصلت	٥٤	٣-٤٤ (آيتان)	
الشورى	٥٣	٣٨	
الزخرف	٨٩	٣٣	
الدخان	٥٩	١٠	١٠-١٦
الجاثية	٣٧	٢٨	
الأحقاف	٣٥	٢١	٢١-٢٨
محمد	٣٨	٢	
الفتح	٢٩	١	١-٣
الحجرات	١٨	٤	٤-٥
ق	٤٥	١	
الذاريات	٦٠	١	
الطور	٤٩	١	
النجم	٦٢	١	
القمر	٥٥	١	
الرحمن	٧٨	١	
الواقعة	٩٦	١	١-٧

الحديد	٢٩	٢٥	
المجادلة	٢٢	١	١-٤
الحشر	٢٤	٢	بنو النضير/٢-٧
الممتحنة	١٣	١٠	١٠-١١
الصف	١٤	٤	
الجمعة	١١	٩	٩-١١
المنافقون	١١	١	١-٨
التغابن	١٨	٩	
الطلاق	١٢	١	١-٧
التحريم	١٢	١	١-٥
الملك	٣٠	١	
القلم	٥٢	١	
الحاقة	٥٢	١-٣ (آيتان)	
المعارج	٤٤	٣-٤ (آيتان)	
نوح	٢٨	١-٢١-٢٦ (ثلاث آيات)	جميع السورة
الجن	٢٨	١	١-١٥
المزمل	٢٠	١	١-١١
المدثر	٥٦	١	١-٧
القيامة	٤٠	١	١-٦
الإنسان	٣١	١	١-٣
المرسلات	٥٠	١	
النبأ	٤٠	٢	١-٣
النازعات	٤٦	١	
عبس	٤٢	١	١-١٠
التكوير	٢٩	١	

الانفطار	١٩	١	
المطففين	٣٦	١	١-٦
الانشقاق	٢٥	١	١-٢
البروج	٢٢	١	١-١١
الطارق	١٧	١-٢ (آيتان)	
الأعلى	١٩	١	
الغاشية	٢٦	١	
الفجر	٣٠	١	
البلد	٢٠	١-٢ (آيتان)	
الشمس	١٥	١	١-٥
الليل	٢١	١	
الضحى	١١	١	جميع السورة في الموضوع نفسه
الشرح	٨	١	جميع السورة في الموضوع نفسه
التين	٨	١	١-٤
العلق	١٩	٢	١-٥
القدر	٥	١/٢/٣ (ثلاث آيات)	١-٥
البينة	٨	١-٤	١-٤
الزلزلة	٨	١	جميع السورة في الموضوع نفسه
العاديات	١١	١	١-٦
القارعة	١١	١-٢-٣ (ثلاث آيات)	جميع السورة في الموضوع نفسه
التكاثر	٨	١	١-٢
العصر	٣	١	جميع السورة في الموضوع نفسه
الهمزة	٩	١	
الفيل	٥	١	جميع السورة في الموضوع نفسه
قريش	٤	١	جميع السورة في الموضوع نفسه

الماعون	٧	٧	٤-٧ أو كل السورة مرتبطة بالموضوع
الكوثر	٣	١	
الكافرون	٦	١	جميع السورة في الموضوع نفسه
النصر	٣		جميع السورة في الموضوع نفسه
المسد	٥	٥	
الإخلاص	٣		ليس هناك ما يدل على الاسم بشكل مباشر
الفلق	٥	١	
الناس	٦	١-٢-٣-٦ (أربع آيات)	

ملحق رقم (٤): تقسيمات السور كمجموعات:

الرقم	التصنيف	السور	العدد
١	أسماء الله تعالى	غافر – فاطر – النور – الرحمن – الأعلى	٥
٢	أسماء الأنبياء عليهم السلام	يونس- هود- يوسف- إبراهيم- محمد- نوح- الأنبياء	٧
٣	أحداث	الأحزاب- الحشر- التوبة- الإسراء- الفتح- المجادلة- التحريم- عبس- النصر	٩
٤	الفلك	الرعد- النجم- الطور- القمر- الطارق- الشمس- البروج	٧
٥	حيوانات، حشرات	البقرة – الأنعام- النمل- النحل- العنكبوت- العاديات – الفيل	٧
٦	أقسام من الناس	المؤمنون- المنافقون- الكافرون- الإنسان- الناس- الشعراء- المطففين	٧
٧	قبائل وأمم	سبأ – قريش- الروم	٣
٨	اليوم الآخر أو من أحداثه	الواقعة- القيامة- الحاقة- القارعة- النبأ- الغاشية- الأعراف- الزمر-الدخان – الجاثية- التغابن- التكوير- الانفطار- الانشقاق- الزلزلة	١٥
٩	الملائكة	الصافات- الذاريات- المرسلات – النازعات	٤
١٠	أحداث خاصة بالنبي	المزمل- المدثر- الشرح	٣
١١	أمور متعلقة بالقرآن الكريم	فصلت – الفرقان- القدر	٣
١٢	عبادات	الحج- السجدة	٢
١٣	بناء	الحجرات	١
١٤	معادن	الحديد	١
١٥	أوقات	الجمعة- العصر- الضحى- الفجر- الليل- الفلق	٦

١٦	اجتماعيات	النساء- الطلاق	٢
١٧	كتابة	القلم	١
١٨	الجن	الجن	١
١٩	أسماء مواقع	الحجر- الأحقاف- البلد	٣
٢٠	صالحون	مريم- لقمان- آل عمران	٣
٢١	نباتات	التين	١
٢٢	أحرف مقطعة	يس- ص- ق- طه	٤
٢٣	أمور أخرى	الفاتحة- القصص- الممتحنة- الماعون- الهمزة- الشورى- الزخرف- الصف- العلق- البينة- التكاثر- الإخلاص – المعارج- الملك- الكوثر- الأعراف- الأنفال	١٧
٢٤	أماكن	الكهف	١
٢٥	طعام	المائدة	١

المصادر والمراجع

١. الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، دار الفكر- بيروت، لبنان. ط٣، ١٩٩٥.

٢. إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي (ت: ٥٠٥ هـ)، دار المعرفة-بيروت، د.ت.

٣. الإسلام لله تعالى في سورة البقرة، عبدالحميد محمد طهماز، دار القلم- دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط١، ١٩٩٣.

٤. أسماء سور القرآن وفضائلها، د. منيرة الدوسري، دار ابن الجوزي- السعودية، ط١، ١٤٢٦ هـ.

٥. أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي (ت: ١٣٩٣ هـ)، دار الفكر- بيروت، ١٩٩٥.

٦. الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره، محمد أحمد القاسم، مصر، ط١، ١٩٧٩.

٧. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، عبد الله البيضاوي (ت: ٧٩١ هـ)، دار الفكر- بيروت،١٩٩٦.

٨. أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن، عبد الله شحاتة، الهيئة العامة المصرية للكتاب، ط٤، ١٩٩٨.

٩. البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد الزركشي (ت: ٧٩٤هـ)، دار الفكر- بيروت، ط١، ١٩٨٨.

١٠. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي الحسيني (ت: ١٢٠٥ هـ)، دار الفكر- بيروت، ط١، ١٩٩٤.
١١. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع- تونس، د.ت.
١٢. التحقيق في كلمات القرآن الكريم، المصطفوي، دار الكتب العلمية- بيروت، ط٣، ٢٠٠٩.
١٣. تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم)، اسماعيل بن كثير (ت: ٧٧٤ هـ)، بيت الفكار الدولية- الرياض، ١٩٩٩.
١٤. تفسير أبي السعود، أبو السعود (ت: ٩٨٢ هـ)، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٩٩٩.
١٥. تفسير البيضاوي (أنوار التتريل وأسرار التاويل)، عبد الله البيضاوي (ت:٧٩١ هـ)، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٩٨٨.
١٦. التفسير التوحيدي، حسن الترابي، دار الساقي، بيروت- لبنان، ط١، ٢٠٠٤.
١٧. تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، مطبعة دار أخبار اليوم- مصر، ١٩٩١.
١٨. تفسير الطبري (جامع البيان عن تاويل القرآن)، محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠ هـ)، دار الفكر- بيروت، ١٩٩٥.
١٩. تفسير القرآن الكريم، محمود شلتوت، دار القلم- بيروت، ط٣، ١٩٦٥.
٢٠. تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، محمد القرطبي (ت: ٦٧١ هـ)، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر- مصر، ط٣، ١٩٦٧.

٢١. التفسير الكبير (مفاتح الغيب)، محمد الرازي (ت: ٦٠٤ هـ)، المكتبة التوقيفية، ١٩٩٥.
٢٢. تفسير الكشاف، محمود الزمخشري (ت: ٥٣٨ هـ)، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٩٩٥.
٢٣. تفسير الماوردي (النكت والعيون)، علي الماوردي (ت: ٤٥٠ هـ)، دار الكتب العلمية، د.ت.
٢٤. تفسير المنار، محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية- بيروت، ط٢، ٢٠٠٥.
٢٥. التفسير المنير، وهبة الزحيلي، دار الفكر- بيروت، ط١، ١٩٩١.
٢٦. التفسير الوسيط، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر- مصر، ط١، ١٩٩٧.
٢٧. سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف- الرياض، ١٩٩٥.
٢٨. سنن الترمذي (الجامع الصحيح)، الترمذي (ت: ٢٩٧)، دار إحياء التراث العربي- بيروت. د. ت.
٢٩. صحيح البخاري، محمد اسماعيل البخاري (ت: ٢٦٥ هـ)، مكتبة الإيمان- المنصورة، ٢٠٠٣.
٣٠. صحيح الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الألباني، المكتب الإسلامي- بيروت، ط٣، ١٩٨٨.
٣١. صحيح مسلم، مسلم النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، مكتبة الإيمان- المنصورة، د. ت.
٣٢. عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي، محمد بن عبد الله ابن العربي المالكي (ت: ٥٤٣ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. ط١، ١٩٩٧.

٣٣. عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، أحمد بن يوسف الحلبي (ت: ٧٥٦ هـ)، عالم الكتب- بيروت، ط١، ١٩٩٣.
٣٤. العنوان وسميوطيقا الاتصال الدبي، محمد فكري الجزار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨.
٣٥. فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢ هـ)، دار مصر للطباعة- مصر، ط١، ٢٠٠١.
٣٦. في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق- القاهرة، ط٣٥، ٢٠٠٥.
٣٧. القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت: ٨١٧ هـ)، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ٢٠٠٤.
٣٨. كشف الخفاء ومزيل الإلباس، إسماعيل العجلوني (ت: ١١٦٢ هـ)، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٩٩٧.
٣٩. لسان العرب، جمال الدين محمد بن منظور (ت: ٧١١ هـ)، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ٢٠٠٣.
٤٠. مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط٩، ١٩٨٠.
٤١. محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي (ت: ١٩١٤م)، دار الحديث- القاهرة، ٢٠٠٣.
٤٢. المحرر الوجيز، ابن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٦ هـ)، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٩٩٣.
٤٣. مختار الصحاح، محمد الرازي (ت: ٦٦٦هـ)، دار الغد الجديد- القاهرة، ط١، ٢٠٠٧.

٤٤. المدخل إلى الدراسات القرآنية، أبو الحسن الندوي، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط١، ٢٠٠٤.
٤٥. مسند أحمد، أحمد بن حنبل (ت: ٢٤١ هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٩٨.
٤٦. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث- القاهرة، ٢٠٠١.
٤٧. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا الرازي (ت: ٣٩٥ هـ)، دار إحياء الكتب العربية- بيروت، ط٢، ٢٠٠٨.
٤٨. المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد الأصفهاني (ت: ٥٠٢ هـ)، د.ت.
٤٩. من أسرار الأسماء في القرآن الكريم، بسام جرار، مركز نون للدراسات القرآنية، فلسطين، ط١، ٢٠٠٣.
٥٠. من أسرار اللغة في الكتاب والسنة، محمود الطناحي، المكتبة المكية- مكة المكرمة، ط١، ٢٠٠٨.
٥١. نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، محمد الغزالي، دار الشروق، القاهرة، ط٨، ٢٠٠٥.
٥٢. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين إبراهيم البقاعي (ت: ٨٨٥ هـ)، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٩٩٥.